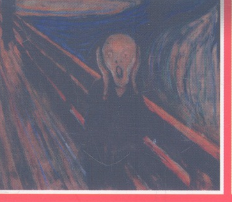
الدكتور أسامه الفقى

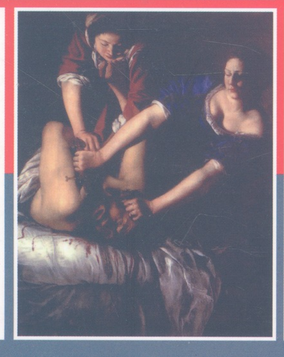
صفعة الزمان وإبداع الفنان

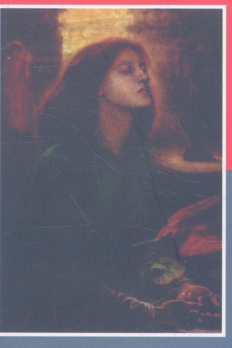


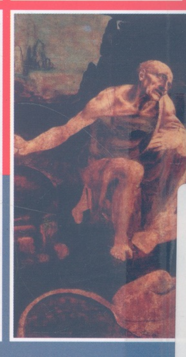


صور مأساوية

من حياة خمسين فناناً







مكتبة الأنجلو المصرية



صفعة الزمان وإبداع الفنان

صور مأساوية من حياة خمسين فناناً

الدكتور
أسامة محمد مصطفى الفقى



مكتبة الأنجلو المصرية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، إدارة الشئون الفنية .

الفقى ، أسامة محمد مصطفى .

صفعة الزمان وابداع الفنان : صورة مأساوية من حياة خمسين فنانا / تأليف : أسامة محمد مصطفى الفقى – ط١.-

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٩.

٢٥٢ ص ، ١٧× ٢٤ سم

١ـ الفنانون

أ ـ العنوان

رقم الإيداع : ٢٥٠٠٩

ردمك :٩٧٧-٠٥-٢٥٩٨-٧ تصنيف ديوى : ٩٢٧

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

تصميم غلاف : ماستر جرافيك

الناشر: مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة – جمهورية مصر العربية

ت : ٢٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ف : ٢٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

Website : www.anglo-egyptian.com



مقدمة

كثـيرة هـي آلام الحياة، موجعة هي أزماتها وويلاتها، عاشها الناس في كل عصـر وزمان في مختلف البلدان، فقد خلق الإنسان في كبد، فمنهم من قضى نحبه بائساً يائساً منهزماً منكسراً، ومنهم من أخرج من معاناته الإبداع، وولد من أزماته الـنجاح والابـتكار، فكانـت المعاناة دافعه والأزمات محركه، فلم يستسلم لصفعة الزمان أو هوان الحياة.. وقد حرصت في كتابي هذا على إلقاء الضوء على الجانب النفسـي مـن حـياة الفنان الشخصية التي تحمل معاناته الذاتية، وهو الجانب الذي أغفلـه كثير من كتاب الفن ولم يولوه حق الاهتمام إلا من بعض الإشارات البسيطة الـتي سـيقت لتوضـيح جوانب من سيرة الفنان الذاتية، سواء كانت تحمل معاناة وأزمـات أو تحمـل أفـراحاً ومسرات، فكان تركيز كتاب الفن في الأساس – في أغلـب الكتابات والمؤلفات – على أساليب الفنانين التصويرية وأعمالهم الفنية دون الـتطرق للجانـب النفسـي، وأحسـب أني أضفت جديداً بالربط بين سيرة الفنان والإبـداع الفـني لدى عدد من الفنانين المصورين، فقد اخترت رحلة كفاح ومعاناة خمسين فناناً من الرسامين لا يجمعهم عصر معين أو تشملهم مدرسة فنية بعينها أو حتى أسلوب عمل خاص، وإنما يربطهم جميعاً خيط واحد هو تعرضهم لهوان الدنيا وويلات الحياة، فهم فنانون عاشوا بالأمل وصاحبهم الألم، فالفنان بحساسيته الذائدة وروحـه الهائمـة وخـيالاته الواسعة أكثر تأثراً بالصعاب وتألماً بالمآسي وتوجعاً بمشـاكل العـالم من حوله، فكثير منهم عانوا النكران والجحود في حياتهم فلم تجد أعمـالهم أي اهتمام أو استحسان، وكثير أيضاً عانوا صعاب الحياة وشظف العيش فعاشوا في عوز وفاقة وفقر، وهناك من عانوا آلام المرض ووبال السقم، وآخرون أعياهم الاضطهاد وتقلبات الأوضاع السياسية وويلات الحروب وكوارثها.. فانتحر الكثـير يائسـين قانطين كارهين الحياة بكل ما فيها، ومات آخرون يتجرعون آلام الهـوان ومـرارة الحـياة، تاركيـن خلفهم ما هو أعظم من المال وأبقى من الجاه والسـلطان وهـي أعمـالهم الفنـية الـتي خلدت أسماءهم وحفظت ذكرى حياتهم وأصـبحت شاهدة على عصرهم وعلى معاناتهم وآلامهم، نتذكر كلما رأيناها رحلة كفـاح أصـحابها ورحلـة إبداعهم، فالنجاح الذي حصده هؤلاء الفنانون سواء في حـياتهم أو لحق بهم بعد مماتهم لم يكن يسير الحال سهل المنال، وإنما جاء بالتعب والشقاء والصبر على البلاء وتحمل لشظف الدنيا وصدمات الزمان.

والحقـيقة الـتى لا تخفى على الكثيرين هى أن الفنان الموهوب المبدع تطفو موهبته فوق كل ظروف الحياة من مآسٍ وأحزان ومصائب ومحن وأزمات لتظهر للعيان واضحة جلية لا شية فيها، وأن موهبة الفنان وإن طالت هناته وآلامه تستمر وتبقى لينال الاعتراف ويحظى بالتقدير حتى وإن مات فى الظلام يائساً من النجاح، لـيحظى هـؤلاء الرسامون المصورون الذين فارقوا دنيانا بجزيل التقدير وعظيم الثـناء مـع الإطراء الشديد على موهبتهم الفريدة وإبداعهم الفياض الأخاذ، وتنال لوحـاتهم الـتى اسـتطاعت أن تجذب الزوار من كل حدب ونسل وافر الإعجاب، وتقـدر أسـعارها حالـياً بالمال الوفير بل ويفوق الكثير منها وزنها ذهباً وفضة.. فعجـباً لحـال الدنيا وساكنيها، فكثير من رسامى هذه اللوحات الغالية الثمينة ماتوا فقـراء معدمين، والأغرب أن كثيراً أيضاً ممن شهد لهم العالم وخبراء الفن بالنبوغ والعـبقرية فـارقوا الحـياة تعساء بؤساء دون أى اعتراف بهم أو التفات لهم، بل عاشـوا معاناة الجحود والنكران، حتى جاء الاعتراف بفنهم والتقدير لموهبتهم بعد فـناء حياتهم وضياع آمالهم، فهذه هى دنيانا لا يتم الالتفات فيها للشئ إلا بعد فقده، ولا يتم تقديره إلا بعد إهماله، وكأنما كان يعنيهم المعَرِى بقوله:

أعَيّبونيَ حيّاً، ثم قامَ لهمْ مُثْنٍ، وقد غيّبوني؟ إنّ ذا عجبُ!

وكان منهجى فى هذا الكتاب هو عرض سيرة الفنانين من الأقدم إلى الأحدث، مـع الحـرص على اختيار من ينتمون لأهم مدارس التصوير الزيتى المختلفة من القرن الخامس عشر وحتى القرن العشرين، مع عرض لوحات من أعمالهم المهمة، محـاولاً اختـيار أشكال مختلفة للمعاناة، ومتحرياً الموضوعية الكاملة فى العرض والتناول.

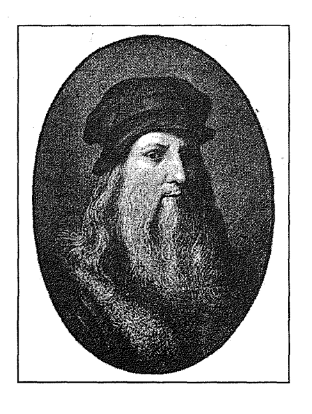
ورغـم أن الطبـيعة البشـرية تجعل كل إنسان يرى أن معاناته أكبر من كل معاناة البشر فهى الأعظم الأضخم وإن صغرت، إلا أن أملى بعد قراءة هذا الكتاب والتعرف عن قرب على معاناة الآخرين والصعاب التى صادفوها والصدمات التى واجهوها ربما تهون على قارئه أى ضائقة أو نائبة.. فلنقرأ جميعاً ونتأمل ونتفكر، لنخرج فى النهاية بحقيقة مفادها أن الحياة هى دار الأزمات، وأن الإنسان دائماً فى مواجهة مع المحن والمشقات.. (والله خير حافظا.. وهو أرحم الراحمين).

د أسامه الفقى

القاهرة – ٢٠٠٨م

ليوناردو دافنشي (١٤٥٢-١٥١٩م) Leonardo da Vinci

١



لم تخلُ حـياة الأسطورة عملاق فن النهضة الإيطالى ليوناردو دافنشي من صـعاب الدنيا وأزمات الحياة، فرغم أنه كان أشهر فنانى عصره وأكثرهم تفوقـاً ونجاحاً كرسام ونحات ومعمارى، كما استطاع أن يخطف الأبصار بشـغفه الدائم للمعرفة والبحث – خاصة فى مجال علم التشريح والبصريات وعلم الحركة – حتى أصبح واحداً من العلماء المبتكرين المخترعين، إلا أنه لم يكن أسعد الـناس بما وصل إليه وحققه من مكانة لا تضارعها مكانة أخرى عاشها في حياته ولازمـت اسمه بعد مماته، فقـد كان له نصيب من الضنك وشئ من الهم والحزن خـلال مشواره ورحلة كفاحه، وذلك منذ ولادته كابن غير شرعى لأب كاتب عدل وموثـق عقـود مرموق من عائلة غنية، وأم فلاحة فقيرة تدعى كاترينا وذلك فى الخامس عشر من أبريل سنة ١٤٥٢م بقرية فينشى التى تبعد نحو خمسة وعشرين مـيلاً غـرب فلورنسـا بعـد أن حملـته أمه سفاحاً وولدته عن زنا فرفض الأب الاعـتراف به، وتزوج من فتاة أخرى صغيرة السن فى السادسة عشرة من عمرها تدعى البيرا من عائلة كبيرة ثرية، إلا أنها لم تنجب. ولما طال انتظارهما للإنجاب بـلا فـائدة انتزع الأب ابنه ليوناردو وهو فى الخامسة من عمره ليتربى معه ومع

زوجته العاقر ووسط عائلة أبيه وجده وعمه، فحرم الابن من حنان الأم فى تلك السن الصغيرة، وذلك رغم معاملة زوجة أبيه الطيبة له والتى كانت تحبه وتعطف عليه وتعتبره كابنها، إلا أنها ماتت لسوء الحظ فى سن صغيرة فعانى ليوناردو مجدداً الوحدة والحرمان. أما أمه فقد تزوجت هى الأخرى من رجل حرفى وانتقلت معه إلى قرية قريبة.. لينتقل الأب بعد وفاة زوجته مع ابنه إلى فلورنسا حيث تزوج من امرأة ثانية تدعى فرانشسكا لانفريدينى وأنجب عدداً من الأطفال غير الأشقاء لليوناردو، كان أولهم أنطونيو سنة ١٤٧٦م بعد حوالى أربع وعشرين سنة من التوقف عن الإنجاب ليتوالى إنجاب الأب لعدد كبير من الأبناء من زوجة ثالثة ورابعة حتى وصل عدد إخوة ليوناردو غير الأشقاء من أبيه وأمه إلى سبعة عشر أخا وأختا.

وقد اهتم أبوه بتعليمه وألحقه بمدارس فلورنسا حيث تلقى أفضل ما يمكن أن يتلقاه من علوم ومعارف وفنون، فكانت فلورنسا فى ذلك الوقت المركز الرئيس للعلوم والفنون بإيطاليا، فأظهر ليوناردو تقدماً ملحوظاً وتفوقاً بارزاً ساعده عليه حبه للعلم، كما نال إعجاب معلميه نتيجة لحديثه اللبق وشخصيته الجذابة، وفى سن الرابعة عشرة أرسله أبوه لمرسم فنان فلورنسا البارز فيروتشيو فتدرب أفضل تدريب، ويروى أن معلمه قد طلب منه ذات مرة فى حوالى سنة ١٤٧٠م أن يرسم ملاكاً للوحة تعميد السيد المسيح التى كان يعدها، فرسم ليوناردو الملاك الجاثم على ركبته فى يسار اللوحة بدقة عالية وربما رسم أجزاء أيضاً من المنظر الطبيعى باللوحة، وعندما شاهد المعلم ما صنعته يد تلميذه من دقة وروعة أصابه الذهول لتفوق تلميذه عليه وقرر حينذاك أن يترك الرسم تماماً ويتفرغ للنحت بقية حياته، لينضم ليوناردو لنقابة الرسامين بفلورنسا سنة ١٤٧٢م، ومع ذلك استمر فى مرسم معلمه لحوالى خمس سنوات أخرى حتى قرر الاستقلال بنفسه سنة ١٤٧٨م وبدأ يتلقى طلبات باسمه.

إلا أن أصعب ما مر به ليوناردو فى تلك الفترة وربما فى حياته كلها هو اتهامه مع عدة شباب آخرين سنة ١٤٧٦م بتهمه شنيعة تعد من أحقر ما يمكن أن يتهم به رجل، فقد اعتقل مع ثلاثة آخرين من أصدقائه بتهمة اللواط وتم التحقيق معهم غير أن التهمة لم تثبت عليه وتم الإفراج عنه، ومع ذلك فقد لوثت تلك الفضيحة اسمه وسببت له سمعه شخصية رديئة، إذ علق الاتهام فى صحيفة على حائط القصر العتيق وكان الاتهام موجهاً لأحد شباب البلدة الذى اتهم مجموعة من شباب فلورنسا بإعداد حفلات ماجنة، وذكر اسم ليوناردو كأحد الذين ارتبطوا معه

بعلاقة شاذة، فقد كانت فلورنسا آنذاك تعج بأنواع شتى من الشذوذ وعلى رأسها اللواط، ومع أن ليوناردو لم تثبت عليه تلك التهمة إلا أن الحديث عن شذوذه الجنسي أو خنوثته أخذ يطارده بعد ذلك بقوه، خاصة وأنه لم يتزوج طوال حياته أو يذكر عنه إقامة أى علاقة عاطفية أو جنسية مع أى سيدة، وفى ذلك يذكر الكثيرون من علماء النفس – وعلى رأسهم عالم النفس الشهير فرويد بعد دراسته للسيرة الذاتية للفنان – أن حبه لأمه وافتقاده لحنانها جعله لا يقرب النساء ويرى فيهن أمه، ولذلك فقد قرر ليوناردو السفر لميلانو سنة ١٤٨٢م هرباً من كلام الناس ونظرات عيونهم والتى كانت تؤرقه وتعذبه، وذلك بأن أرسل لدوق ميلانو لودوفيكو سفورزا برسالة يخبره فيها بقدرته على نحت التماثيل البرونزية والرخامية وبناء الجسور المتنقلة وصناعة القاذفات والمدرعات ومكائن الحرب الأخرى، وبالفعل وصل ليوناردو إلى ميلانو فى تلك السنة.. غير أن أسوأ ما مر به ليوناردو فى هذه الفترة هو تفشى الطاعون فى ميلانو والقرى المحيطة بها فى سنة ١٨٨٤م فقضى على نحو خمسين ألف شخص، كما اندلعت الحرب فى ذلك الحين أيضاً بين لومبارديا وفينيسيا مما هدد ميلانو بالدمار، وقد أدت تلك الأحوال القاسية التى عايشها ليوناردو إلى ترك أثر أسود قاتم على شخصيته وروحه وكتاباته التى اتسمت بالشعور العبثى الفاقد للأمل فى الحياة، حتى انحسرت حدة ذلك الوباء سنة ١٤٨٥م وبدأت المدينة فى استعادة رونقها من جديد ووفد إلى ميلانو كثير من العلماء والفنانين، وكان ليوناردو قد التحق بالفعل بخدمة دوق ميلانو ورسم هناك العديد من اللوحات من الهامه، من أهمها نسخته الأولى من لوحته عذراء الصخور سنة ١٤٨٥م والتى أعاد رسمها مرة أخرى سنة ١٥٠٦م (صورة رقم (١))، ولوحته الجدارية الشهيرة العشاء الأخير سنة ١٤٩٥م، بالإضافة للعديد من اللوحات التى فُقد أغلبها، كما شرع فى صناعة نصب فروسى برونزى هائل تخليداً لفرانسيسكو سفورزا أبى الدوق لودوفيكو الذى لو اكتمل لأصبح ارتفاعه أكثر من سبعة أمتار، ووزنه حوالى واحد وسبعين طنا، وبالفعل قام بتنفيذ الهيكل الطينى للحصان والذى بلغ ارتفاعه حوالى خمسة أمتار، وتم توفير كميات كبيرة من البرونز لصناعة التمثال إلا أن بوادر الحرب الوشيكة أجبرتهم على توقف المشروع وإعادة أخذ البرونز مرة أخرى لاستخدامه كقاذفات للمدافع وصناعة أدوات الحرب، فتم ترك الهيكل الطينى على حاله، ومع اندلاع الحرب واحتلال الجيوش الفرنسية لميلانو فى ديسمبر سنة ١٤٩٩م هرب ليوناردو مسرعاً من تلك الاضطرابات ليعود إلى فلورنسا ماراً بمدينتى مانتوا وفينيسيا، بينما تحطم نموذجه الطينى فى ميلانو بأيدى

الجنود الفرنسيين الذين استعملوه كهدف لنبالهم أثناء التدريب، والذى كان ليوناردو قد عكف على إنجازه لفترة امتدت إلى حوالى ستة عشر عاماً.

وفى فلورنسا انشغل ليوناردو بعلم الرياضيات وتابع دراساته فى علم التشريح وذلك بتشريح الجثث بمستشفى سانتا ماريا، كما شرّح فى إحدى المرات جنيناً عمره ستة أشهر ليدرس الحجوم النسبية للأحشاء ودراسة المشيمة الإنسانية، وذلك بعد أن قام بتشريح بقرة حامل وتدوين ملاحظاته، كما اهتم أيضاً بالطيران فكان يشترى الطيور ويطلق سراحها لتطير أمامه ليراقب آلية تحركها وسجل بالرسم فى ثلاث عشرة صفحة أشكالاً للطائرات اليدوية البسيطة وتصميم واحد لمروحية حلزونية، كما رسم أشهر لوحاته موناليزا سنة ١٥٠٣-١٥٠٦م والذى كان يوليها اهتماماً خاصاً لدرجة أنه كان يأخذها معه فى كل سفرياته اللاحقة، وقد كانت تلك اللوحة سبباً فى إعادة الثقة إلى نفسه بعد حالة الانكسار والتوقف عن الرسم التى عاناها سنة ١٥٠٤م واستمرت معه لقرابة عامين كاملين، وذلك بعد أن تم الاتفاق معه سنة ١٥٠٣م على رسم لوحة تصور معركة انجيارى التى وقعت فى يونيه سنة ١٤٤٠م بين فلورنسا وميلانو على أن تنجز اللوحة خلال عام واحد فقط، بالتحديد قبل فبراير سنة ١٥٠٤م، وبالفعل بدأ ليوناردو بالعمل فى اللوحة، ورغم أنه كان يعمل بهمة ونشاط إلا أن الجدار الذى أعده للرسم عليه تساقطت عنه طبقة أرضية التصوير وانهارت فى العديد من المواضع، وهو ما اعتبر خطأ ليوناردو، فأدى ذلك إلى أن دخل فى أزمة نفسية حادة نتيجة لفشله فى تلك اللوحة وسقوطها، وعاش حياة متقشفة كارهاً للحياة مبتعداً عن التصوير لفترة من الوقت.

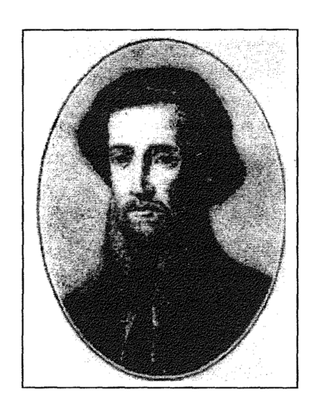
وجاء موت أبيه فى التاسع من يوليو سنة ١٥٠٤ سبباً لخلاف كبير مع إخوته غير الأشقاء على عقار والده وميراثه والذين أرادوا حرمانه منه باعتباره ابناً غير شرعى، ليعود ليوناردو إلى ميلانو سنة ١٥٠٦م ليعمل فى بلاط الملك تشارلز الثانى، ومع ذلك كان دائم التنقل بين ميلانو وفلورنسا خاصة فى سنة ١٥٠٧م فى محاولة لحل المشاكل مع إخوته غير الأشقاء حول ميراث أبيهم، ليتجدد الخلاف بعد ذلك نتيجة لموت عمه فرانسيسكو ليصل إلى حد الشجار على الميراث وكان ذلك من أسباب ضيقه وحزنه، فرغم أن قيمة الإرث كانت ضئيلة ولا تدعو لكل هذا الصراع إلا أن ليوناردو كان قد ضاق بسلوك إخوته المستمر نحوه، فقرر العودة لفلورنسا لمقاضاتهم غير أن إجراءات القضية استمرت لفترة طويلة تكبد فيها ليوناردو كثيراً من المعاناة والحزن والقلق، حتى صدر الحكم فى النهاية لصالح ليوناردو فعاد إلى ميلانو التى غادرها فى سبتمبر سنة ١٥١٣م بعد وفاة

حاكمها وتعرض ميلانو لعدد من القلاقل والفوضى، وتوقف فى فلورنسا حتى وصل إلى روما فى ديسمبر من نفس العام ليعمل فى خدمة الأمير جيوليانو دى ميديشى شقيق البابا ليو العاشر واللذين شملاه بالرعاية وقدما له مسكناً فى الفاتيكان، كما قرر دى ميديشى صرف راتب شهرى كبير له، فلم تكن ترد لليوناردو طلبات للرسم كبيرة تناسب قدره بينما كان الفنانون الأصغر كرافاييل ومايكل أنجلو وغيرهم يعملون فى نشاط لإنهاء الطلبات العديدة التى كانت تصلهم، فكانت مشاعر الإحباط والمرارة تحيط بليوناردو نتيجة لكبر سنه فتفرغ لتجاربه العلمية وبعض الاستشارات الفنية، وحتى فى بحثه فى مجال التشريح وعلم وظائف الأعضاء تعرض لبعض المضايقات عندما أرسل بعض الحاسدين الحاقدين برسائل الى البابا يحرضونه عليه، مدعين بأنه يرتكب الإثم بتمزيق جثث الآدميين والعبث بها فأصدر البابا قراراً بمنعه من تشريح الجثث ومن دخول المستشفى الذى كان يمارس فيه تجاربه، وجاء موت راعيه الأمير دى ميديشى سبباً فى قبول دعوة الملك الشاب فرانسوا الأول ملك فرنسا سنة ١٥١٦م باستضافته، فسافر ليوناردو إلى فرنسا بصحبة تلميذه ورفيقه فرانسيسكو ميلزى حيث أعد له الملك مسكناً رائعاً فى قلعة كلو بالقرب من قصره الصيفى فى إمبواز، وخصص له راتباً ضخماً يناسب مكانته العالية الكبيرة تاركاً له حرية العمل والحياة كما يريد معتبره ضيف شرف لديه، فقضى ليوناردو أغلب وقته فى دراساته العلمية ورسم بعض التخطيطات التشريحية للقطط والخيول وغير ذلك مما كان يدور فى خلده، بالرغم من معاناته الكبرى نتيجة لإصابته بشلل فى يده اليمنى، إلا أن إصراره لمزاولة عمله الذى أحبه كان فائقاً فاستمر رغم ألمه فى عمل التخطيطات والرسومات مستخدماً فى ذلك يده اليسرى، وكان الوهن والمرض قد اشتد عليه حتى مات ليوناردو دافنشي فى الثانى من مايو سنة ١٥١٩م – وهو فى السابعة والستين من عمره – بين ذراعى الملك فرانسوا الأول الذى غدا صديقاً قريباً له فى مشهد درامى حزين رسمه كثير من الفنانين الفرنسيين فى لوحات رومانتيكية مؤثرة، رغم ما يشوب القصة من بعض المبالغة التصويرية لتصل إلى حد الأسطورة، ليرث فرانسيسكو ميلزى – تلميذ ورفيق ليوناردو والذى كان يصغره فى السن كثيراً – لوحاته ورسوماته التخطيطية ومكتبته وأدواته بالإضافة للمال الذى كان معه، ونتيجة لمرافقة ميلزى الرجل الوسيم لليوناردو لفترة طويلة جعل البعض يعتبر أن عاطفة ليوناردو تجاهه كانت عاطفة محبة وعشق، وإن علاقته به تكاد لا تخلو من طبيعة جنسية على اعتبار شذوذه الجنسى.. ورغم موت ليوناردو دافنشى

إلا أن اســـمه ظل وهاجاً كالشمس لم ينطفئ أو يخبُ للحظة منذ موته وحتى وقتنا الحاضر.

مـــن لوحاتنا الشهيرة أيضاً: لوحة تعميد السيد المسيح سنة ١٤٧٢-١٤٧٥م، ولوحـــة القديـــس جـــيروم سنة ١٤٨٠م (صورة رقم (٢))، البشارة سنة ١٤٧٨-١٤٨٢م، إعجـــاب المجـــوس سنة ١٤٨١-١٤٨٢م، يوحنا المعمدان سنة ١٥١٣-١٥١٦م.

بوردينون (١٤٨٣-١٥٣٩م) Pordenone





قاده المكسب الزائل والطموح الزائد والأمل فى النجاح الهائل الذى حصد منه الكثير إلى الخسران المبين، ففقد الأخ وضاع منه الصديق والرفيق، كما ساءت عاقبته وعُجلت خاتمته، فهو رسام إيطالى اسمه الأصلى جيوفانى أنطونيو ساكيس والذى أطلق على نفسه اسم البلدة التى ولد بها وهى قرية بوردينون بشمال إيطاليا مُسقطاً اسمه ومتنكراً لاسم عائلته بعد أن دخل فى صراع مع إخوته نتج عنه إصابته وجرح يده.. ورغم وجود عدد كبير من الرسامين المتميزين فى بلدته والبلدات المجاورة لها فى ذلك الوقت إلا أنه استطاع أن يخطف الأبصار بموهبته الفنية، ويقال إن أولى لوحاته التى عرضت عليه لرسمها كانت من بقال قريته ليتفاخر بها وقد استطاع بوردينون أن ينجزها فى الوقت المحدد رغم استعجال البقال عليها، وهكذا نجح فى تثبيت أقدامه وذاع صيته فنفذ العديد من الأعمال فى بوردينون وخارجها وتنقل بين كافة أنحاء شمال إيطاليا مصوراً العديد من اللوحات هناك، كما ذهب إلى روما فى حوالى سنة ١٥١٥م وتأثر بفن مايكل أنجلو ورافاييل، فزاد الطلب عليه ورسم عدداً كبيراً من اللوحات

الفنـــية لكثـــير من الكنائس والكاتدرائيات أهمها لوحاته الجصية بكاتدرائية كريمونا ســـنة ١٥٢١م وبكاتدرائـــية تريفيزو سنة ١٥٢٠ – ١٥٢٢م وبكنائس بياسينزا سنة ١٥٣١م وغيرها الكثير، وذلك لأسلوبه الفنى المتقن خاصة فى رسم الجسد البشرى فـــنال جانباً كبيراً من النجاح والشهرة، ثم انتقل إلى فينيسيا فى حوالى سنة ١٥٢٧م ونافس الفنان الشهير تيشان بقوة، ولما أدرك حقيقة سيطرة تيشان على الفن بفينيسيا تـــرك المدينة بالكامل وتنقل بين العديد من المدن الأخرى مثل جنوا وفيرارا حتى عـــاد إلـــى فينيسيا مرة أخرى بعد ذلك سنة ١٥٣٦م تقريباً مصوراً بعض اللوحات الناجحة فى قصور وكنائس وكاتدرائيات المدينة.

إلا أن شخصـــية بورديـــنون الحادة وطبعه العنيف أخسره الصداقات وأكسبه العـــداءات، فكثـــيراً مـــا حـــاك المؤامرات ضد زملائه الفنانين المصورين لكسب مشاريع الرسم والتصوير، وقد وضح ذلك بصفة رئيسة عند تنفيذ اللوحات الجصية بكاتدرائية كريمونا وهو لا يزال فى الثامنة والثلاثين من عمره فخطط لطرد الفنان الذى بدأ العمل بالفعل هناك ليتولى إكمال اللوحات بنفسه، وبالفعل تم ما أراد ونال المراد فجلبت له تلك اللوحات الكثير من الشهرة بعد ذلك.

وقـــد لازم بوردينون التوتر والقلق وسيطر على جانب كبير من حياته فعاش فـــى خـــوف لدرجة أن السلاح كان لا يفارقه، وفى أحيان كثيرة كان يرتديه أثناء إنجاز لوحاته، ولم يقف الحد عند المنافسين فقط وإنما امتد طبعه العنيف وتصرفاته الإجرامـــية المتهورة إلى أخيه أيضاً فاستأجر القتلة لقتله ليرث عقار أبيه المتوفى، فكـــان الطمـــع دافعه والجشع محرضه.. حتى جاء اليوم الذى حصد فيه بوردينون حصـــيلة عدائه للآخرين وتآمره ضدهم، وذلك عندما ذهب إلى مدينة فيرارا بدعوة رســـمية مـــن دوق المدينة المحب للفنون لتصميم سلسلة من المنسوجات المصورة لـــبلاطه، إلا أنه لم يكملها بعد أن مات فجأة بعد حوالى سنة واحدة فقط من وصوله للمديـــنة، فقد دس له أحد فنانى المدينة من منافسيه السم فى طعامه بإحدى الحانات هناك بعد أن سيطر على كثير من زملائه الكره له والحقد عليه والغيرة منه، ليسقط بذلك ميتاً بعد أن عانى آلاما شديدة حادة بعد تناوله الطعام مباشرة ودفن فى كنيسة ســـان بـــاولو بمدينة فيرارا التى توفى بها فى يناير سنة ١٥٣٩م وهو فى السادسة والخمســـين مـــن عمـــره ليخبو اسمه إلى حد كبير بعد وفاته، ليكون ربحه هواناً ومكسبه خسراناً والحصيلة فى النهاية بغض ومقت ونكران.

وتوجـــد له حالياً العديد من اللوحات فى بعض المتاحف والمعارض الفنية مثل المعرض الوطني بلندن وميلانو ومتحف فيلادلفيا وغيرها، كما حطمت أيضاً الكثير من أعماله عمداً خاصة فى فينيسيا من قبل بعض الكارهين له الناقمين عليه.

مـــن أشـــهر لوحاته: لوحة مادونا والطفل مع القديسين سنة ١٥٢٥م (صورة رقم (٣))، ولوحة القديس لورينزو وقديسين آخرين سنة ١٥٣٢م.

نيكلوس مانويل (١٤٨٤- ١٥٣٠م) **Niklaus Manuel**





كان أحـــد الشخصـــيات الفنية البارزة فى القرن السادس عشر الميلادى، وإلى جانب كونه رساماً متميزاً كان أيضاً شاعراً وكاتباً ورجل دولة مـــن الطـــراز الأول، وهـــو ابن عطار إيطالى هاجر إلى سويسرا واستقر بها.. أما عن تعليمه الفنى الأول فلا يعرف شئ واضح عنه مما دعا الكثير مـــن الـــنقاد ومؤرخى الفن إلى الاقتناع الكامل بأنه علم نفسه بنفسه، وإن كان من المحتمل أنه قد تلقى بعض التدريبات الفنية الأولى فى كولمار بفرنسا ثم فى فينيسيا بإيطالـــيا علـــى يد الفنان الشهير تيشان، كما تدرب أيضاً فى مرسم أحد الرسامين التزينييـــن علـــى الـــزجاج والذى برع فيه أيضاً فرسم العديد من الرسومات على الـــزجاج مـــنذ عام ١٥٠٨م، أما عن أقدم لوحاته المصورة المعروفة وربما أولها فـــترجع إلى سنة ١٥١٥م وهى لوحة القديس اليجيوس والتى وضعت بكنيسة مدينة برن السويسرية مسقط رأسه.

وقـــد أمضـــى نيكلوس مانويل الفترة من سنة ١٥١٦ إلى ١٥٢٢م كجندى مع قـــوات المرتزقة فى إيطاليا وقاتل ببسالة مع الفرنسيين فى لومباردى إلا أنه جرح

فـــي يـــده خلال حصار نوفارا ليعود إلى سويسرا ويستقر بها نهائياً.. والحقيقة أنه كان كثيراً ما يمر بأزمات مالية مما اضطره إلى رسم وتصوير أى شئ يطلب منه فـــي ســبيل المال دون أى تمييز بين عمل وآخر، وقد تناول فى لوحاته المواضيع الكلاســيكية الدينية والأسطورية، ومن أهم أعماله لوحة رقصة الموت سنة ١٥١٦ - ١٥١٩م والــتى رســمها لديــر الآباء الدومينيكان فى برن إلا أنها حطمت سنة ١٦٦٠م، ولوحـــة قطـــع رأس يوحنا المعمدان سنة ١٥٢٠م حيث اتسمت كثير من أعماله بالمواضيع السقيمة للأشباح والموت.

وقـــد عين نيكلوس مانويل قاضياً عام ١٥٢٣م كما انتخب عضواً فى المجلس المحلـــى لمدينة برن، وتبنى المطالبة بالإصلاح فنادى بضرورة الإصلاح السياسى مـــن خـــلال العديـــد من كتاباته وقصائده الشعرية التى اتسمت بالانفعالية والجرأة الملحوظـــة، كمـــا كـــان أيضاً من أشد المعارضين لسياسة البابا وكتب العديد من القصـــائد الشعرية الهجائية لهذه السياسات، فبدأت المصاعب والمشاكل تلاحقه بقوة مـــن كل جهة، فتورط فى العديد من النزاعات السياسية والدينية والتى انهكت قواه فغلبه اليأس وضاقت به الحياة، إلا أن إصراره لبلوغ آماله وتحقيق طموحاته جعلته يصمد بصلابة وعناد، وشيئاً فشيئاً تنازل هذا الفنان الموهوب عن موهبته الفنية فى ســبيل هدفـــه الأسمى وهو مستقبل بلاده فترك الرسم والتصوير الذى كان يعشقه ليـــتفرغ للمطالـــبة بالحركة التصحيحية مؤلفاً العديد من المسرحيات الانتقادية، من أهمهـــا مســـرحية البابا وكهنته، والكثير من الكتابات والمقالات والأشعار فى هذا المضـــمار بمـــثابرة وإخـــلاص دون كلـــل أو ملل ودون أن تؤثر عليه المعوقات والأزمـــات، وذلـــك حتى وفاته فى الثامن والعشرين من أبريل سنة ١٥٣٠م ببرن بسويسرا.

مـــن أعماله المهمة أيضاً: لوحة القديس لوقا يرسم لوحة السيدة العذراء سنة ١٥١٥م (صورة رقم (٤))، ولوحة قرار باريس سنة ١٥١٧-١٥١٨م.

جاكوبو بونتورمو (١٤٩٤-١٥٥٧م) Jacopo Pontormo





عاش الوحـــدة والقلـــق والحرمان ولازمه الألم وصاحبته المعاناة، ومع ذلك وصل لقمة النجاح والشهرة، إلا أنه مات مريضاً خائفاً حزيناً فى عزلة قاتلة قادته إليها أفكاره الغريبة وأوهامه المريرة.

وهـــو فنان إيطالى اسمه الأصلى جاكوبو كاروتشى ولد فى الرابع والعشرين مـــن مـــايو سنة ١٤٩٤م لأب رسام يدعى بارتولوميو كاروتشى والذى كان كثير السـفر والـــترحال حتى وصل به المطاف إلى مدينة إمبولى بإقليم توسكانا بإيطاليا والـــتى تقع على بعد ٣٠كم غرب فلورنسا واستقر ببلدة بونتورمو الصغيرة القريبة مـــنها، وتزوج هناك من فتاة تدعى أليساندرا وأنجب منها جاكوبو الذى اشتهر بعد ذلـــك باسم هذه القرية، إلا أن الأب سرعان ما مات سنة ١٤٩٩م والطفل لا يزال فـــى الخامســـة من عمره لتلحق به زوجته سنة ١٥٠٤م بعد حوالى خمس سنوات أخـــرى لينـــتقل الطفـــل إلى رعاية جده وجدته لأمه، إلا أن الجد فارق الحياة سنة ١٥٠٦م بعـــد سنتين فقط من رحيل ابنته ليبقى الطفل جاكوبو فى رعاية جدته لأمه التى حرصت على تعليمه القراءة والكتابة وقواعد اللغة اللاتينية إلا أنها لم تقو على

الاستمرار في رعايته ومتابعته خاصة وأن صحتها كانت تسوء يوماً بعد يوم، فأخذته وهو في الثالثة عشرة من عمره إلى فلورنسا وتركته تحت وصاية المحكمة برئاسة القاضي كما كان متبعاً في ذلك الوقت، وعادت هي إلى بونتورمو حيث ماتت مباشرة بعد وصولها.. أما جاكوبو فقد أودعته المحكمة ببيت رجل إسكافي كان له قرابة بعيدة به لرعايته، وانتقلت رعايته بعد ذلك من بيت لآخر لأكثر من مرة حتى دخل إلى مرسم الفنان أندريا ديل سارتو سنة ١٥١٢م وهو في الثامنة عشرة من عمره فتأثر بأسلوبه الفني بقوة إلا أنه لم يمكث عنده طويلاً ربما لسوء المعاملة، وكان أول ما رسمه هو لوحة إعلانية لخياط صديقه غير أن الخياط مات قبل أن يستلم اللوحة التي لم تكن قد انتهت بعد فاحتفظ بها جاكوبو وأصبح يريها لكل من يزوره حتى شاهدها ذات مره الفنان رافاييل في زيارته لفلورنسا فتعجب من روعتها وتنبأ بنجاح صانعها.

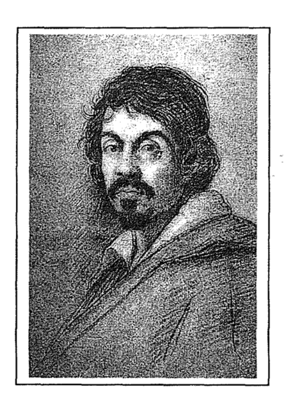
وقد استمر جاكوبو يكافح ويتعلم، وإن كان اليتم الذي عاشه منذ حداثة سنه قد أكسبه شعوراً بالوحدة والكآبة والحزن العميق الداخلي غير أنه استطاع بإصرار وعزيمة أن يحول مشاعره المتوترة القلقة إلى نجاح وتميز، إذ انخرط في العمل الذي كان ملاذه الوحيد، واستطاع في وقت قصير أن يجذب الانتباه إليه وهو ما أدى إلى محاربته من جانب عدد من فناني المدينة خاصة لصغر سنه، فعاني في تلك الفترة ضيق ذات اليد والفقر المدقع إلا أن شخصيته المثابرة وموهبته الخلاقة جعلته يتقدم مرة أخرى، فرسم لوحات رائعة لعدد من كنائس فلورنسا كما زخرف في سنة ١٥٢١م مدخل قاعة قصر الكردينال دي ميديشي في بروجيو مبتعداً في لوحاته عن الإطار التقليدي للرسم، فتميزت لوحاته بالمنحنيات الطويلة المتموجة التي عكست مزاجه العصبي القلق.. وعندما اندلع الطاعون في فلورنسا سنة ١٥٢٢م هرب جاكوبو مع الهاربين خوفاً من العدوى واستقر بمنطقة سيرتوسا والتي تبعد حوالي ثلاثة أميال من فلورنسا فشعر هناك بالراحة والهدوء ونفذ سلسلة من اللوحات الجصية في دير كارثيسيان هناك، وعندما انتهى الطاعون سنة ١٥٢٥م عاد مرة أخرى إلى فلورنسا، وكان نجمه قد بزغ وشهرته قد علت فرسم عدداً رائعاً من اللوحات التي خطفت الأبصار كما زين كنيسة القديس لورنزو بمجموعة رائعة من اللوحات الجصية المتميزة، وأصبح من أهم الشخصيات الفنية في فلورنسا في ذلك الوقت.

ومع كل هذا النجاح إلا أنه كان دائماً حزيناً يشعر بالاستياء والضيق والتعاسة، وقد زاد هذا الشعور عليه مع كبر سنه وإصابته بمرض الاستسقاء

فانزوى بعيداً عن الناس خاصة فى العشر السنوات الأخيرة من حياته ليعيش وحيداً دون أنــيس أو جليس أو حتى خــادم يطهو له أو يساعده فى شئ فــزاد ذلك من اضــطرابه العصبى وأدى لمرضه النفسى، وكان الخوف يلازمه والأوهام تلاحقه فكــان ذكر الموت هو أكثر شئ يخيفه ويرعبه لدرجة أنه كان لا يطيق سماع هذه الكلمة فى أى مجلس أو مكان يكون فيه، كما كان يتفادى بكل السبل رؤية الأموات أو حضــور الجــنازات، ويتجنب الذهاب للأماكن المزدحمة أو حتى الخروج فى الأعــياد أو المناسبات خوفاً من إصابته بسوء أو مكروه، فكان يفضل الوحدة الذى اعــتادها وألفهــا حتى سقط ميتاً فى الثانى من يناير سنة ١٥٥٧م وهو فى الثانية والســتين مــن عمره بمدينة فلورنسا بإيطاليا وسط أعماله الفنية التى خلدت اسمه حتى الآن.

من أشهر لوحاته: لوحة ليدا والبجعة سنة ١٥١٢-١٥١٣م، يوسف في مصر سنة ١٥١٥-١٥١٨م، العشاء في عمواس سنة ١٥٢٥م (صورة رقم (٥))، ولوحة الزيارة سنة ١٥٢٨-١٥٢٨م.

كارافاجيو (١٥٧١- ١٦١٠م) Caravaggio





لم تقف شهرة كارافاجيو عند حد لوحاته الرائعة الساحرة التى جعلت منه الممثل العظيم لفن الباروك وإنما اشتهر أيضاً بعصيانه وعناده وعصبيته التى فاقت كل الحدود، فعاش حياة عاصفة هارباً مطارداً متقلباً بين ضوء الشهرة وظل السجن والهروب.. واسم كارافاجيو الحقيقى هو ميكل أنجلو ميريسى ولد فى الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٥٧١م لعائلة كريمة فى قرية كارافاجيو الصغيرة بشمال إيطاليا، والذى سمى بعد ذلك باسم هذه البلدة مسقط رأسه، وإن كان قد أشيع أنه ولد فى مدينة ميلانو وأن أسرته قد هاجرت وهو فى الخامسة من عمره إلى قرية كارافاجيو هرباً من طاعون أصاب البلاد وقضى على أغلب سكان ميلانو ليموت الأب بعد سنة واحدة فقط فى كارافاجيو ويحتفظ الطفل باسم هذه البلدة اسماً له، إلا أن من المؤكد أن كارافاجيو قد شب ونشأ نشأته الأولى فى قرية كارافاجيو ومنها أخذ اسمه الذى اشتهر به طوال حياته.

ومع ظهور موهبته فى الرسم والتصوير والتى بدأت تظهر بوضوح وهو فى الثالثة عشرة من عمره قررت عائلته إرساله إلى مرسم الرسام بيترزانو أحد الرسامين المتميزين فى ميلانو ليتدرب عنده، وبالفعل انضم لمرسمه لأربع سنوات تعلم فيها الكثير من أسرار الرسم والتصوير دون أن يتقيد بأسلوب معلمه أو يحذو حذوه وإنما خلق لنفسه أسلوباً خاصاً به، لينتقل بعد ذلك وهو فى الحادية والعشرين من عمره إلى روما بحثاً عن النجاح وبريق الشهرة وهو فى أشد حالات الحاجة والعوز، فلم يكن يملك شيئاً من المال أو الزاد، وكانت روما فى ذلك الوقت تغص بعدد كبير من الفنانين والرسامين البارزين ليصطدم كارافاجيو بواقع بائس قاسٍ، إلا أنه استطاع خلال سنتين فقط أن يثبت وجوده ويثبت أقدامه على أرض صلبة كفنان بارع مبدع لا يستهان به.

وقد اتسعت دائرة علاقاته الاجتماعية التى نجح فى تكوينها مع عدد كبير من أفراد الطبقة الارستقراطية والذين أصبحوا رعاة لفنه، فأنتج روائع تميزت بالتأمل العميق والفهم الشاعرى حتى زادت شهرته وذاع صيته، ورغم نجاح كارافاجيو الباهر واحتكاكه المباشر بالمجتمع الارستقراطى وحياة الأمراء والأثرياء، إلا أنه كان لا يزال يحتفظ بعصبيته المفرطة وغضبه السريع وشخصيته القلقة العنيدة فدخل فى مشاحنات عدة ومشاجرات عديدة كان لها أبلغ الأثر السئ على مستقبله وحياته فيما بعد، ففى عام ١٦٠٠م ضرب أحد زملائه الرسامين إثر مشادة بينهما، كما جرح أحد الجنود فى السنة التالية فى أثناء مشاجرة معه، كما دخل السجن سنة ١٦٠٣م نتيجة لاعتدائه على رسام آخر وأطلق سراحه بتوسط من السفير الفرنسى فى ذلك الوقت، وفى إبريل من سنة ١٦٠٤م وأثناء جلوسه على مائدة الطعام فى أحد المطاعم تملكه الغضب من نادل المطعم فألقى فى وجهه صحن الخرشوف الساخن فأصابه إصابة كبيرة حوكم على إثرها، وفى أكتوبر من نفس العام اعتقل بسبب إلقائه الحجارة على الجنود الرومان، كما قبض عليه أيضاً فى مايو من سنة ١٦٠٥م لسوء استعمال السلاح، وفى شهر يوليو من نفس العام جرح رجلاً آخر تعرض لعشيقته، إلا أن طيشه بلغ ذروته وغضبه وصل لأقصى حدوده فى مايو سنة ١٦٠٦م عندما قتل شاباً يدعى رانوكسيو توماسونى إثر مشاجرة عنيفة بينهما أثناء مباراة تنس ليدرك فى ذلك الوقت استحالة بقائه فى روما فخرج هارباً متخفياً مختبئاً من مخبأ إلى مخبأ حتى وصل فى النهاية إلى نابولى حيث إنها لا تتبع السلطة القضائية لروما، ليحقق هناك أيضاً نجاحاً فنياً كبيراً ويصبح من أشهر رسامى المدينة، ورغم ما حققه كارافاجيو من نجاح وشهرة إلا أنه لم يمكث فى

نـــابولى طويلاً فقد خرج منها متوجهاً إلى مالطا باذلاً مساعيه للحصول على عفو الــبابا عــن جريمة القتل التى ارتكبها فى روما.. وكالعادة استطاع كارافاجيو أن يحقــق نجاحـــاً هائلاً فى مالطا فرسم لوحات رائعة أهمها لوحة قطع رأس يوحنا المعمـــدان بالإضــافة لصور عدد من فرسان مالطا، إلا أن شخصيته الحادة العنيفة القاســية قادتـــه إلى شجار عنيف أصاب خلاله أحد فرسان مالطا إصابة خطيرة، ليعتقل ويسجن فى نهاية شهر أغسطس من سنة ١٦٠٨م ويحكم عليه بالطرد، غير أنـــه اســـتطاع الهروب إلى جزيرة صقلية ليمكث بها نحو تسعة أشهر، ثم عاد بعد ذلك إلى نابولى وقد ساءت حالته النفسية إلى حد كبير كما بلغ القلق من نفسه مبلغه فتغير سلوكه وأصبح غريباً شاذاً، كما أهمل هندامه وأصبح السلاح لا يفارقه حتى عــند نومـــه، حـــتى وصله عفو البابا فى صيف عام ١٦١٠م فقرر الذهاب لروما لاســتلام العفو حاملاً معه لوحاته الأخيرة وكله أمل فى أن يبدأ حياة جديدة مستقرة ناجحة ويكون مستقبله أفضل من ماضيه ويحتل صدارة الفنانين، وبالفعل أبحر من نـــابولى متوجهاً إلى روما، وعند توقف المركب فى أحد الموانى اعتقل كارافاجيو وسجن ليومين وعندما أطلق سراحه وجد أن المركب قد أبحر وتركه فحاول إكمال رحلـــته إلا أن القـــدر لم يمهله فقد أصابته حمى شديدة ليسقط ميتاً على إثر مرضه بعـــد أيـــام قلـــيلة فى الثامن عشر من يوليو من نفس العام وهو لم يتجاوز التاسعة والثلاثيـــن مـــن عمره.. إلا أن فن كارافاجيو لم يمت وبريق شهرته لم يخب، فقد اعتبر زعيم الرسامين الذين دعوا إلى العودة للطبيعة لاستلهام مواضيع لوحاتهم مع الاتجـــاه لرســـم الأحداث العادية التى تحدث فى الحياة اليومية، إلى جانب اتجاهه لرسم الأحداث والمواضيع الدينية بتأمل فكرى عميق ليصبح فنه علامة مميزة لفن القرن السابع عشر، كما تأثر بأسلوبه العديد من الفنانين الذين جاءوا من بعده، وإن كانـــت الألوان الداكنة قد غلبت وسيطرت على معظم أعماله نتيجة لما صادفه من أهوال ومصاعب عبر مشوار حياته القصيرة.

مـــن أشـــهر لوحاته: لوحة باخوس سنة ١٥٩٦م، مريم المجدلية سنة ١٥٩٦-١٥٩٧م، القــبض علـــى الســـيد المســـيح سنة ١٥٩٨م، دافيد سنة ١٦٠٠م، يوحنا المعمـــدان سنة ١٦٠٤م، سالومى مع رأس يوحنا المعمدان سنة ١٦٠٧م، قطع رأس يوحنا المعمدان سنة ١٦٠٨م (صورة رقم (٦))، إنكار بطرس للمسيح سنة ١٦١٠م.

آرتيميسيا جينتيليسكى (١٥٩٣-١٦٥٣م) Artemisia Gentileschi



٦

في وقت لم تتجاوز فيه مهمة النساء أعمال الحياكة والتطريز وطهى الطعام وغير ذلك من الأعمال المنزلية بزغ نجم آرتيميسيا جينتيليسكى كواحدة مـن أبرز الفنانات السيدات فى عصر الباروك فى القرن السابع عشر، فقـد كانـت ابنة الفنان الإيطالى الشهير أورازيو جينتيليسكى (١٥٦٣ – ١٦٣٩م) الـذى لاحـظ موهبة ابنته الكبرى فى الرسم فأخذها الى مرسمه وهى فى السابعة لـتعاونه وتتلقى تدريبها الأول فتعلمت طرق خلط الألوان وإسقاط الضوء وتوزيع الظـلال، إلـى غير ذلك من أسرار الرسم وطرق التصوير، خاصة وأن أباها كان علـى علاقة مباشرة وقوية مع الفنان كارافاجيو وكان أول من حاكاه فى الأسلوب فـتأثرت آرتيميسـيا بالتبعية بفن كارافاجيو ورسمت لوحتها الأولى سوسنة وشيخا السوء وهى فى السابعة عشرة من عمرها والتى لاقت إعجاب كل من رآها، فأدرك أبوهـا فى ذلك الوقت أنه أمام موهبة جديرة بالرعاية فألحقها بمرسم صديقه الفنان أجوسـتينو تاسى (١٥٧٨ – ١٦٤٤م) لتتدرب على قواعد علم المنظور الذى كان متمـيزاً فيه بالإضافة لبراعته فى رسم المناظر الطبيعية والبحرية، إلا أن جاذبيتها وجمالهـا الخـلاب الفتان أثار خيال معلمها فكان فى كل مرة يراها يتأمل ملامح

وجهها الدقيقة ونضارة بشرتها وشعرها المموج المسترسل وأناملها الرقيقة وملابسها الناعمة القصيرة التى تكشف عن ساقيها الجميلتين، حتى جاء اليوم الذى انفرد بها ووجد الفرصة ملائمة فأخذ يداعبها بلطف ولما أعرضت عنه هاجمها بعنف وشراسة فحاولت الفرار ولما أمسكها دافعت عن نفسها بكل قوتها وأخذت تدفعه بيديها ورجليها بينما كانت تبحث عن أى شئ تصد به محاولته الدنيئة فأصابته بسكين صغير وجدته بجوارها، إلا أنها فى النهاية لم تستطع التغلب عليه ولم يستجب هو لاستجدائها وتوسلاتها فمزق ملابسها واغتصبها بوحشية شديدة وأفقدها عذريتها، لتمر الفتاة بتجربة قاسية مريرة وهى لا تزال فى التاسعة عشرة من عمرها.. وأمام انهيار الفتاة وثورة الأب المكلوم الذى صدمه غدر وخيانة صديقه الذى ائتمنه على ابنته الحبيبة ليعلمها فلم يصن الأمانة أو يحافظ على شرف الصداقة، وعد تاسى الأب بالزواج من الفتاة حفاظاً على سمعتها وسمعة عائلتها فوافقت الفتاة مرغمة مضطرة لتحتفظ بشرفها الضائع، إلا أن تاسى سرعان ما تنصل من وعده ونكث عهده فلجأ الأب الى القضاء طالباً القصاص والحصول على حقه وحق ابنته المسلوب، غير أنه أنكر فعلته تماماً كما أنكر خلوه بالفتاة من قبل، وأمام إصرار الفتاة على أقوالها اتهمها تاسى هى وأخواتها بالبغاء وتشعب علاقاتها وأنها فقدت عذريتها منذ مدة طويلة حتى قبل أن يتولى تدريبها الفنى، وأمام هذه الادعاءات خضعت آرتيميسيا للفحص الطبى لبيان التاريخ التقريبى لفقدان بكارتها، ونتيجة للإنكار الشديد من جانب تاسى واستهزائه باتهامات آرتيميسيا له ورغبة من المحكمة فى بيان حقيقة الادعاء تم تعريض الفتاة لأداة تعذيب معدنية تشد على أصابع اليد بقوة تزيد تدريجياً بينما تقوم الفتاة برواية الواقعة أثناء عملية التعذيب، حيث انتشرت هذه الطريقة قديماً فى القرن السابع عشر اعتقاداً أن الإنسان الكاذب لا يستطيع أن يروى نفس القصة بتفاصيلها المختلفة عندما يكون تحت ضغط عصبى أو نفسى وإنما لابد أن يخطئ فى الرواية.. وقد استمرت مداولات القضية لسبعة أشهر متتالية كانت حديث الناس فى كل مكان، وقد تفجرت خلالها مفاجآت عدة حيث تبين أن تاسى قد سبق واغتصب إحدى السيدات التى تزوجها بعد ذلك حلاً للمشكلة، كما أنه قد أقام علاقة محرمة مع أخت زوجته، بالإضافة إلى أنه خطط لسرقة بعض لوحات صديقه أورازيو والد آرتيميسيا، وكانت المفاجأة المذهلة هى أنه صاحب التدبير فى جريمة قتل زوجته التى كانت متغيبة لفترة طويلة وكان غيابها مثار استفهام كثير من جيرانهم ومعارفهم.. ورغم بشاعة فعلته إلا أنه لم يحكم عليه بأكثر من سنة فى السجن وهو العقاب الذى لم يشف غليل الفتاة التى قاست وتعذبت بشكل يستحيل أن تنساه ما حيت.

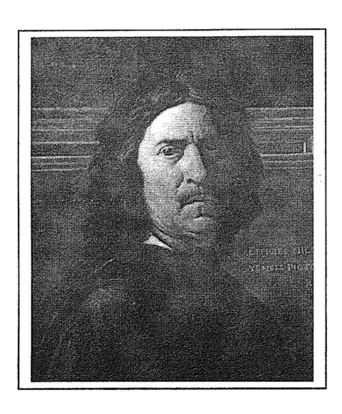
ورغم أن آرتيميسيا تزوجت مباشرة بعد شهر واحد فقط من انتهاء أحداث القضية، من الرسام بيرانتونيو ستياتيسي الذى وقف بجانبها أثناء سير القضية وشهد لصالحها أثناء المحاكمة وأكد على عفتها ونقائها، إلا أن التجربة القاسية التى مرت بها كانت دائماً فى عقلها ووجدانها فوجدت فى لوحاتها التى رسمتها فى ذلك الوقت سبيلاً لتفريغ غضبها ونوعاً من أنواع الانتقام التصويرى لآلامها، فرسمت لوحة جوديث تقطع رأس هولوفرنيس (صورة رقم (٧)) أكثر من مرة، وهى لوحة لأرملة يهودية استطاعت بالخدعة أن تصل إلى القائد الآشورى الغازى لقومها وتقطع رأسه بسيفه بعد أن أسكرته بمعاونة جاريتها المرافقة لها، وكأن الفنانة تنتقم لنفسها فى هذه اللوحة ممن سلبها الهناء وراحة البال فتعمدت إظهار ثبات قسمات وجه المرأة وقوة ملامحها مع تفجر الدماء من رقبة الرجل المستلقى على ظهره، إلى جانب تصويرها لعدد من القصص التاريخية والمواضيع المستوحاة من التوراة أبطالها من النساء.

وقد حظيت آرتيميسيا بشهرة واسعة فى مدينة فلورنسا التى انتقلت إليها بعد زواجها لتنال شرف الانضمام إلى أكاديمية التصوير بالمدينة كعضو رسمى سنة ١٦١٦م لتكون بذلك أول سيدة تنضم إلى هذه الأكاديمية الفنية، وقد استطاعت آرتيميسيا بفضل نجاحها الفنى الباهر وشخصيتها القوية أن تكون علاقات اجتماعية عديدة فذاعت شهرتها فى كافة أنحاء أوروبا، لتنتقل بعد ذلك فى سنة ١٦٣٠م إلى مدينة نابولى التى كانت مقصد عدد كبير من الفنانين فى ذلك الوقت وامتلائها بمراسمهم إلى جانب وجود جمهور فنى واسع بها لتستقر هناك، حتى ماتت وهى فى الستين من عمرها وقد أنجبت أربعة أبناء وبنتاً واحدة كانت حريصة على تعليمهم أساليب الرسم وفنون التصوير، وقد بقى من أعمالها نحو أربع وثلاثين لوحة، إلا أنه من المؤسف أن شهرتها قد خبت بعد وفاتها وهمشت أعمالها الفنية فى الدراسات التاريخية التى قام بها مؤرخو الفن، لدرجة أن كثيراً من أعمالها نسبت إلى أبيها أو إلى فنانين آخرين فى وقتها، حتى أعيد اكتشاف فن آرتيميسيا حديثاً كما أعيد تقييم أعمالها مرة أخرى بصورة أكثر حيادية وبرؤية تعتمد على المساواة بين الجنسين لتنال الشهرة والتقدير اللذين تستحقهما.

ومن أعمالها الشهيرة أيضاً: لوحة سوسنة وشيخا السوء سنة ١٦١٠م، مريم المجدلية سنة ١٦١٣-١٦٢٠م، ولادة يوحنا المعمدان سنة ١٦٣٥م.

نيكولاس بوسين (١٥٩٤ - ١٦٦٥م) Nicolas Poussin





لم يكـن النجاح الذى حصده بوسين والشهرة الكبيرة التى وصل لها إلا نتيجة مباشرة لكفاحه ومثابرته خلال مشوار حياته الطويل الذى عانى فيه الضيق والفاقة والمرض، كما عانى فيه غيرة المنافسن ومؤامراتهم ضده.. وقد ولد بوسـين فـى قـرية صغيرة على نهر السين بمقاطعة نورماندى بفرنسا لعائلة من المزارعيـن وتلقـى تعليمه الأولىّ فى تلك القرية دون أن يظهر عليه أى ميل لفن الرسـم والتصـوير، حتى جاء اليوم الذى زار فيه القرية الرسام كوينتن فارين فى سـنة ١٦١١م لرسـم بعض اللوحات هناك، فبدأ يظهر على بوسين بعض الاهتمام بهـذا الفن وبدأ يخط بيده بعض التخطيطات البسيطة الأولى والتى جذبت انتباه ذلك الرسـام الـذى أدرك بخـبرته أنه أمام موهبة حقيقية، فشجعه على الاستمرار فى الرسـم وعلمه بعض مبادئ وقواعد التصوير الأساسية، فتعلق قلب بوسين بالرسم وقـرر أن يحـترفه إلا أن قريته الصغيرة لم تكن المكان المناسب لتحقيق طموحه وازدهـار موهبته والوصول لغايته فهرب فى سنة ١٦١٢م قاصداً باريس وهو فى الثامنة عشرة من عمره باحثاً عن فرصة للتعلم على يد أحد الرسامين البارزين فى ذلك الوقت، غير أن جهله بحياة باريس وفقره الشديد لم يساعداه على الوصول إلى

ما كان يتمناه فالتحق مرغماً بمراسم بعض الرسامين البسطاء وعانى الذل والضيق وتحمـــل مشـــاق عظيمة فى سبيل تحقيق هدفه، حتى أصابه المرض وغلبته الفاقة فعـــاد منكســـراً مهـــزوماً إلى مسقط رأسه حيث يجد السكن والمأوى فى بيت أبيه ويـــتلقى العـــلاج، فهدأت أعصابه وقد أيقن أن طريق النجاح لن يكون أبداً مفروشاً بالزهور وأن عليه المثابرة لتحقيق آماله، فعاد مرة أخرى إلى باريس وكله إصرار وعزيمة ليس فقط لمواصلة دراسته الفنية وإنما واضعاً نصب عينيه عصر النهضة الإيطالى راغباً فى السفر إلى روما، فحاول السفر إليها مرتين الأولى سنة ١٦١٩م والثانية سنة ١٦٢٢م وفشل فى المرتين، رغم أن بقاءه فى باريس لم يكن بلا فائدة فقـــد درس علـــم التشريح وقواعد المنظور وأساسيات الهندسة المعمارية، كما نفذ عدداً من اللوحات الزيتية الكبيرة فى سنة ١٦٢٢م بناء على رغبة الآباء اليسوعيين لزخـــرفة كنائسهم، كما تلقى فى السنة التالية طلبات برسم لوحات لمصلى نوتردام فلاقـــت إعجـــاب الشاعر الإيطالى جيامباتيستا مارينو الذى كلفه برسم سلسلة من الرسومات التوضيحية لتحولات أوفيد وساعده لزيارة إيطاليا كما كان يتمنى، حيث وصـــل لـــروما فى ربيع سنة ١٦٢٤م وكله تفاؤل إلا أن المشقة وسوء الحظ كانا يطاردانـــه فقد انتقل مارينو إلى نابولى حيث مات فى ١٦٢٥م تاركاً بوسين وحيداً معدمـــاً تمامـــاً، فلـــم يجـــد أمامه إلا رسم عدد من اللوحات المستوحاة من التوراة والأساطير اليونانية القديمة على أمل بيعها غير أن لوحاته لم تجد الرواج الذى كان يـــتوقعه، خاصـــة وأن روما كانت تزخر بعظماء الرسامين فى ذلك الوقت، فغلبه الضـــيق والحـــزن وانطبع هذا الشعور على لوحاته التى غُلِّفت بسحابة من الحزن والكآبـــة، حـــتى رســـم لوحـــة موت جيرمانيكوس (صورة رقم (٨)) للكاردينال فرانسيســـكو باربيريـــنى ســـنة ١٦٢٧م، كما تعرف على سكرتير الكاردينال عالم الآثـــار وهاوى الفنون كاسيانو دل بوزو الذى قرر فى سنة ١٦٢٧م أن يرعى فنه وساعده لتخطى مصاعبه وأطلق عليه الرسام الفيلسوف، كما ساعده للحصول على طلبـــية برســـم لوحـــة استشهاد القديس إراسموس سنة ١٦٢٩م لكاتدرائية القديس بطـــرس، إلا أن اللوحة لم تنل رضا البابا فشعر بوسين بالحزن الشديد كما أصيب بانهـــيار عصبى واستسلم للمرض فاحتضنته عائلة مواطنه جاك دوغيت لرعايته، وكانـــت ابنة مضيفه الجميلة آنا ماريا هى القائمة على رعايته والعناية به فوقع فى حـــبها وتـــزوجها فى سنة١٦٣٠م لتكون له الرفيق والونيس فى رحلته.. ليتجه بعد تعافيه لرسم اللوحات الصغيرة للهواة ممن أحبوا فنه مقرراً عدم الدخول مطلقاً فى أى منافسة مع سادة الرسم الإيطالى على أرضهم، واتسمت لوحاته بالرؤية الفلسفية للحياة فتطرق إلى معنى السعادة الإنسانية وضآلة الحياة وتفاهة المال حتى عاد مرة

أخـــرى لرســـم لوحـــات مستوحاة من مواضيع دينية متخيراً الأحداث المهمة ذات التأثـــير الإنسانى العميق فبدأت شهرته تتسع تدريجياً ووصلت بالفعل إلى باريس، فتلقى فى سنة ١٦٣٩م دعوة من الكاردينال ريتشلو وزير الملك لويس الثالث عشر للعمل فى قصر الملك، إلا أن بوسين تردد فى قبول الدعوة، غير أن تردده تلاشى بعـــد أن وصلته تهديدات بضرورة الالتحاق بالقصر الملكى فسافر إلى فرنسا سنة ١٦٤٠م وهـــناك اســـتقبل بحفـــاوة لا توصف وعين على الفور مشرفاً على فنون القصـــور الملكية مما أغضب باقى الفنانين وأشعل نيران الغيرة فى صدورهم، وقد زاد الأمـــر حدة أنه كان يعارض فى كثير من الأحيان رسم بعض اللوحات التى لا تتناســـب مـــع أفكـــاره، فدخل فى صدام مع بعض الوزراء وفنانى القصر والذين نســـجوا خـــيوط المؤامـــرات وقاموا بالدسائس الكيدية ضده، فقد شعروا أن بوسين خطر عليهم وأنه يهدد عملهم فى القصور الملكية فساءت حالته النفسية وهرب إلى رومـــا فى سبتمبر سنة ١٦٤٢م، ليرسم مجموعة من اللوحات الزيتية التى اعتبرت فيما بعد من أشهر أعماله، حتى بدأت حالته الصحية تسوء منذ سنة ١٦٥٠م لدرجة أن يـــده بـــدأت تـــرتعش وهو ما سبب له كثيراً من الضيق والحزن فكانت تخرج ضربات فرشاته مهزوزة وغير منتظمة، مما كان يدفعه للتركيز بقوة والضغط على أعصـــابه وهـــو ما زاده إرهاقاً على إرهاقه، حتى تدهورت صحته بقوة منذ سنة ١٦٦٠م، إلا أن إصراره على الاستمرار فى عمله الذى أحبه وأخلص له كان دافعاً لمواصـــلة إنجاز لوحاته حتى أجبر على التوقف عن الرسم فى بداية سنة ١٦٦٥م، فلـــم يعد قادراً على الإمساك بريشة الرسم فانعزل عن الناس والأصدقاء حتى سقط ميـــتاً صـــريع المرض فى التاسع من نوفمبر من نفس العام ودفن فى كنيسة سان لوريـــنزو فـــى لوسينا، لتنتهى حياة أحد عظماء الرسم فى التاريخ وصاحب التأثير العمـــيق علـــى من جاءوا من بعده من الفنانين.. والمثير للشفقة أن بوسين الذى فر مـــن فرنسا منهزماً منكسراً حزيناً هارباً من الدسائس والمؤامرات التى دبرت ضده وضد أساليبه التصويرية لاقت أعماله بعد وفاته الاهتمام الكبير فى فرنسا ودرست أساليبه الفنية الخاصة فى الأكاديمية الملكية للرسم والنحت بباريس فى نهاية القرن السابع عشر، ويحتفظ متحف اللوفر بأفضل لوحاته ورسوماته.

وقـــد مات بوسين دون أن ينجب إلا أنه تبنى فى حياته شقيق زوجته المدعو جاســـبارد دوغيـــت والـــذى أصبح رساماً فيما بعد، واشتهر باسم جاسبارد بوسين (١٦١٣–١٦٧٥م) لـــيعد واحداً من أهم رسامى المناظر الطبيعية فى القرن السابع عشر.

من لوحاته أيضاً: أبوللو ودافنى سنة ١٦٢٥م، إعجاب المجوس سنة ١٦٣٣م، عـبادة العجل الذهبى سنة ١٦٣٤م، اغتصاب نساء سابين سنة ١٦٣٤- ١٦٣٥م، العثور على الطفل موسى سنة ١٦٥١م.

رمبرانت فان ريجن (١٦٠٦ - ١٦٦٩م) Rembrandt van Rijn





عاش رمبرانت تناقضات الحياة وتقلباتها، فكما ذاق الغنى والثراء ذاق أيضاً مرارة الفقر والحرمان، وكما شعر بفرحة النجاح عانى التجاهل والنكران، ومن بعد السعادة والهناء وراحة البال مر بالهوان وضيق النفس والحال.. هذا هو الهولندى رمبرانت هارمنزون فان ريجن أحد أعظم عباقرة فن الرسم فى العالم والذى ولد فى الخامس عشر من يوليو سنة ١٦٠٦م فى مدينة ليدن بهولندا لعائلة متيسرة إلى حد ما فكان أبوه طحاناً ناجحاً بينما كانت أمه ابنة خباز، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية الأولى والتى التحق بها وهو فى السادسة من عمره درس بالمدرسة اللاتينية من سنة ١٦١٦ حتى ١٦٢٠م حيث تعلم الدراسات الكلاسيكية القديمة والدراسات التوراتية كمواضيع أساسية ثم التحق فى العشرين من مايو سنة ١٦٢٠م وهو فى الرابعة عشرة من عمره بجامعة ليدن لدراسة الفلسفة، إلا أنه سرعان ما ترك الدراسة بالجامعة بعد أقل من سنة وذلك بعدما ضاق بالمناهج الدراسية الجافة واكتشف فى نفسه ميلاً فطرياً للرسم، وقد بذل جهوداً كبيرة لإرضاء والديه بقراره المصيرى، وبعد موافقتهما تدرب أولاً على يد الفنان الهولندى جاكوب فان سواننبرج أحد الرسامين المعروفين فى مدينة

ليدن والذى تعلم منه المهارات الأساسية والمعارف الضرورية لفن الرسم والتصوير، حيث بقى معه لثلاث سنوات تقريباً انتقل بعدها إلى أمستردام وتدرب لستة أشهر على يد الفنان الهولندى الشهير بيتر لاستمان الذى اشتهر برسوماته التاريخية مما ساعده على إتقان هذا النوع من التصوير، إلا أن مرض الطاعون الذى تفشى فى المدينة فى ذلك الوقت دفعه للتعجيل بالرحيل فعاد إلى مدينة ليدن سنة ١٦٢٥م وأقام لنفسه مرسما خاصا به، وحظيت باكورة أعماله باستحسان جمهور الفن والنقاد فقد تميز برسم اللوحات التاريخية والصور الشخصية وذاعت شهرته كرسام بارع متميز، حتى توفى والده سنة ١٦٣٠م فانتقل فى السنة التالية إلى امستردام عاصمة البلاد وسرعان ما أحرز نجاحاً باهراً كمصور لا يباريه أحد فى رسم الأشخاص فتفوق على منافسيه وانهالت عليه الطلبات من أفراد العائلات الغنية لرسم صورهم الشخصية والجماعية.

وتعرف فى ذلك الوقت على تاجر اللوحات هيندريك فان يلينبيرج وتزوج من ابنة شقيقته ساسكيا فى سنة ١٦٣٤م، وهى فتاة جميلة يتيمة ورثت ثروة كبيرة عن والدها المتوفى، وقد ظهرت ساسكيا فى كثير من لوحات رمبرانت وهى ترتدى أجمل وأروع الملابس (صورة رقم (٩))، وقد أنجبت له فى ظل الحب الذى ربط بينهما ابنهم الأول رومبارتوس سنة ١٦٣٥م والذى توفى بعد شهرين فقط من ولادته فأصيب الأبوان بصدمة كبيرة، وقد قدمته زوجته الغنية إلى الدوائر الاجتماعية الارستقراطية مما زاد من شهرته وثروته التى أخذت تنمو أكثر وأكثر، فاتجه لتجارة واقتناء اللوحات الفنية وبدأ يجمع أشياء غريبة وتاريخية، فاتهمته عائلة زوجته فى سنة ١٦٣٨م بتبذير الأموال التى ورثتها ساسكيا عن أبيها فأقام رمبرانت دعوى مقابلة على أفراد هذه العائلة، وعندما أنجبت زوجته ابنته كورنيليا فى تلك السنة ماتت الطفلة أيضاً بعد ثلاثة أسابيع فقط من ولادتها وهو ما أصابهما بالحزن والأسى.. ومع تحسن أوضاع رمبرانت المالية اشترى فى سنة ١٦٣٩م بيتاً كبيراً بعد فترة من العيش فى البيوت المستأجرة، وإن كان لم يدفع ثمن البيت بالكامل وإنما دفع الثلث تقريباً على أساس أن يقسط المبلغ المتبقى بعد ذلك، وسرعان ما أنجبت ساسكيا ابنة أخرى سنة ١٦٤٠م فسماها أيضاً كورنيليا إلا أن الطفلة ماتت أيضاً بعد قرابة شهر واحد فقط ولحقت بها والدته بعد شهر من وفاة ابنته فخيم الحزن والكآبة على منزله وأصبح الضيق يلاحقه، حتى أنجبت زوجته ابنهما تيتوس سنة ١٦٤١م الذى عاش هذه المرة، إلا أن الحزن أبى أن يهجر ذلك البيت أو يترك مكاناً للفرحة فيه فقد توفيت ساسكيا هذه المرة بمرض السل فى

الـــرابع عشر من يونيو سنة ١٦٤٢ وهى فى ريعان شبابها حيث كانت لا تزال فى الثلاثيـــن مـــن عمـــرها، فـــازدادت حدة التوتر بين رمبرانت وعائلة ساسكيا على المـــيراث، وكان رمبرانت أثناء مرض ساسكيا قد جلب ممرضة لزوجته وفى نفس الوقـــت مربـــية لابـــنه ومدبرة لمنزله هى جيرتجي ديرككس ومع الوقت أصبحت عشـــيقته، ولما حاول الابتعاد عنها رفعت عليه دعوى قضائية سنة ١٦٤٩م بسبب إخلالـــه بوعده لها بالزواج، ووصل الأمر إلى ذروته عندما رهنت ديرككس بعض المجوهـــرات الـــتى كانت جزءاً من ميراث ساسكيا إلى ابنها تيتوس وعندما سئلت عن مصدرها ادعت بأنها أخذتها هدية من رمبرانت، إلا أنها خسرت دعواها.. وقد خلـــف ديـــرككس فـــى وظـــيفة مدبـــرة المنزل شابة جميلة صغيرة السن تدعى هيندريكجـــي ســـتوفيلس والـــتى ارتبطت بعلاقة عاطفية مع رمبرانت إلا أنه كان رافضاً فكرة الزواج، والسبب فى عدم زواجه هو الحفاظ على إرث زوجته المتوفاة والـــتى اشترطت فى وصيتها عدم تمكن رمبرانت من الإرث الذى تخلفه إذا تزوج مـــن امـــرأة أخرى بعدها، إلا أن الشابة هيندريكجي وافقت على العيش معه دون زواج ديـــنى وإنمـــا زواج قانونى طبقاً للقانون العام، وأصبحت نموذجاً للرسم فى عديد من لوحاته، وأنجبت منه فى سنة ١٦٥٤م ابنة هى كورنيليا.

والحقـــيقة أن أزمـــة رمبرانت الفنية بدأت منذ رسمه لوحة حراس الليل سنة ١٦٤٢م بـــناءً على طلب من جنود الحراسة الليلية لرسمهم معاً فى صورة جماعية كبـــيرة فرســـمهم طبقاً لرؤيته الخاصة، فلم تعجبهم اللوحة لعدم ظهورهم بوضوح يلـــيق بهـــم وطلـــبوا منه تعديلها وتصويرها وفقاً لرغبتهم، ويقال إن أحدهم هدده بالقـــتل، وذلـــك رغم إبداعه فى رسم تلك اللوحة خاصة فى رسم التفاصيل الدقيقة وتأثير الضوء وتعابير وجوه الأشخاص مما جعلها تعد من أعظم أعماله الفنية على الإطـــلاق، إلا أن رمبرانـــت تمســـك بموقفـــه وبرؤيته الفنية مما جعلهم يحاولون الإضـــرار بمســـتقبله الفنى مستغلين فى ذلك علاقاتهم الواسعة، وبالفعل تضاءلت شـــهرته وتناقص الطلب على لوحاته وأسئ فهمه وأصبح عرضة لسخرية الناس. وكـــان رمبرانت دائماً ما يتمسك برأيه الفنى فقد حدث فى سنة ١٦٥٤م أن وقع فى خـــلاف مع تاجر برتغالى طلب منه رسم صورة شخصية وعندما أنهاها رمبرانت طلب منه التاجر إضافة بعض الرتوش للوحة لإظهاره بصورة أجمل مما هو عليه فـــى الواقـــع فـــرفض رمبرانت ذلك مما زاد الأمر سوءاً، فوقع فى أزمات مالية، خاصة وأنه كان يميل للعيش فى ترف وسعة ورخاء، فأهمل دفع أقساط منزله الذى ســـبق أن اشـــتراه كما اضطر للاستدانة نتيجة لتأثر سوق الفن بالكساد الاقتصادى

الحـــاد الـــذى أصاب هولندا فى تلك الفترة، فتفاقمت ديونه ولما لم يستطع تسديدها أعلنت المحكمة إفلاسه سنة ١٦٥٦م وبيعت كل مجموعته الفنية من اللوحات القيمة والـــتحف القديمة فى المزاد العلنى، ومع ذلك لم تكفِ تلك المبالغ لتسديدِ ديونه فباعِ بيـــته الكبير سنة ١٦٥٨م بعد قضى به نحو عشرين سنة واستأجر بيتاً صغيراً جداً وغلـــبه الهـــم والحزن والضيق، فوقفت السيدة هيندريكجي وابنه تيتوس إلى جواره وبـــدآ العمـــل كـــتجار لوحـــات فى سنة ١٦٦٠م لحمايته من دائنيه ولتمكينه من الاســـتمرار فـــى العمـــل، وذلك بأن يسلم لهما لوحاته التى يرسمها ليبيعاها بينما يـــتحملان نفقـــات المعيشـــة كاملة، ورغم وضعه المالى الصعب وابتعاده عن قلب الحـــياة الاجتماعية إلا أنه ظل فى نظر نقاد الفن السيد المحترم صاحب الفن القوى الأصيل، وقد عادت الحياة إليه عندما تلقى فى سنة ١٦٦٢م طلباً رسمياً من مجلس بلديـــة أمستردام برسم لوحة مؤامرة جوليوس سيفيلس مما أشعره باستمرار أهميته كرســـام مـــبدع، وبعـــد تعلـــيقها فى مبنى البلدية أطلق عليها رئيس البلدية بعض التعلـــيقات الســـاخرة كما أنها رفضت من قبل المجلس البلدى فأعيدت اللوحة إليه، ورغـــم غضب رمبرانت إلا أنه استرجع اللوحة وحفظها فى منزله ولم يمنعه ذلك الأمـــر السخيف من رسم لوحته الشهيرة أعضاء نقابة صانعى الملابس التى أكملها ســـنة ١٦٦٢م ومحفوظة حالياً بالمتحف الوطنى بأمستردام، غير أنه عاش مع ابنه فـــى عـــزلة وضـــيق وكمـــد تحـــيطه غلالة من الألم والمعاناة بعد وفاة محبوبته هيندريكجي فى سنة ١٦٦٣م.

أمـــا ابنه فقد تزوج فى سنة ١٦٦٨م إلا أنه توفى بعد زواجه بستة أشهر فقط وهـــو لا يـــزال فى السابعة والعشرين من عمره، فكان موته كالسكين التى نحرت قلـــــب رمبرانت وكالعاصفة التى أطاحت بكـــل أمل له فى الحياة وبمثابة الضربة القاصمة له فمات متأثـــراً بحزنه وأساه على فراق كـــل عزيز له فى الرابـــع من أكـــتوبر ســـنة ١٦٦٩م بأمستردام وهو فى الثالثة والستين من عمره بعد أحد عشر شـــهراً فقـــط مـــن وفاة ابنه أحب الخلق إلى قلبه، وهو يعانى الفقر المدقع بعد أن تبددت ثروته الهائلة لدرجة أنه دفن فى قبر بسيط دون وضع شاهد قبر عليه، تاركاً خلفـــه ثـــروة من اللوحات الفنية رسمها خلال رحلة حياته وكفاحه بلغت أكثر من ســـتمائة لوحة وحوالى أربعمائة نقش وأكثر من ألفى رسم وتخطيط محفوظة حالياً فـــى كـــبرى المتاحف الفنية حول العالم خاصة هولندا ولندن ونيويورك ولينتجراد، لـــتعد خـــير شاهد وأعظم دليل على إبداع صاحبها الذى أطلق عليه عملاق الرسم العالمى.

مــن أشـــهر لوحاتـــه: درس تشــريح للدكتور تولب سنة ١٦٣٢م، فقأ عينى شمشون سنة ١٦٣٦م (صورة رقم (١٠))، ظهور السيد المسيح لمريم المجدلية سنة ١٦٣٨م، السيد المسيح والمرأة الزانية سنة ١٦٤٤م، إعجاب الرعاة سنة ١٦٤٦م، عودة الابن الضال سنة ١٦٦٩م.

جان فيرمير (١٦٣٢ - ١٦٧٥م) Jan Vermeer





هو فنان هولندى يعد بحق أحد أعظم الرسامين العالميين، وأحد أهم أقطاب المدرسة الهولندية فى القرن السابع عشر، وإن كان هذا التقدير والإعجاب والشهرة الواسعة لم يحظَ بها فى حياته القصيرة بل على العكس لقى فنه من معاصريه الجحود وعدم التقدير، حتى أعيد اكتشاف أعماله مرة أخرى فى القرن التاسع عشر عام ١٨٦٦م على يد الناقد الفرنسى ثوربيرجر بعد قرابة مائتى عام على وفاة الفنان.

فبدأت أعمال فيرمير تلفت الأنظار وتلقى التقدير حتى قدرت أسعار لوحاته حالياً بالملايين، وأصبحت اللوحة الواحدة من أعماله تمثل اليوم ثروة طائلة لمن يمتلكها.. والمثير أن فيرمير ذلك الفنان المبدع كان يعانى فى حياته أشد حالات العوز والفاقة فعاش غارقاً فى الديون لا يستطيع أن يجلب الطعام لزوجته وأبنائه الأحد عشر إلا عن طريق الدين، فقد أنجبت كاثرينا زوجته خمسة عشر طفلاً مات منهم أربعة وهم أطفال صغار لنقص الغذاء وقلة الرعاية، وقد زاد من معاناته وتدهور أحواله المالية الكساد الاقتصادى الشديد الذى غمر هولندا عام ١٦٧٢م عندما نشبت الحرب بين فرنسا وهولندا، فلم يستطع أن يدفع إيجار منزله لمدة

طويلـــة وأصـــبح مهدداً بالطرد منه فى أى وقت فسقط فى بئر الأحزان وابتعد عن الـــناس وعانى الاكتئاب الشديد حتى وقع ميتاً وهو فى سن الثالثة والأربعين تاركاً زوجـــته فى مواجهة الدائنين بمفردها، فاضطرت الأرملة المسكينة لتوزيع لوحاته على الدائنين تسديداً لديونه والذين قبلوها فقط تقديراً لظروف المرأة الصعبة القاسية دون أى اكـــتراث باللوحات أو قيمتها الفنية، فقد كان فيرمير يمارس الفن كما يحب هـــو وليس كما يحب الناس، ولذلك لم يبع لوحة واحدة من أعماله التى بلغت قرابة أربعيـــن لوحـــة على مدى حياته كلها فكان يرسم لوحة أو لوحتين على الأكثر كل ســـنة، واختار أن يعيش حياته هاوياً للفن يصور رؤيته الفنية وليس محترفاً يرسم لمن يدفع له المال، فرسم مناظر الحياة اليومية بالإضافة لعدد من اللوحات لمشاهد من مدينة دلفت التى قضى بها أغلب حياته، وقد تميزت أعماله بالإنسانية المفرطة والحـــس الفنى المرهف والدقة فى استخدام الضوء وتوزيعه بحنكة كبيرة واستعمال الألـــوان الدافئة بعناية فائقة مع اللجوء لكثير من التلميحات والرموز لتكتسب بعض هـــذه اللوحات صفة الوعظ والإرشاد، وهكذا عاش فيرمير معانياً ومات بائساً وهو الموهبة الفذة التى لم يعترف بها العالم إلا بعد رحيله بقرنين من الزمان.

مـــن أشهر لوحاته: السيد المسيح في بيت مرثا ومريم سنة ١٦٥٤-١٦٥٥م، لوحـــة القوّادة سنة ١٦٥٦م (صورة رقم (١١))، امرأة تصب اللبن سنة ١٦٥٨ – ١٦٦٠م، الفلكى سنة ١٦٦٨م، الجغرافى سنة ١٦٦٨م.

جيرارد دى ليريس (١٦٤١ - ١٧١١م) Gérard de Lairesse





رسام هولندى من أصل بلجيكى ولد فى مدينة ليج ببلجيكا المعاصرة وكان الابن الثانى للرسام رينير ليريس والذى تلقى عنه أسس ومبادئ الرسم الأولى بالإضافة لفنون الشعر والموسيقى التى كان يهواها، كما تعلم أيضاً العديد من أسرار الرسم والتصوير على يد الفنان بيرثوليت فليمنال والذى علمه قواعد الفن الكلاسيكى.. وفى سنة ١٦٦٠م ذهب جيرارد دى ليريس إلى مدينة كولونيا وبدأت موهبته الفنية تظهر للجميع فرسم لوحة استشهاد القديس أورسولا والتى لقيت الإعجاب وهو ما أثار فنانى المدينة عليه وأوقدت نيران الغيرة والحسد فى صدورهم فبدأوا يكيدون له، ولذلك ترك تلك المدينة وعاد أدراجه بعد فترة وجيزة إلى ليج مسقط رأسه، وهناك تعرف على أختين من ماستريخ هما مارى وكاثرين فرانسوا وكانت الأولى تتسم بالهدوء والاتزان أما كاثرين فكانت جريئة متحررة ذات قوة وعنفوان، وقد أقام صداقة قوية معهما ووعدهما بإتمام زواجه من إحداهما فى أقرب وقت، إلا أن أبويه رفضا بشدة هذا الزواج وقاما بإعداد ترتيبات زواجه من فتاة تدعى مارى سيم ابنة عم نسيبه فاستجاب جيرارد دى ليريس لرغبة أبويه وهو ما أغضب الأختين فأصرا

علـــى الانتقام منه، حتى جاء يوم الثانى والعشرين من أبريل سنة ١٦٦٤م فتربصا يـــه ونصبا له كميناً فى الطريق وبينما هو يمر فى طريقه إذ بواحدة منهما تباغته وتطعـــنه فـــى ظهره بسكين حاد جديد اشترته خصيصاً للنيل منه وعندما حاول أن يســتل ســيفه تلقـــى طعـــنة مباغتة فى صدره من الأخت الأخرى التى كانت فى مواجهــته وتمســك هـــى الأخرى بسيف فى يدها، فوقع أرضاً والدماء تنزف منه وهربــت الأخـــتان.. فـــتحامل على نفسه حتى وصل إلى دير قريب وهناك حظى بالـــرعاية المناسبة حتى تماثل للشفاء وهرب هو ومارى سيم إلى ماستريخ وتزوجا فـــى الطـــريق إلى هناك، وقد أقاما فى مدينة وتريخت حيث أنجبت زوجته ابنهما الأول الـــذى عمد فى كنيسة كاثوليكية بهذه البلدة سنة ١٦٦٥م، وسرعان ما جذبت أعمالـــه الفنـــية الـــرائعة أحد تجار الفن الهولنديين يدعى جيرارد يلينبورتش الذى شجعه للانتقال الى أمستردام، وبالفعل استقر جيرارد دى ليريس بأمستردام فى سنة ١٦٦٧م وبدأ يشق طريقه بنجاح من خلال تزيين البيوت والقصور هناك باللوحات الـــرائعة مدخلاً الأسلوب الكلاسيكى الرائع للفنان نيكولاس بوسين ورافاييل، وكان مـــن أهـــم أعماله لوحة حكاية الحواس الخمسة سنة ١٦٦٨م (صورة رقم (١٢))، لـــتزداد شـــهرته بقوة بعد موت الفنان الشهير رمبرانت والذى كان من أهم الفنانين بأمســتردام، فازدادت شعبيته واحتل مكاناً متقدماً بارزاً بين فنانى هولندا فعمل فى تزييـــن قصـــور الملوك وأفراد الطبقة الارستقراطية فى المدينة بالإضافة للوحات الجدارية الجذابة بمبنى المجلس البلدى فى لاهاى.

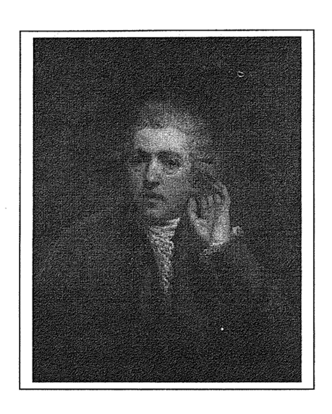
إلا أن جيرارد دى ليريس كـــان له نصيب من المعاناة فى دنياه، فقـــد أصيب بمرض الزهرى الذى كان متفشياً فى أوروبا فى ذلك الوقت وملأت البقع والبثرات جســـمه بالكـــامل كمـــا كانت تتساقط أجزاء من جلد ولحم وجهه فى منظر مشوه مشـــمئز جعل كثيراً من الناس ينفرون منه، كما بدأ نظره يزول تدريجياً منذ نهاية سنة ١٦٨٩م من تداعيات المرض حتى فقد بصره بالكامل فى السنة التالية ليتوقف تمامـــاً عن الرسم والتصوير، إلا أنه اتجه إلى إعطاء محاضرات نظرية حول فن الرســم ونشر عدة مقالات وكتبا فى هذا المجال والتى ترجمت لعدة لغات وكان لها أبلغ الأثر على رسامى القرن الثامن عشر ممن جاءوا من بعده، حتى مات فى بيته بأمســتردام ودفـــن فـــى الثامن والعشرين من يوليو سنة ١٧١١م.. ورغم نجاحه وشـــهرته الـــتى استطاع أن يجنيها فى حياته فأطلق عليه بوسين الهولندى إلا أنه سرعان ما نسيه الناس بعد وفاته لسنوات طويلة حتى أعيد اكتشاف لوحاته وأساليبه الفنـــية مرة أخرى، فعرضت لوحاته فى العديد من المتاحف العالمية الكبرى حول

العـــالم مـــثل متحف اللوفر ومتحف أمستردام التاريخى ومتحف المتروبوليتان فى نيويورك، والمعرض القومى للفنون بواشنطن، وغيرهم.

مـــن أعمالـــه الشـــهيرة: مأدبة كليوباترا سنة ١٦٧٥م، ديانا وإنديميون سنة ١٦٨٠م، العثور على أخيل بين بنات الملك ليقوميدس سنة ١٦٨٥م.

سير جوشوا رينولدز (١٧٢٣ - ١٧٩٢م) Sir Joshua Reynolds

١١



فنان إنجليزى استطاع أن يتخطى كل المعوقات التى صادفته ويجتاز جميع المصاعب التى واجهته حتى أصبح أهم رسام فى تاريخ المدرسة الفنية الإنجليزية وصاحب التأثير الفنى الكبير على فنانى المدرسة الإنجليزية للتصوير فى القرن الثامن عشر، وقد ولد فى السادس عشر من يوليو سنة ١٧٢٣م ببلدة بليمبتون بمقاطعة ديفون الإنجليزية، وكان ترتيبه السابع بين إخوته الأحد عشر لأب يعمل رجل دين ومدير مدرسة القرية، فاهتم أبوه بتعليمه تعليماً كلاسيكياً خاصة وأن الطفل كان مولعاً بالدراسة فاطلع على الآداب والفنون وتعلم اللغة اليونانية وقرأ العديد من المؤلفات الرومانية القديمة، ونظراً لأن العديد من أقرباء الأسرة كانوا يعملون بالتجارة ففضل الأب أن يعمل ابنه فى مجال العطارة وهو فى السابعة عشرة من عمره، إلا أن جوشوا كان عنده آمال أخرى فكان مهتماً بالرسم منذ صغره وكان يرسم لوحات صغيرة لمواضيع مختلفة لدرجة أنه رسم وهو فى الثانية عشرة من عمره صورة لأحد القساوسة جذبت الانتباه لموهبته المبكرة، حتى جاء اليوم الذى أراد فيه أبوه أن يحدد الابن مصيره بين

العمل بالعطارة أو السير في طريق فن الرسم والتصوير الذى كان يخشى عليه منه وكان الابن مصراً عليه، فلجأ الأب إلى صديق ثرى للعائلة واسع الاطلاع والمعرفة عله يقدم له النصيحة والرأى ويقيم أعمال الابن، فعرض بدوره تلك الأعمال على رسام الصور الشخصية توماس هدسون بلندن الذى استشف موهبته وتنبأ له بمستقبل واعد إذا تلقى التدريب ولقى العناية، وبالفعل سافر جوشوا رينولدز إلى لندن سنة ١٧٤٠م ليدرس مبادئ الرسم على يد هذا الرسام البارز متحملاً صديق الأسرة الثرى تكاليف تعليمه وتدريبه الفنى هناك، فبقى معه حتى سنة ١٧٤٣م ثم تركه هدسون ليزاول المهنة بصورة مستقلة فعاد لمسقط رأسه، وبدأ يرسم لوحات شخصية إلا أنه أدرك أن خبرته فى الرسم مازالت قليلة وأن لوحاته فقيرة فعاد مجدداً إلى لندن سنة ١٧٤٤م ليكتسب مزيداً من الخبرة حتى توفى أبوه سنة ١٧٤٦م فتولى رعاية شئون أخواته البنات.

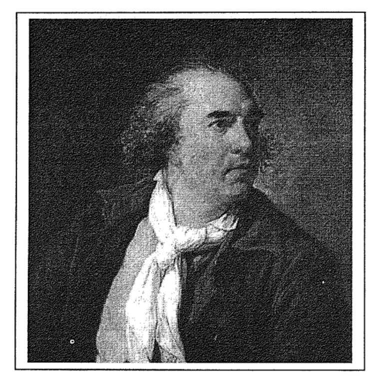
وحرصاً منه على تعلم المزيد وبدافع من طموحه الشخصى سافر رينولدز إلى إيطاليا عام ١٧٤٩م على متن باخرة بقيادة صديقه الربان أوغسطس كيل الذى نشأت صداقتهما بعد رسم لوحة شخصية له، فدعاه للإبحار معه عبر البحر المتوسط فانتهز رينولدز تلك الفرصة التى كان ينتظرها طويلاً، إلا أن الحظ العسر كان رفيقه فى تلك الرحلة ففى أثناء توقف السفينة فى محطتها الأولى بجزيرة مينوركا أدى بخته التعس إلى سقوطه من على صهوة جواد كان يمتطيه مسرعاً فأصيب بذلك إصابات بالغة أقعدته عن الحركة والعمل لخمسة أشهر تقريباً، كما ظلت الندبة الناتجة عن الجرح الغائر بشفته علامة مميزة له رافقته بقية حياته، لينتقل بعد ذلك إلى روما مدة سنتين تقريباً، كما زار عدداً من بلدان إيطاليا الأخرى مثل فينيسيا وفلورنسا وبولونيا مكرساً نفسه لدراسة الفن بإيطاليا ومتأملاً أساليب فن مايكل أنجلو ورافاييل وغيرهما من كبار الفنانين المصورين، وبينما هو فى روما عانى بعض المتاعب الصحية نتج عنها إصابته بصمم جزئى مما أثر على حالته النفسية كثيراً فاضطر لأن يحمل معه بوقاً صغيراً يضعه فى أذنه ليسمع جيداً وهو الذى ظهر به فى لوحات عديدة له بعد ذلك، ليعود إلى لندن سنة ١٧٥٣م فاشتهر اسمه وزادت شعبيته بصورة كبيرة، وكثر الإقبال عليه فلجأ الى تعيين مساعدين له منذ سنة ١٧٥٥م، لتنفيذ جميع الطلبات التى ترد إليه ليصبح بحلول سنة ١٧٦٠م رسام الصورة الشخصية الأول والأكثر شعبية بلندن وكان زبائنه من طبقة النبلاء والارستقراطيين وكبار الشخصيات السياسية والعسكرية والشعراء والأدباء والكتاب والعلماء ونساء المجتمع الراقى وغيرهم من علية القوم، وبالتالى

كـــان أجـــره لتصـــوير اللوحة يضاهى ضعف ما يتناوله زملاؤه الرسامون، فكان رســـاماً موهوبـــاً سواء فى الرسم أو فى تكوين العلاقات الاجتماعية وذلك بفضل أســـلوبه فـــى الحوار الذكى المؤدب، وبذلك نجح فى تسويق أعماله بصورة ناجحة فكان يضع مرآة كبيرة فى مرسمه حتى يتمكن الشخص المرسوم من رؤية خطوات العمـــل وتقـــدم اللوحة عبر المرآة مما كان يجلب له البهجة، ونتيجة لكثرة الطلب علـــيه كان يكتفى برسم الوجه والأيدى فقط باللوحة فى وقت قصير ينصرف بعدها الشـــخص، ثـــم يترك رينولدز لمساعديه إكمال اللوحة من ملابس وخلفيات وبذلك اســـتطاع أن ينجز أكثر من مائة لوحة فى السنة الواحدة، وفى بعض الأحيان بلغت لوحاته أكثر من مائة وخمسين لوحة فى العام.

وبذلـــك لهاه العمل وانخرط فى دوامة الحياة فكان يعمل الساعات الطوال دون كلـــل أو ملل ودون عطلة أو راحة فنسى نفسه وأهمل حياته فلم يتزوج، حيث كان يفـــتقر للقدرة على حب أى شخص آخر غير نفسه سائراً فى حياته دون أن تملكه عاطفـــة أو يســـيطر عليه عشق أو هوى، واكتفى بحياة الأسرة مع أخته فرانسيس تدير شئونه وشئون منزله، مقيماً بعض العلاقات الجنسية المتفرقة مع بعض زبائنه مـــن نساء المجتمع سيئات السمعة واللاتى كن يترددن عليه فى بيته أو فى مرسمه لرســـمهن لفترات طويلة مبالغ فيها دون داع.. كما كان ذا نشاط واسع فاستطاع أن يؤســـس ســـنة ١٧٦٤م النادى الأدبى، كما كان من مؤسسى الأكاديمية الملكية للفن ســـنة ١٧٦٨م للترويج للفنون الجميلة فى بريطانيا فتم اختياره رئيساً لها، كما منح فـــى الســـنة التالية لقب سير من قبل الملك جورج الثالث والذى عينه رساماً للبلاط ســـنة ١٧٨٤م رغـــم أن علاقتهما لم تكن وثيقة بسبب اختلاف وجهات النظر فى بعـــض الأمور السياسية، فقد كان رينولدز مستبداً برأيه متعجرفاً فى تصرفاته وهو مـــا أدى لكثر من المشاحنات الحادة والخلافات الشديدة بالأكاديمية الملكية منذ سنة ١٧٨٢م والـــتى أدت إلى سوء حالته النفسية وضيقه المستمر، مما أثر على حالته الصـــحية إلى حد كبير فأصيب بشلل بسيط تعافى منه بعد فترة قصيرة، ليعانى سنة ١٧٨٩م ضـــعفا شـــديدا فى البصر لدرجة أنه فقد بصر عينه اليسرى تماماً فتوقف مضـــطراً مكرهاً عن الرسم منذ ذلك الحين، وظل يعانى الحزن والكآبة حتى مات منكســـراً فـــى الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٧٩٢م فى بيته بلندن، ودفن فى كاتدرائـــية ســـان بول تاركاً خلفه حوالى ثلاثة آلاف لوحة، تلف الكثير منها لسوء الحـــظ بســـبب العجلـــة فـــى إعدادها وتصويرها فلم تلق تلك اللوحات العناية فى التحضير أو التجهيز.

من لوحاته: لوحة النّقيب روبرت أورم سنة ١٧٥٦م، جورج كلايف وعائلته مَـــع جارية هندية سنة ١٧٦٥م (صورة رقم (١٣))، السّيدة إليزابيث وأطفالها سنة ١٧٧٧-١٧٨٠م.

هيوبرت روبرت (١٧٣٣ - ١٨٠٨م) Hubert Robert





عاش الفرنسي هيوبرت روبرت حياة طويلة اتسمت بالنجاح الكبير والحظ الوفير، فرافقه الطالع الحسن طوال حياته حتى عندما مر بمعاناته الكبرى أبى البخت البهى أن يتركه أو يتخلى عنه، فساعده عمل أبيه فى حاشية مركيز غنى على أن يتلقى تعليما جيدا متميزا وعندما تقلد ابن ذلك المركيز منصب السفير الفرنسى بروما رافقه هيوبرت روبرت فى حاشيته سنة ١٧٥٤م كملحق بالسفارة هناك لإحدى عشرة سنة، فاستغل روبرت وجوده بروما فى التأمل الفنى ومصاحبة الفنانين الشباب وكان من أهم من تعرف عليهم الفنان فراجونار، كما رسم عدداً كبيراً من الرسومات والتخطيطات ملأت دفاتر وكراسات استفاد منها بعد ذلك فى لوحاته التى رسمها على مدار حياته، وعندما عاد إلى باريس سنة ١٧٦٥م كان النجاح الفنى فى انتظاره فأصبح فى السنة التالية عضو الأكاديمية الملكية الفرنسية وذاع صيته وبزغ نجمه بعد نجاح معرضه الأول فى صالون سنة ١٧٦٧م واشتهر كرسام مناظر طبيعية بارع ومزخرف حاذق، فرسم فى عام ١٧٧١م سلسلة من لوحات المناظر الطبيعية لباريس وضواحيها، كما أعاد زخرفة حمامات أبوللو فى قصر فرساى وصمم

حدائــق الملك، بالإضافة للكثير والكثير من الأعمال الفنية والزخرفية والتصميمات الجمالية الأخرى ذات الشهرة الكبيرة فى وقته.

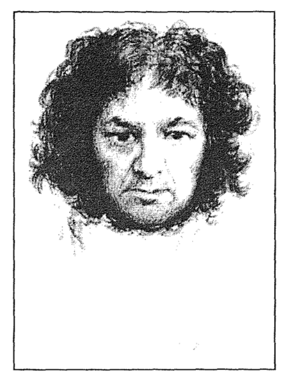
إلا أن شخصيته الجريئة الجسورة وآراءه السياسية الحرة أدت إلى اعتقاله فى التاســع والعشرين من أكتوبر سنة ١٧٩٣م فى عهد الإرهاب أثناء الثورة الفرنسية والذى عانت فيه فرنسا الاضطرابات السياسية و الاجتماعية، والذى تم فيه القضاء علـــى كـــل من اعتبروا أعداء الثورة بحجة استعادة النظام في البلاد وتقليل خطر الغزو الخارجى، وحكم على الفنان هيوبرت روبرت بقطع رأسه بالمقصلة، فعايش فـــى سجنه الموت يشتم رائحته ويلامس جسده ويسرى فى عروقه مع دمه، وكانت اللحظـــة تمـــر علـــيه كألف لحظة فى انتظار تنفيذ ذلك الحكم، فكانت فترة إيداعه الســـجن من أصعب ما يمكن أن يمر به إنسان وهو يعلم أن موته وشيك بين الفينة والفيـــنة بطـــريقة قاسية مريعة يرتعد الجسد من تخيلها أو تصورها.. إلا أن القدر كان له رأى آخر ففى يوم تنفيذ الحكم تم اقتياد مسجون آخر بنفس الاسم إلى ساحة الموت لينفذ فيه حكم الإعدام وينجو روبرت من هذا المصير المر المحموم، ليعتق مـــن حبســـه بعـــد سقوط ماكسميليان روبسبير القائد السفاح النصير الرئيسى لعهد الإرهاب فى يوليو سنة ١٧٩٤م والذى استطاع أن يعدم أكثر من ستة آلاف شخص فـــى ستة أسابيع فقط، ويزج بآلاف آخرين فى غياهب السجون، ليشرب هو الآخر من نفس الكأس الذى أذاقها لخصومه ويُعدّم مع مائة من أتباعه بنفس الطريقة التى أعدم بها المئات والآلاف وتهوى شفرة المقصلة الحادة على رقبته فتقطعها.

وإن كانـــت الفترة التى قضاها روبرت فى السجن لم تذهب سدى فقد قضاها فـــى كـــتابة يومياته ورسم عدد من الصور والرسومات الأخرى فى إصرار على التشـــبث بالحـــياة والتمسك بها مؤكداً أن إنتاجه لن ينقطع حتى يفارق الحياة.. وقد اســـتعاد روبـــرت بعد خروجه من محبسه واستقرار الحياة السياسية بالبلاد سمعته الفنـــية الأولى فعين لاحقاً فى لجنة المتحف الوطنى الجديد بقصر اللوفر ليصبح من أوائل أمناء ذلك المتحف العظيم.

وإن كانت تجربته المريعة فى مواجهة الحتف وملاقاة المنون قد جذبت أنظار الكثيرين إليه وجلبت العطف عليه وهو الشخص الذى استطاع أن يهرب من الموت بعـــد إذ جـــاءه، إلا أن الموت لا مفر منه فقد مات روبرت فى الخامس عشر من أبريل سنة ١٨٠٨م بالسكتة الدماغية ليسجل له التاريخ عبقريته فى تصوير المناظر الطبيعـــية المثالـــية ومشاهد الميادين والمتنزهات، وتوجد لوحاته فى متاحف مهمة مثل اللوفر بباريس ومتحف ارميتاج بروسيا.

مـــن **لوحاته الشهيرة:** المتنزه الإيطالي (صورة رقم (١٤))، درب في متنزه سنة ١٧٩٩م.

فرانشيسكو جويا (١٧٤٦ - ١٨٢٨م) **Francisco Goya**





اختلفت نظـرة جويا للعام الذى عاشه على مدار حياته الطويلة والتى بلغـت الثانية والثمانين، فتنوعت حياته من سعادة ومرح فى شـبابه وتـأمل وتفكـر فى رجولته إلى الألم والمرارة فى الكـبر.. والمتأمل لحياة جويا وفنه يدرك منذ الوهلة الأولى أنه عملاق من عمالقة الفن استطاع بموهبته الفطرية وبعزيمته الحديدية أن يحفر طريقه فى الصخر حتى وصـل إلى ما وصل إليه من نجاح وشهرة، فقد ولد فرانشيسكو جويا فى الثلاثين مـن مـارس ١٧٤٦م فـى قـرية فقيرة جداً تدعى فوينتتودوس بالقرب من مدينة ساراجوسـا الإسبانية فى مقاطعة أراجون لأب يعمل فى مهنة التذهيب، وإن كانت فـترة الكسـاد الاقتصادى التى عانت منها البلاد أثناء ولادته جعلت والده بلا عمل لفترة من الزمن فعانت العائلة العوز والفقر، حتى اضطرت أمه للذهاب إلى والدها الـثرى طالـبة منه المساعدة، ثم انتقت العائلة بعد ذلك إلى مدينة ساراجوسا فوجد الأب مجـالاً أوسـع للعمـل هناك، فألحق ابنه فرانشيسكو وهو لا يزال طفلاً فى الـرابعة عشـرة من عمره بفنان محلى مغمور هو خوزيه لوزان الذى درس على يديـه أصـول الرسم وقواعده فلاحظ الجميع نبوغه الفنى وبراعته الفائقة، وهو ما

شـجعه للـتقدم للمسابقة الفنية التى أقيمت فى الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة فى سـان فرناندو القريبة من مدريد فى ديسمبر سنة ١٧٦٣م وهو بعمر السابعة عشرة فـى محاولـة منه للحصول على منحة دراسية، إلا أنه لم ينل أى جائزة وفشل فى مسـعاه، وكرر المحاولة مرة أخرى سنة ١٧٦٦م إلا أن لوحاته رفضت، ومع ذلك لـم يـيأس وإنمـا انكب على العمل فى مرسم الفنان فرانشيسكو بايو رسام القصر للملـك الإسبانى شارل الثالث، ومن مدريد سافر إلى إيطاليا سنة ١٧٦٨م واشترك فـى المسابقة الفنية التى أقامتها أكاديمية الفنون الجميلة فى مدينة بارما، وحصلت لوحته بالفعل على جائزة تقديرية ليعود فى تلك السنة إلى ساراجوسا مرة أخرى.

ولعـل طباع جويا الحادة وشخصيته العنيفة المتهورة ساعدت كثيراً من كتاب السـيرة علـى نسـج أسـاطير عديدة عن فترة شبابة منها الحقيقى ومنها ما اتسم بالمـبالغة، فقـيل إنـه كـان يهوى مصارعة الثيران وأنه قضى شبابه فى فجور وشـهوانية، وأن لـيله كان للمغامرة والعربدة وارتياد دور اللهو، وأن سبب انتقاله لمدريـد وهـو فى التاسعة عشرة من عمره كان للفرار من عصابة من عصابات مدينـته على إثر مشاجرة نشبت معهم ونتج عنها عدد من القتلى، فكان قد اعتاد أن يثـير مـع مجموعـة من أصدقاء السوء المعارك والمشاجرات العنيفة، وأن سفره المفاجـئ إلى إيطاليا رغم أنه لم يكن يملك الكثير من المال كان لأنهم عثروا عليه ذات صـباح فـى أحـد الأماكن المشبوهة وحدثت مشاجرة جديدة معهم نتج عنها إصابته بخنجر فى ظهره فآثر الهرب فى أسرع وقت.

ورغم كل ما قد قيل عن جويا إلا أن الشئ الواضح أنه كان ذا شخصية صلبة قوية طموحة إلى أقصى حد، فقد روى أنه أثناء إقامته بإيطاليا تسلق جدران إحدى الكـنائس الكبرى وحفر اسمه على قبتها فى سبيل تخليد اسمه والإعلان عن نفسه، كما كان يردد بأنه علم نفسه بنفسه من ملاحظة أعمال كبار الرسامين القدامى حيث لم يكن له أساتذة ليعلموه فن الرسم وأساليبه.

وبعـد عـودة جويـا إلى موطنه بدأ يتفرغ لعمله الذى اتسم بالروعة والدقة والجمال فانهالت عليه الطلبات لزخرفة جدران كنائس عديدة فى المنطقة بالإضافة لقصور النبلاء فزاد ذلك من شهرته ونجاحه مما أهله للزواج من الفتاة جوزيفا بايو شـقيقة رسـام القصـر فرانشيسـكو بايو فى يوليو سنة ١٧٧٣م والذى قدمه إلى المجتمع الارستقراطى فى العاصمة، فاستقر جويا فى مدريد فى نهاية سنة ١٧٧٤م حيث كرس كل وقته لرسم اللوحات التى خطفت الأبصار وجذبت الانتباه، وزاد من نشاطه ولادة ابنه الأول خافيير الذى ملأ قلبه بالسعادة والفرح فرسم لوحات رائعة

لمصـــنع السجاد الملكى، وفى سنة ١٧٨٠م انتخب عضواً فى أكاديمية سان فرناندو واســتطاع أن يكــون صـــداقات وثيقة مع كبار الشخصيات السياسية والاجتماعية والمالية فى مدريد، فأصبح الرسام المفضل لهم، فعينه الملك شارل الثالث رساماً له ســنة ١٧٨٦م وبعــد وفاته عينه الملك شارل الرابع الرسام الخاص للقصر الملكى ســنة ١٧٨٩م براتب كبير جداً وبذلك حقق جويا ثروة كبيرة، إلا أن روحه المحلقة فى أعالى السماء بدأت فى الانكسار والخفوت بعد إصابته بمرض خطير فى نهاية عــام ١٧٩٢م دام عــدة أشهر عاني خلالها شللاً مؤقتا وعمى جزئيا وسبب له فى النهاية صمماً كاملاً فعزل نفسه شيئاً فشيئاً عن مجتمعه البراق وتغير أسلوب حياته واضــطر إلــى أن يــتوقف عن إعطاء الدروس فى الأكاديمية بعدما أصبح مثاراً لســخرية الطــلاب، كما استقال من منصب مدير الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة الــذى تولاه بعد وفاة صديقه ومعلمه فرانشيسكو بايو سنة ١٧٩٥م وذلك بعد سنتين فقط نتيجة لسوء حالته الصحية والنفسية.

وكــان جويــا قد تعرف فى سنة ١٧٩٥م على دوقة ألبا الثالثة عشرة ونشأت بيــنهما علاقة حميمة قوية فانتقل للعيش فى قصرها بعد وفاة زوجها الماركيز عام ١٧٩٦م، ورســم لهــا العديد من اللوحات عكست متانة علاقتهما وكان أشهر تلك اللوحــات لوحة مايا العارية والتى لقيت غضب المجتمع الإسبانى وبدلاً من كسوة الجسد العارى بالملابس رسم لوحة ثانية لنفس المرأة ترتدى ملابسها وأطلق عليها مايا المتدثرة بالملابس (صورة رقم (١٥)).

وعلى إثر أزماته النفسية التى عاناها فى تلك الفترة ولدت مجموعة مهمة من لوحاتــه الــتى أطلق عليها اسم نزوات تتكون من ثمانين نقشاً بألوان مائية تتناول الانــتهاكات الاجتماعــية والسياســية والدينية ومساوئها فى المجتمع بأسلوب نقدى لاذع، والــتى ســلمها للملك سنة ١٨٠٣م مقابل مبلغ من المال لابنه خافيير حتى يتمكــن مــن السفر إلى خارج البلاد، وقد بلغ جويا ذروة مجده وتألقه بعدما عينه الملــك رســاماً خاصاً له وللعائلة المالكة سنة ١٨٠٠م بعدما أعجب الملك برائعته عائلة الملك شارل الرابع (صورة رقم (١٦))، واستمر فى وضعه البارز حتى سنة ١٨٠٨م عــندما اندلعت الحرب بين فرنسا وإسبانيا فتنازل الملك شارل الرابع عن العــرش لولى عهده الأمير فرديناند الذى رسم له جويا لوحة رائعة فى ذلك الوقت، إلا أن نابلــيون بونابرت سيطر على الوضع بالقوة والعنف مما دفع الملك فرديناند إلى التنازل عن العرش وتولى جوزيف بونابرت شقيق نابليون عرش إسبانيا فأبقى جويــا كمــا هو فى منصبه رساما رسميا للبلاط، وكان جويا قد غطى لوحاته التى

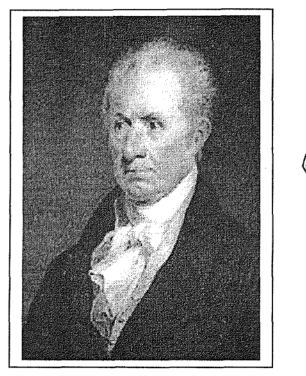
مجـد فـيها الجيش الإسبانى والعائلة المالكة الإسبانية بطبقة من القار حتى لا تقع تحـت أنظار قادة الجيش الفرنسى مظهراً مظاهر الخضوع والولاء للملك الفرنسى خوفـاً مـن بطشـه، وعلى أمل أن يصلح الحكم الفرنسى من أوضاع إسبانيا على غـرار الإصـلاحات التى حققتها الثورة الفرنسية فى فرنسا، إلا أن وحشية جنود نابلـيون وأهوال الحرب جعلته يعيش حالة نفسية قلقة متوترة ثائرة فرسم فى عام ١٨١٠م سلسلة لوحاته المعروفة بكوارث الحرب والتى بلغت اثنتين وعشرين لوحة صـورت الحـرب والعـدوان والدفاع والمقاومة مركزاً فيها على أعمال الخراب والنهـب والسرقة والحرق وانهيار الآداب والأخلاق الملازمة للحروب، وأتبع هذه السلسلة بلوحتين سنة ١٨١٤م كان لهما شهرة كبيرة الأولى بعنوان الثانى من مايو – ١٨٠٨م، صـور فـيها مقاومة الإسبان للغزو الفرنسى، أما لوحته الثانية فكانت الثالـث من مايو – ١٨٠٨م، وصور فيها عمليات الإعدام وإطلاق النار على أبناء وطـنه مـن الثائرين فى إعلان واضح عن كرهه للاحتلال الفرنسى، وكان الملك المخلـوع فرديناند السابع قد استطاع أن يستعيد عرش بلاده فى مارس سنة ١٨١٤م، ونتـيجة لتـبريرات جويا لموقفه من الاحتـلال عفا عنه الملك وأعاده إلى مركزه السابق كرسام القصر إلا أن علاقته به لم ترجع لسابق عهدها، وكانت زوجة جويا قـد توفيت فى سنة ١٨١٢م، فنشأت علاقة عاطفية حميمة بينه وبين إحدى الشابات والـتى تـربطه بها علاقة قرابة تدعى ليوكاديا والتى كانت منفصلة عن زوجها، وكانـت تتردد عليه لتدبير شئون المنزل فأنجبت سنة ١٨١٤م طفلة قيل عنها إنها ابنة غير شرعية له، وشيئاً فشيئاً بدأت أحوال جويا المادية تنصلح بعد فترة الكساد الاقتصـادى والمالى لإسبانيا والتى تأثر بها جويا فاشترى فى فبراير سنة ١٨١٩م بيتا فى ضواحى مدريد على ضفاف نهر مانزاناريس والذى كان معروفا باسم بيت الـرجل الأصم وذلك قبل أن يشتريه جويا، والذى لجأ إليه فى سبيل هجر المجتمع وباحـثاً عن الهدوء والراحة بعد إصابته بمرض خطير فى نهاية ذلك العام، وزين جـدران البيـت بمجموعـة من اللوحات الجدارية بلغت أربع عشرة لوحة عرفت باللوحات السوداء مظهراً فيها إله الشر الإغريقى ساتورن رمز الموت والدمار فى مشاهد مختلفة، فبينما يقص ساتورن حبل حياة رجل فى إحدى اللوحات نجده يلتهم أحـد أبـنائه فـى لوحـة أخرى (صورة رقم (١٧))، بالإضافة لعدد من اللوحات الشـهيرة الأخرى أهمها لوحة الغريبان والتى تصور القتال بين الأشقاء فى إسبانيا فصـور رجلين توأمين يتقاتلان مما يعكس حالة القلق النفسى الذى عاناه جويا فى ذلك الوقت ونظرة التشاؤم واليأس من الحياة.

ومع وصول جيش سان لويس إلى مدريد فى أبريل سنة ١٨٢٣م وعودة الحكم الاستبدادى إلى إسبانيا قرر جويا مغادرة البلاد فى أقرب فرصة بحثاً عن الحرية والأمان حيث كان من الملاحقين بسبب أفكاره السياسية التحررية، فأهدى بيته إلى حفيده مارينو فى سبتمبر سنة ١٨٢٣م وهرب لاجئاً إلى صديقه الكاهن خوزيه دى دواسو وعاش معه فى الدير لفترة من الزمن، واستغل صدور مرسوم العفو العام فى مايو سنة ١٨٢٤م وطلب من الملك السماح له بالسفر إلى باريس لتلقى العلاج فسمح له الملك، فتوجه جويا إلى مدينة بوردو فى فرنسا وهو شيخ فى الثامنة والسبعين من عمره يعانى الصمم وضعف البصر ووهن الجسم، كما أنه لم يكن قادراً على الحركة نتيجة لإصابته بداء المفاصل، بالإضافة إلى أنه لا يعرف شيئاً عن اللغة الفرنسية حتى لحقت به ليوكاديا.

وقد أدت زيارته لباريس ومشاهدة اللوحات المعروضة بمتحف اللوفر إلى توقد حماسه فاستأنف الرسم بنشاط وحيوية، رغم أنه كان يعانى داء فى الكليتين وقد أعلن الأطباء آنذاك أنه داء غير قابل للشفاء، وكان حنينه إلى بلده يراوده من حين إلى آخر فزار مدريد زيارة قصيرة فى مايو سنة ١٨٢٦م حيث طلب إعفاءه رسمياً من عمله كرسام للبلاط، وعاد مرة أخرى إلى مدينة بوردو بفرنسا، حتى أصيب فى أبريل سنة ١٨٢٨م بنوبة مرضية حادة كانت الأشد من بين النوبات المرضية التى عاناها خلال عمره الطويل فانعزل عن الناس جميعاً وأصيب بشلل نصفى على أثر مرضه فهرع إليه حفيده وحفيدته ليجاوراه خشية أن يكتب وصية لعشيقته التى كانت تلازمه، ليلفظ جويا أنفاسه الأخيرة عند الساعة الثانية من صباح السادس عشر من أبريل فى منفاه الاختيارى بمدينة بوردو الفرنسية وهو فى الثانية والثمانين من عمره بعد أن أثرى العالم خلال حياته الطويلة بأعمال فنية رائعة بلغت حوالى خمسمائة رسم زيتى ولوحات جدارية وحوالى ثلاثمائة نقش وطباعة حجرية ومئات الرسومات التخطيطية خلدت اسمه على مر الزمن.

من لوحاته الشهيرة أيضاً: التنزه في الأندلس سنة ١٧٧٧م، العائلة المقدّسة سنة ١٧٨٠م، الزفاف سنة ١٧٩١-١٧٩٢م، إطلاق النار فى الليل سنة ١٧٩٣-١٧٩٤م، ساحة مستشفى المجانين سنة ١٧٩٤م، صورة دوقة ألبا سنة ١٧٩٧م، الرجل المَسحور سنة ١٧٩٨م، كور الحداد سنة ١٨١٩م، السيد المسيح على جبل الزيتون سنة ١٨١٩م.

جلبرت ستيوارت (١٧٥٥ – ١٨٢٨م) Gilbert Stuart



١٤

هو رسام أمريكي يعد أشهر رسام فى الولايات المتحدة الأمريكية على الإطلاق استطاع أن يحقق فى حياته جانباً كبيراً من النجاح والشهرة لازمه بعد مماته، ورغم المال الوفير الذي جمعه فى حياته ليعد من أثرى الأثرياء إلا أنه لم يستطع أن يحافظ عليه لتنتهى حياته فى بؤس وفقر.

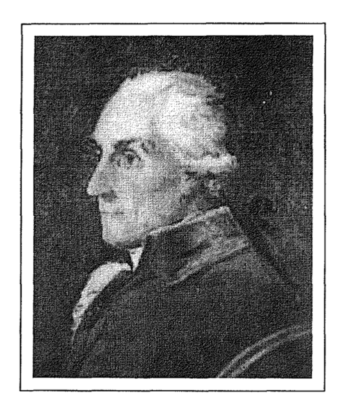
فقد كان جلبرت ستيوارت الابن الثالث لمهاجر اسكتلندى، وقد ظهر عليه النبوغ الفنى منذ طفولته فتعهد برعايته رسام اسكتلندى يدعى كوزمو ألكساندر والذى تحمل جميع نفقات تعليمه أصول الرسم والتصوير فى أدنبرغ، وكانت باكورة لوحاته الفنية التى نفذها تحت توجيه معلمه ومساعدته لوحة كلاب الدكتور وليام هنتر والتى اعتبرت من أفضل أعماله الفنية والتى رسمها وهو لا يزال فى الثانية عشرة من عمره، إلا أن لسوء الحظ توفى هذا الرسام سنة ١٧٧٢م بعد سنة واحدة من سفره معه لاسكتلندا، فلم يستطع ستيوارت أن يتحمل نفقات الدراسة الباهظة رغم محاولاته المضنية للعمل وكسب المال، فعاد من حيث جاء وكله أمل فى إكمال مشواره الفنى الذى بدأه فتمكن بعد جهد جهيد أن يجمع تكاليف السفر إلى إنجلترا وسافر بالفعل للندن سنة ١٧٧٥م وتدرب على يد الرسام الشهير بنجامين

وســت لست سنوات، وسرعان ما بزغ نجمه فاستقل فى العمل عن أستاذه، إلا أن إدمانـــه جعله يقع فى الديون ويواجه خطر السجن، فهرب إلى أيرلندا سنة ١٧٨٧م واســتقر فى عاصمتها دبلن ورسم معظم كبار شخصيات المدينة وأثريائها، فانهال عليه المال من كل حدب فقد كان رسام لوحات شخصية لا ينافسه فنان آخر، فعاش عيشـــة الترف والرخاء منفقاً ببذخ على شهواته ورغباته الجامحة فسقط فى الديون الـــتى لم يستطع أن يوفيها فدخل السجن فى صيف سنة ١٧٨٩م، وعندما خرج منه هرب مرة أخرى من دائنيه قاصداً الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٧٩٣م متوجهاً إلـــى مديـــنة نيويورك ومنها إلى فيلادلفيا فافتتح مرسمه هناك وأقبل عليه الأغنياء والوجهـــاء لرســـمهم، حتى رسم صورة الرئيس الأمريكى بطل الاستقلال جورج واشـــنطن (صـــورة رقـــم (١٨))، مما أمن له الشهرة التى دامت له طوال حياته، فانـــتقل إلى مدينة واشنطن سنة ١٨٠٣م وافتتح مرسما هناك لسنتين، ثم انتقل إلى مديـــنة بوسطن سنة ١٨٠٥م، ورغم الشهرة والنجاح والمال الوفير الذى كان يغدق علـــيه إلا أن المشـــاكل المالية كانت تطارده فى كل مكان يذهب إليه حتى أصيب بجلطة سنة ١٨٢٤م خرج منها مشلولاً شللاً جزئياً ومع ذلك لم يترك فرشاة الرسم حـــتى سقط ميتاً فى التاسع من مايو سنة ١٨٢٨م عن عمر يناهز الثانية والسبعين تاركاً أسرته غارقة فى ديون لا أول لها ولا آخر، حتى أن زوجته وبناته لم يجدن مـــالاً لشراء مقبرة له أو تحمل تكاليف الدفن والجنازة، فتم دفنه فى مقبرة عامة فى مديـــنة بوسطن دون أن يكتب اسمه أو شئ عنه على شاهد قبر، حتى تحسنت حالة الأســـرة بعد نحو عشر سنوات ففكروا جدياً بنقل رفات ستيوارت إلى مقبرة خاصة تكون للعائلة، إلا أنهم لم يستطيعوا التعرف على مكان دفنه على وجه دقيق بعد هذه الســـنوات الطويلـــة فـــتركوه فى مكانه ليظل هناك إلى الأبد، فقد قاده جريه وراء أهوائـــه ونـــزواته وإدمانه وعصبيته ولسانه الحاد إلى البؤس والفقر والهوان وهو الذى رسم لوحات زيتية لأكثر من ألف شخص من الوجهاء والأثرياء وكبار رجال الدولـــة وعلـــى رأسهم الرؤساء الأوائل للولايات المتحدة الأمريكية، ولوحاته توجد بمعظـــم متاحف الفن فى كافة أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، خاصة متحف المتروبوليتان بنيويورك ومتحف الفنون الجميلة ببوسطن والمعرض القومى للفنون بواشنطن، والمعرض الوطنى بلندن.

مـــن أشهر لوحاته: لوحة جون أدامز سنة ١٨٢٦م، رجل في معطف أخضر سنة ١٧٧٩–١٧٨٥م، توماس سميث سنة ١٧٨٥–١٧٨٧م.

أنطوان جروز (١٧٧١- ١٨٣٥م) Antoine-Jean Gros





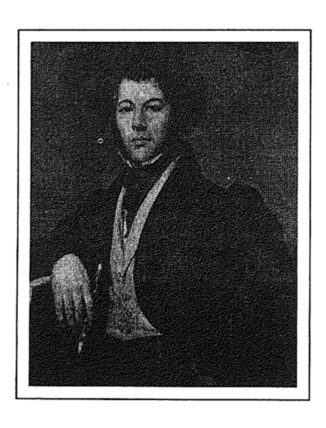
كان جـــروز من أهم وأشهر رسامى المعارك الفرنسيين، بل كان من أهم المصـــورين الحربيين على الإطلاق فلم يستطع أحد من الفنانين أن يـــباريــه فى هذا المضمار، كما كان له الــدور الأكبر فى صناعة الأســطورة النابليونـــية بفضـــل رســـوماته الخالدة القوية المؤثرة المليئة بالإثارة والانفعـــالات للقائد البطل نابليون بونابرت الذى كان جروز المصور الرسمى له، كمـــا اصـــطحبه نابلـــيون فى أغلب المعارك التى خاضها، وكانت باكورة أعماله التاريخـــية لوحته الشهيرة بونابرت على جسر أركول (صورة رقم (١٩))، والذى صـــور فـــيها نابلـــيون وهو يرفع العلم على الجسر بعد انتصاره فى معركته عام ١٧٩٦م ويحث قواته من خلفه لاتباعه.

والحقيقة أن هذا النجاح الذى حققه أنطوان جروز لم يكن وليد الصدفة فقد كان جـــروز موهوبـــاً مـــنذ الصغر فتولى أبوه الفنان المغمور تعليمه المبادئ الرئيسية للرســـم والتصـــوير وهو فى السادسة من عمره، ثم ألحقه فى سن الخامسة عشرة بمرســـم زعـــيم الحـــركة الكلاسيكية الجديدة فى الفن الفنان جاك لويس دافيد الذى

فرض عليه تعاليم وقواعد أسلوبه الكلاسيكى الصارم الذى كان ينادى بنبل الموضوع وصرامة الخطوط والبعد عن التعاطف والانفعالات والإثارة، فانصاع له حتى تولى هو زعامة الفن فى فرنسا بعد نفى دافيد إلى بلجيكا عام ١٨١٦م فى عهد لويس الثامن عشر، وبالرغم من أن جروز كان تابعاً مخلصاً لفن دافيد إلا أن شخصيته العاطفية ومشاعره المرهفة الحساسة ورغبته الملحة فى التعبير عن العواطف والانفعالات فى لوحاته كان لها أبلغ الأثر السئ عليه وولدّت لديه صراعاً نفسياً داخلياً جعلته يقاسى من التمزق النفسى ويعانى كبت ميوله الشخصية، ففى الوقت الذى كان جميع معاصريه من الجمهور والنقاد الفنيين يرونه من أنجح الفنانين وأشهرهم كان جروز يرى نفسه فناناً فاشلاً لا يستطيع أن يعبر عن عاطفته أو انفعالاته كما يريد، وذلك لأنه كان مجبراً على الاستمرار تحت مظلة التعاليم الكلاسيكية الجديدة، فكان يستعرض لوحاته الكلاسيكية فى انكسار وأسى، وقد أدى هذا الصراع النفسى الشديد الذى عاناه جروز إلى حالة شديدة من الاكتئاب قادته للانتحار بإلقاء نفسه فى نهر السين فى السادس والعشرين من يونيو عام ١٨٣٥م تاركاً ورقة بخط يده تشير إلى شخصيته وسبب انتحاره وذلك داخل قبعته التى تركها على شاطئ النهر ليبتلعه اليم ويبتلع معه موهبته الفنية الفذة فيجرفه التيار وتلقيه الأمواج بجوار الشاطئ ميتاً.

من أشهر لوحاته: لوحة نابليون بونابرت يزور مدينة يافا المصابة بالطاعون – ١٧٩٩م، سنة ١٨٠٤م، ولوحته الشهيرة معركة أبو قير سنة ١٨٠٦م (صورة رقم (٢٠))، ولوحة نابليون بونابرت فى ساحة معركة إيلاو – ١٨٠٧م، سنة ١٨٠٨م.

تيودور جيريكو (١٧٩١ - ١٨٢٤م) Théodore Géricault





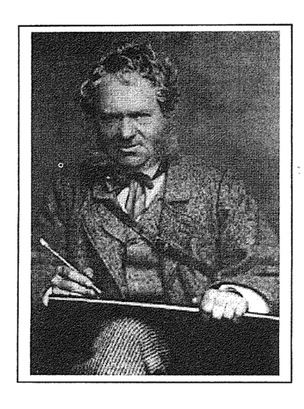
كان جيريكو أحد أهم رواد الحركة الرومانتيكية فى الفن وكانت لوحته طوف ميدوزا (صورة رقم (٢١)) التى رسمها عام ١٨١٩م وعرضها فى صالون نفس العام أولى وأهم محاولاته للتعبير عن هذه الحركة الفنية، والتى صور فيها فاجعة غرق إحدى السفن الكبيرة فى المحيط الأطلنطى وهروب السادة فى قوارب النجاة تاركين خلفهم حوالى ١٤٩ شخصاً من البحارة والخدم والعبيد فى مواجهة خطر الموت بالغرق، والذين استطاعوا استخدام مجموعة من الألواح الخشبية المتناثرة ليربطوها معاً على هيئة طوافة صغيرة استمروا متعلقين بها لمدة ١٣ يوماً تعرض أغلبهم خلال هذه المدة للموت بعد أن أثر فيهم الجوع والعطش ولجأوا إلى أكل اللحم البشرى المتعفن كما أصاب بعضهم الجنون وهم فى انتظار الموت بين لحظة وأخرى لتجدهم فى النهاية سفينة عن طريق الصدفة وكان الباقون على قيد الحياة لا يزيد عددهم على خمسة عشر شخصاً فى حالة يرثى لها.. وحرصاً من جيريكو على تصوير هذه المأساة وإخراجها على نحو واقعى ملئ بالانفعالات الحادة لجأ الى مقابلة بعض الباقين

علـــى قيد الحياة ليرووا له تفاصيلها كما طلب من أحد النجارين عمل نموذج للطوافة الـــتى تمسّـــك بهـــا هؤلاء الأشخاص وضعه عنده فى مرسمه كما استعان ببعض الجثـــث البشـــرية الحقيقية لرسم الموتى، وبالرغم من أن جيريكو كان قد رسم قبل هـــذه اللوحة العشرات من اللوحات الأخرى لموضوعات مختلفة إلا أن هذه اللوحة قـــد أخذت الاهتمام الأكبر منه كما ضاعف فيها من مجهوده وغمر نفسه فى العمل بها ليل نهار.

ولعـــل اختيار جيريكو لرسم هذا الموضوع بالذات رغم أن هذه الحادثة ترجع إلـــى يونـــيو عـــام ١٨١٦م ربما لأنه وجد فى رسم هذه اللوحة متنفساً لحالة القلق الشـــديدة الـــتى كان يعانيها، ورغبة منه فى الهروب عن طريق العمل من معاناته الشخصـــية فقد تورط فى علاقة حب آثمة مع زوجة عمه الشابة التى كان يكبرها بســـت ســـنوات ووجدت فيه عوضاً عن زوجها العجوز المعمر، وقد نتج عن هذه العلاقة طفل غير شرعى فى ٢١ أغسطس عام ١٨١٨م، ليجد جيريكو نفسه غارقاً فـــى فضـــيحة أخلاقـــية كبيرة حاولت العائلة التكتم عليها، فتم إرسال الرضيع إلى إحـــدى العائلات البعيدة لترعاه بمقابل مادى، إلا أن الموضوع بدأ يتسرب تدريجياً عـــن إطار العائلة والأصدقاء المقربين، وقد أثرت هذه الأمور جميعاً على جيريكو وعلـــى نظـــرته للحـــياة كما جعلته أكثر توتراً واندفاعاً، وزاد من حدة طبعه النقد اللاذع الذى تعرضت له لوحته طوف ميدوزا على يد النقاد الكلاسيكيين لخلوها من سمو المعانى الكلاسيكية القديمة رغم إعجاب الجمهور بها فترك فرنسا إلى إنجلترا لسنتين تقريباً رسم خلالهما عدة لوحات لسباق الخيل وللحياة الرياضية الإنجليزية، فقـــد كان جيريكو محباً للخيل لدرجة أنه كان أول من اتخذ الخيل موضوعاً مستقلاً للتصـــوير، واهـــتم برسم حركاتها المختلفة فقد كان يرى فى الجواد القوة والحيوية والنشـــاط، وكان فى كثير من الأحيان يمتطى جواده ليجوب الشوارع والطرق فى فخـــر واعـــتزاز إلا أن حالته النفسية الأخيرة جعلته أكثر رعونة وتهور فسقط من علـــى صـــهوة جواده وهو ينطلق بسرعة جنونية ليصاب إصابة بالغة فى عموده الفقرى مات على إثرها فيما بعد وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره.

مـــن أعماله أيضاً: ضابط من الخيالة يهجم سنة ١٨١٢م (صورة رقم (٢٢))، جـــواد أفـــزعه البرق سنة ١٨١٢م، سباقات الخيل في روما سنة ١٨١٧م، ولوحة الحطام سنة ١٨٢١-١٨٢٤م.

سير إدوين هنري لاندسير (١٨٠٢-١٨٧٣م) Sir Edwin Henry Landseer



١٧

لم يكن يتصور أحد أن ذلك النابغة الذى بدأت موهبته الفنية تبرز للعيان وهو طفل لم يتعد الخامسة من عمره، والذى عرض لوحاته وحصد الجوائز فى سن مبكرة، والذى غدا من أهم المقربين للبلاط الملكى والمجتمع الارستقراطى، تنتهى حياته بالهوس والجنون بعد رحلة شاقة من البؤس والاكتئاب.. فقد ابتدأت حياته آملة واعدة لولادته لأب فى المجال الفنى يعمل فى فن النقش فلقى الابن من أبيه كامل التشجيع بعد أن لاحظ الأب موهبة ابنه المبكرة واصطحبه معه لرسم الحيوانات فى الحقول المحيطة بلندن، ولما كان هو الأصغر بين إخوته السبعة فقد كان موضع اهتمام وتدليل من قبل أشقائه الأكبر، فتقدم بخطوات واسعة خطفت الأبصار إليه فحصل على جائزة وثلاثة أوسمة من جمعية الفنون فى الفترة من سنة ١٨١٣ وحتى ١٨١٦م، فوضح للجميع بوادر عبقريته التى أهلته لعرض لوحاته الأولى فى معرض الأكاديمية الملكية سنة ١٨١٥م وهو فى الثالثة عشرة من عمره ليلتحق فى السنة التالية بمدرسة الأكاديمية فأظهر اهتماماً واضحاً بدراسة علم التشريح خاصة علم تشريح الحيوانات، لدرجة أنه استطاع أن يحصل على جثة أسد ميت من حديقة الحيوان ليشرحه وبالفعل درس

جسد ذلك الأسد وشرحه بالكامل، كما كان مولعاً بمشاهدة سباقات الكلاب وممارسة مهـــنة صـــيد الحيوانات البرية، كما كان فى صغره محباً لمطاردة الفئران وقتلهم، وفـــى سنة ١٨٢٤م سافر إلى اسكتلندا للمرة الأولى فقابل المؤلف الكبير سير والتر ســـكوت ورســـم سلسلة رائعة من لوحات الحيوانات البرية التى تعيش فى الجبال الاســـكتلندية، وســـرعان مـــا بـــدأ نجمه يبزغ بعد أن انتخب عضواً مشاركاً فى الأكاديمـــية الملكـــية سنة ١٨٢٦م وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ثم عضواً كـــاملاً فـــيها سنة ١٨٣١م فقابلته الملكة فيكتوريا بنفسها سنة ١٨٣٧م وأعجبت به وبفـــنه فكانـــت تـــراه شديد الوسامة رغم قصر قامته الواضح، كما قدرت موهبته وأثنت عليها، فقربته للبلاط لدرجة أنها سمحت له بالتردد على القصر الملكى دون إذن مســـبق، فرســـم لها ولأفراد عائلتها عدداً من اللوحات المهمة كما كلفته برسم كلابهـــا الـــذى أبـــدع فـــى تصويرها نتيجة لمهارته العظيمة فى مجال التصوير الحـــيوانى، فعلت سمعته بين جمهور الفن خاصة بين أفراد المجتمع الارستقراطى الذيـــن قدروا أعماله وأجزلوا له العطاء خصوصاً بعدما عرف عنه صداقته بالملكة آنذاك.. حتى بدأت بوادر انهيار حياته تبدو فى الأفق عندما أصيب بانهيار عصبى حـــاد فى مايو سنة ١٨٤٠م وهو فى أوج شهرته بعد فترة بسيطة من وفاة أمه فى نفـــس العام، فسافر فى جولة طويلة حول بلدان أوروبا طلباً للراحة والهدوء، فرسم فـــى تلك الفترة عدداً متميزاً من لوحات المناظر الطبيعية، فتحسنت حالته الصحية وعـــاد إلى سابق عهده، فرجع إلى موطنه وبيته فى لندن مستأنفاً عمله، ومنح لقب فارس سنة ١٨٥٠م، إلا أن نوبات الضيق والاكتئاب بدأت تلاحقه بعد ذلك من حين لآخـــر وزاد من حدتها حساسيته المفرطة تجاه أى ملاحظة توجه لأعماله، وللتغلب علـــى أزماته النفسية أفرط فى شرب الخمر الذى كان يزيد منه يوماً عن يوم، كما تعـــاطى بعـــض أنـــواع المخـــدرات على أمل أن تمنحه شيئا من الهدوء والثبات، فخرجـــت لوحاته فى تلك الفترة عنيفة قلقة لدرجة أن بعض لوحاته فى ذلك الحين تعرضـــت للنقد بسبب وحشيتها، وعندما انتخب رئيساً للأكاديمية الملكية سنة ١٨٦٦م رفـــض المنصـــب تمامـــاً، وشـــيئاً فشيئاً تأزمت حالته النفسية وطاردته الهواجس والأوهام وعانى الأحزان وبلوى الاكتئاب وأصابته نوبات هياج وعدم استقرار زاد مـــن حدتهـــا مداومـــته علـــى تناول المسكرات والمخدرات فأعلنت أسرته إصابته بالجـــنون فـــى يوليو سنة ١٨٧٢م، وإن كان عزاؤه عن كل ما أصابه من مصائب الـــزمان أنـــه لـــم يجد الجحود أو النكران وإنما ظل يُقدر ويكّرم فى حياته وحتى مماتـــه، وظهر ذلك جلياً عندما مات فى الأول من أكتوبر سنة ١٨٧٣م فاصطفت حشـــود المواطنيـــن لـــتوديع موكبه الجنائزى وعلقت أكاليل الزهور على الأسود

الأربعـــة البرونزية التى أكمل نحتها عام ١٨٦٧م ووضعت عند نصب نيلسون في ســـاحة تـــرافلجار، كما أنزلت الستائر على أبواب البيوت والدكاكين حزناً وتقديراً لفـــراق ذلك الفنان العظيم الذى نبغ فى رسم مواضيع الحيوانات من خيول وكلاب وآيـــل وغـــيرها بدقـــة وتمكن، لدرجة أنه طارد فى إحدى المرات أيل بين الجبال والمـــرتفعات ليرســـمه على طبيعته ووسط بيئته، فخرجت لوحاته حية معبرة عن أحاسيسه الإنسانية الغامرة مما حقق له شعبية كبيرة وثروة وفيرة تركها لورثته بعد مماته.

مـــن أهم لوحاته: لوحة إسحاق وحيواناته سنة ١٨٣٩م، لوحة الملكة فيكتوريا والأمـــير ألـــبرت فـــي حفلة الملابس التنكرية يوم ١٢ مايو من عام ١٨٤٢م سنة ١٨٤٢م، ولوحة الخيمة العربية سنة ١٨٦٦م (صورة رقم (٢٣)).

أدالبيرت شتيفتر (١٨٠٥ – ١٨٦٨م) Adalbert Stifter





هو رســام وكاتب وشاعر ومعلم نمساوى، ذاق فى حياته كل أنواع المعاناة فمــر بصــعوبات عدة وقاسى الحرمان والإحباط ووقع فريسة لأنياب المــرض وآلام الســقم، حتى استسلم فى النهاية لليأس من الدنيا بكل ما فــيها فــأنهى حياته بصورة دامية مؤثرة.. وقد ألهمته الطبيعة الخلابة فى موطنه لرســم المناظر الطبيعية التى برع فيها، كما اتجه فى كتاباته لرصد الحياة المعاشة وتســجيل أحــداث الحــياة اليومية فى قصص وروايات مبتعداً عن الإثارة الكاذبة الخادعة.

ولعــل أولــى صــعوبات الحياة التى مر بها شتيفتر كانت وهو لا يزال فى الحاديــة عشرة من عمره عندما مات أبوه حائك وتاجر الكتان الميسور الحال سنة ١٨١٧م فى حادث مأساوى مفزع عندما سُحِق جسده وتمزق بدنه فى حادث سيارة مــروع فاضــطربت حــياة الأسرة وأجبرته ظروف الحياة لتحمل جانب كبير من الصعاب التى مرت بها عائلته وهو لا يزال فى هذه السن الصغيرة، فازداد ارتباطاً بأمه وجدته اللتين كانتا تعطفان عليــه وترويان له الحكايات والقصص، كما ازداد

قــرباً لجــده الذى اهتم بتعليمه فأبدى شتيفتر اهتماماً كبيراً بالأدب وحماساً واضحاً للرســم، حتى التحق بجامعة فينا سنة ١٨٢٧م ليدرس القانون على أمل أن يحصل بعد تخرجه على وظيفة مناسبة تضمن له الاكتفــاء المالى الذى كان يتمناه، إلا أنه ســرعان مـــا انجــذب لحضور محاضرات فى الرياضيات والفيزياء وعلم الفلك، حاصــلاً على المال اللازم لتلبية احتياجات معيشته ومصاريف دراسته من إعطاء دروس خاصــة لأبــناء العائلات الغنية وبذلك استطاع أن يكون صداقات قوية مع أفــراد الطــبقة الارستقراطية، حتى انقطع عن إكمال دراسته سنة ١٨٣٠م، ورغم حبه الشديد للفتاة فانى جريبل التى تعرف عليها سنة ١٨٢٨م واستمرت علاقته بها لخمــس ســنوات على أمل إتمام الزواج إلا أن عائلتها الغنية رفضت هذه العلاقة تمامــاً لظــروفه الماديــة الصعبة ومنعت الفتاة من لقائه أو مراسلته فكان فى ذلك صدمة عاطفية كبيرة له لم ينسها أو يتعاف منها طوال حياته، وذلك رغم أنه تزوج سنة ١٨٣٧م من بائعة قبعات النساء وابنة ضابط عسكرى متقاعد فقير تدعى أميليا موهوبت والتى سبق وتعرف عليها قبل زواجهما بسنتين، مستمراً فى كسب معيشته بإعطــاء الدروس الخاصة وبيع بعض لوحاته المصورة حيث لم يجد عملاً مناسباً آخــر، وقــد تعلم شتيفتر مبادئ الرسم الأولى على يد الفنان جورج ريزلمير أثناء فــترة دراســته المبكرة إلا أنه لم يتلق تدريبا أساسيا للرسم بالألوان الزيتية، فكان بصــفة عامة فنانا هاويا ذاتى التعلم معتمداً على موهبته الفطرية للرسم معلماً نفسه بنفســه فصــور العديد من المناظر الطبيعية منذ سنة ١٨٢٠م محاولاً أسر اللحظة العابرة للطبيعة فى لوحات مصورة تظهر فيها عاطفته الحساسة، وإن كانت لوحاته الأولــى يظهــر فــيها كثير من البساطة والسذاجة حتى استطاع أن يطور أسلوبه تدريجياً منذ سنة ١٨٣٥م بأسلوب خاص به وعرض لوحاته فى معارض بفينا فى ســنوات ١٨٣٩، ١٨٤٠ و ١٨٤٢م، وبدأ اهتمامه يتحول للكتابة منذ سنة ١٨٤٠م عــندما نشر أولى قصصه فى تلك السنة فتحسن وضعه إلى حد ما وبدأت الشهرة تعــرف طريقها إليه، فكرس أغلب وقته بعد ذلك للكتابة معتمداً على روحه التأملية وفهمــه الحســاس للطبيعة وخياله الغنى الخصب، فخرجت كتاباته وكأنها لوحات مرسومة تصور البيئة المحيطة وتصف ألوان الطبيعة، ذلك لأنها كتبت بيد رسام.

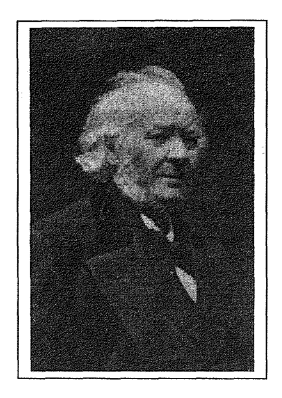
ومــع اندلاع الانتفاضات الثورية التى ملأت شوارع فينا بالاضطراب والعنف ســنة ١٨٤٨م تورط شتيفتر فى حوارات ساخنة ومناقشات حادة حول دور التعليم وأهميــته، وعــرض خدماته على الحكومة الإقليمية للنمسا العليا محاولاً الحصول علـــى وظيفة معلم فتم تعيينه فى سنة ١٨٥٠م مفتشاً على المدارس الابتدائية للنمسا

العليا فانتقل من فينا إلى لينز، إلا أن دفاعه المثالى عن الإصلاح التربوى ورغبته فـــى التغيير الجذرى للتعليم على أسس وقواعد ثابتة بدلاً من الفوضى أجهضت من قـــبل معارضـــيه من أصحاب السلطة التربوية مواجهاً صعوبات شديدة فى تحقيق أهدافـــه التى أرادها، حتى أجبر فى النهاية على التقاعد سنة ١٨٦٥م ليعانى إحباطاً شديداً جداً زاد من حدته زواجه غير السعيد نتيجة لعدم إنجاب زوجته فقد كان محباً للأطفـــال فتبـــنى ثلاث بنات من أبناء أخت زوجته، إلا أن إحداهما هربت وهى لا تـــزال فـــى العاشـــرة من عمرها بينما انتحرت بنت أخرى بإغراق نفسها فى نهر الدانوب سنة ١٨٥٩م وتم العثور على جثتها طافية على سطح ماء النهر بعد أربعة أســـابيع من اختفائها، ليشعر شتيفتر حينذاك بحسرة لا توصف وألم لا مثيل له، ولم تمض فترة طويلة حتى أصابه قدر كبير من الاكتئاب والإحباط بعد الانهيار الشديد فى صحته سنة ١٨٦٣م نتيجة لإصابته بتليف الكبد، فبدأ يعانى الضعف العام فكان مرضه أحد أسباب تقاعده، وبدأت تصرفاته تتسم بالغرابة شاعراً بالضيق والمرارة فلـــم يعد يبالى بشئ أو يهتم بأحد خاصة وأنه أصبح يعانى نقص المال وضيق ذات الـــيد بالـــرغم مـــن تحمل زوجته لظروفه الصعبة إلا أن هواجس إصابته بمرض الســـرطان الفـــتاك بدأت تراوده من حين لآخر، ومع زيادة حدة المرض عليه سنة ١٨٦٧م بـــدأ عقلـــه يختل وتصرفاته تهتز فآثر أن ينهى حياته بيده قبل أن يقضى علـــيه المرض أو يقع صريع الألم فقطع رقبته بشفرة حلاقة حادة أصابت حنجرته بجـــرح قطعى غائر فى ليلة الخامس والعشرين من يناير سنة ١٨٦٨م ليسقط على الأرض ســـابحاً فـــى بـــركة مـــن الدماء الغزيرة، ورغم محاولة إنقاذه إلا أن هذه المحاولـــة لـــم تفلح ليموت شتيفتر بعد يومين منتحراً بطريقة شنيعة مفزعة يعانى انهـــزام الـــذات وانكسار النفس، مصوراً فى حياته العديد من اللوحات الفنية وكاتباً الكثـــير من القصص الروائية والتى وجدت شعبية فى حياته وأهملت إلى حد كبير بعد وفاته.

ومـــن أهـــم لوحاتـــه: لوحة منازل بضواحى فينا سنة ١٨٣٩م (صورة رقم (٢٤)).

هونوريه دومييه (١٨٠٨ – ١٨٧٩م) Honoré Daumier

١٩



كان صاحب ريشة جريئة حرة رسم بها معاناة البسطاء والفقراء، وعرّى بهـــا المجتمع البرجوازى من عباءة النزاهة والشرف، كما استخدمها فـــى كشف فساد الحكم ونواقصه.. فكان دومييه بجانب كونه رساماً بارعاً كان أيضاً واحداً من أهم وأعظم رسامى فن الكاريكاتير الذين استخدموا فنهم لانتقاد المجتمع وإظهار عيوبه.

وهونوريه دومييه فرنسى ولد فى السادس والعشرين من فبراير سنة ١٨٠٨م بمرســيليا لأب يعمـــل فـــى صـــناعة الزجاج مولع بالشعر والأدب يقرض الشعر الكلاســيكى فقـــاده طموحه للسفر إلى باريس فى سنة ١٨١٤م متطلعاً إلى النجاح والشـــهرة مـــن خلال نشر قصائده الشعرية هناك، ولحقه دومييه وهو ابن الثامنة بصـــحبة أمـــه بعد ذلك بسنتين تقريباً، إلا أن صعوبة الحياة فى العاصمة الفرنسية أرهقـــت كاهل الأب الذى كان مخدوعاً بموهبته الشعرية فعانى الأمرين دون فائدة وجلب لعائلته الفقر والتعاسة، وشيئاً فشيئاً خارت قواه ولم يعد يستطيع توفير نفقات المعيشـــة الضـــرورية بعد أن تراكمت عليه الديون فألحق ابنه للعمل وهو لا يزال

طفــلاً صغيراً لعله يساعد فى دخل الأسرة، فعمل أولاً ساعيا بمكتب أحد المحامين فــاطلع دوميــيه على قضايا الناس البؤساء المطحونين وقرأ فى وجوههم المآسى والآلام فــتعاطف معهــم وكره القضاة القساة خاصة المرتشين والمحامين المرائين المنافقيــن حــتى قــرر ترك العمل لأنه اعتبره غير شريف، ثم عمل بائعا بإحدى المكتــبات لكنه لم يوفق فى هذا العمل الجديد أيضاً فقد طرده صاحب العمل عندما رآه يقــرأ أحــد الكتب، فأصابه الضيق وملكه اليأس.. إلا أن عبقريته الفنية كانت جلــية واضحة لكل من يشاهد تخطيطاته ورسوماته الأولية فاحتضنه صديق الأب الرســام وعــالم الآثار أليكساندر لينوار وأدخله إلى مرسمه فى سنة ١٨٢٢م ليتعلم قواعد الفن ومبادئه الرئيسية، فساعدته موهبته الفطرية للرسم والتصوير على التقدم فــى هــذا المجــال بخطوات واسعة راسخة، فدخل فى السنة التالية إلى الأكاديمية السويســرية وتــردد فــى أوقات فراغه على متحف اللوفر لرسم كثير من مقتنياته وتعلــم فــى ســنة ١٨٢٨م أساليب الطباعة الحجرية حتى أتقنها تماماً، فعمل فى الدعاية والإعلانات للجرائد ودور النشر الصغيرة واتخذ من هذا الفن حرفة يتعيش مــنها وسرعان ما انضم إلى فريق مجلة الكاريكاتير الهزلية الساخرة سنة ١٨٣١م وبــدأ رســم العديد من الرسومات الساخرة فى حملة استهدفت فساد الدولة وأقطاب الحكــم الفاسد فى فرنسا آنذاك حتى تهكم على الملك لويس فيليب فى رسم هجائى لاذع ممــا أغضب الملك فصدرت الأوامر العليا بالقبض عليه فاعتقل سنة ١٨٣٢م وقــدم للمُحاكمــة التى حكمت عليه بالسجن ستة أشهر ودفع مبلغ مالى كغرامة مع لفــت نظــره بــالكف عن التطاول على الملك، فاكتسب شعبية عريضة إلا أن هذه المجلــة قمعــت وأغلقــت أبوابها سنة ١٨٣٥م فانضم دومييه للعمل بمجلة أخرى مستمراً فى الرسم بطريقته الهجائية الساخرة للنظام السياسى والحكومى فى البلاد، إلى أن فرضت الرقابة على الصحف عام ١٨٣٦م فاتجه إلى تصوير آلام ومشاكل الــناس البسطاء ومهاجماً الطبقة البورجوازية ومظهراً لنقائص المجتمع الفرنسى، حيــث هجــا فــى رسوماته التى بلغت أكثر من أربعة آلاف رجال الدولة ورجال الأعمــال والسياسيين والمحامين وحتى الأساتذة والأطباء من المنافقين والوصوليين مطالــباً بــالعدل وعودة الأخلاق الأصيلة، كما أظهر فى لوحاته المصورة التعساء والبؤســاء والفقــراء والمطحونيــن والمهمشين والمعدمين فى حياتهم الاجتماعية الواقعية اليومية برسوم تهكمية منتقداً المجتمع الفرنسى كما فى لوحة الشحاتون سنة ١٨٤٥م، ولوحــته الشــهيرة عربة الدرجة الثالثة سنة ١٨٦٣م، متشبثاً فى الدفاع عمن ينتمى اليهم من الكادحين المكافحين.

ومـــع كل هذه الأعمال إلا أنه كان دائماً يعانى ضيق ذات اليد وهو الذى كان يســتطيع أن يجمــع ثــروة ضـــخمة لـــو أنـــه ارتمى فى أحضان طبقة الأغنياء والميســـورين، بل إنه أدار لهم ظهره فى سبيل الحق الذى كان ينشده، وقد زاد من حالـــته سوءاً أن استغنت عنه المجلة التى كان يعمل بها وهو فى الثانية والخمسين من عمره بعد حوالى ربع قرن من العمل بها بحجة أن الجمهور لم يعد بحاجة إلى رســـومه الانتقادية الساخرة، فذاق مرارة نكران الجميل وبدأ الهم والحزن يتسرب إلـــى قلـــبه وهو الذى أفنى شبابه فى العمل فى سبيل رفعة مجتمعه ووطنه، كما لم يلـــق دوميـــيه فى حياته الشهرة التى يستحقها وذلك حتى تم تنظيم معرض لأعماله ســـنة ١٨٧٨م قبل موته بسنة واحدة فقط فأدرك جمهور الفن ومحبوه مدى عظمة هـــذا الفنان ولقب بمايكل أنجلو الكاريكاتير وكرمته الحكومة الفرنسية آنذاك، إلا أن الوقـــت كـــان قـــد فات فقال حينئذ فى يأس وانكسار "إننى أصبحت فى سن لم يعد للـــتكريم فيها أى قيمة لدى"، فقد بدأ المرض يضعف جسمه كما انقطع رزقه وفقد بصـــره وغلـــبه الفقر وأعياه الزمن حتى مات فى العاشر من فبراير سنة ١٨٧٩م وهـــو فى السبعين من عمره واهناً عجوزاً فى كوخ صغير أهداه إليه صديقه الفنان كـــورو بعد أن طرد من منزله عندما عجز عن دفع إيجاره، وهو الذى أثرى عالم الفـــن بأكثر من أربعة آلاف لوحة مطبوعة وثلاثمائة لوحة مائية وزيتية وثمانمائة رســـم وقـــرابة ألـــف نقـــش خشـــبى ونحـــت فى أكبر متاحف العالم مثل اللوفر والمتروبوليتان.

ومـــن لوحاتـــه الشـــهيرة: لوحة المسافرون الليليون سنة ١٨٤٢–١٨٤٧م، ولوحة الجمهورية سنة ١٨٤٨م (صورة رقم (٢٥))، ولوحة محاميان سنة ١٨٥٥–١٨٥٧م، ولوحة الانتفاضة سنة ١٨٦٠م، ولوحة في الكنيسة سنة ١٨٦٠م، ولوحة في المسرح سنة ١٨٦٠–١٨٦٤م، ولاعبي شطرنج سنة ١٨٦٣–١٨٦٧م.

جوهان بارثولد جونجكيند (١٨١٩ – ١٨٩١م) Johan Barthold Jongkind





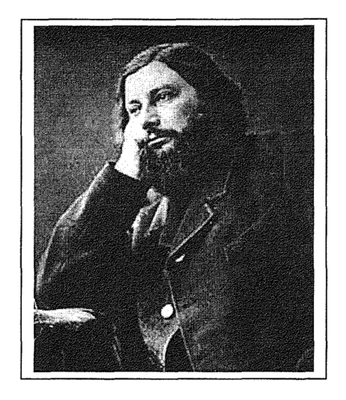
هو "أبـو المنظر الطبيعى الحديث" كما كان يدعوه الرسام الفرنسى الشهير إدوارد مانـيه، فقـد كان سيد الرسم الطبيعى خاصة المناظر البحرية، وذلك بلا شك نتيجة لتأثير طفولته وشبابه عليه اللذين قضاهما فى ميناء فلاردنجيـن غرب ميناء روتردام بهولندا، حيث كان أبوه يعمل جابى ضرائب فى ذلـك المكان، وقد ولد جونجكيند بهولندا فى الجزء الشرقى منها وكان الابن الثامن بيـن عشـرة أطفال، ورغم التحاقه بالمدرسة إلا أنه لم يستطع إكمال تعليمه الذى تركه سنة ١٨٣٥م ليعمل كاتباً، ومع موت أبيه سنة ١٨٣٦م قرر السفر إلى لاهاى لحضـور دروس الرسـم بأكاديمية الفنون هناك حيث تدرب تدريبه الأول على يد الفـنان الكبير أندريس شيلفهوت سنة ١٨٣٧م، والذى كان بارعاً فى رسم المناظر الطبيعـية بدقـة وجمال لا نظير لهما، وظل جونجكيند بلاهاى حتى سنة ١٨٤٥م مسـتغرقاً فـى رسم مواضيع الطبيعة الكلاسيكية المستوحاة من بلاده مثل الموانى والمراكـب وطواحين الهواء حتى انتقل إلى باريس فى مارس سنة ١٨٤٦م بدعوة مـن الفـنان الفرنسـى الشهير أوجين إيزابى لينضم إلى مرسمه بباريس، لتصبح بـاريس مصـدراً جديـداً لإلهامـه الفنى، فتطورت لوحاته وامتلأت بألوان جديدة

وتوزيـــع قـــوى للضوء، فرسم بجانب المناظر الطبيعية لوحات أخرى من المشاهد اليومـــية بدقة ملاحظة شديدة، ورغم رفض الصالون الرسمى للعديد من لوحاته إلا أن الصالون منحه فى سنة ١٨٥٢م وساماً من الدرجة الثالثة ليرجع إلى هولندا فى سنة ١٨٥٥م بعد موت أمه فى ذلك العام، ويعود مرة أخرى لرسم المناظر التقليدية الطبيعـــية الهولـــندية، وقد عانى فى تلك الفترة ضيق النفس والاكتئاب فقرر العودة إلـــى بـــاريس فـــى سنة ١٨٦٠م.. وهناك قابل الرسامة الهولندية السيدة جوزيفين فيســـير ذات الشخصـــية القوية والتى وقفت بجانبه وساعدته بإخلاص للتغلب على مشـــاكله وأزماته، فقد كان جونجكيند يمر باضطرابات نفسية عديدة نتيجة لإدمانه الخمـــر وانغماسه فى حياة الليل الباريسية بالإضافة لإفلاسه الدائم وحاجته التى لا تنـــتهى للمـــال، وقـــد قـــام أصدقاؤه بمحاولات عدة لمساعدته وعلى رأسهم تاجر اللوحـــات بـــير مارتن والذى كان حريصاً على بيـــع لوحاته لتحقيق الاستقرار له وإبعـــاده عن حياة الليل الصاخبة، وبالفعل بدأ جونجكيند يجنى سمعة جيدة لفنه فى فرنسا خاصة من الشباب، فرسم عدداً كبيراً من اللوحات الرائعة كان أهمها لوحته ضـــوء قمـــر فى روتردام والتى قدمها للصالون الرسمى فى سنة ١٨٧٣م متوقعاً الحصول على وسام رفيع على لوحته إلا أن الصالون رفض اللوحة، فأصيب بخيبة أمل كبيرة وقرر عدم التقدم بأى لوحة لهذا الصالون الفنى مرة أخرى.

ورغـــم ظهور الحركة التأثيرية فى ذلك الوقت إلا أن جونجكيند لم يشترك فى معرضهم الأول بل تبعهم فيما بعد، وهو ما يفسر عدم اكتسابه بريق شهرة أصدقائه الانطباعييـــن، إلا أن أعمالـــه الفنـــية سرعان ما اكتست برداء الانطباعية بأسلوبه الخاص ذى التأثيرات الخفيفة وهو ما جـــذب له عدداً كبيراً من المعجبين ويسر له شـــهرة نمـــت أكثر وأكثر فى السنوات العشر الأخيرة من عمره، وهى الفترة التى كانـــت تتسم أيضاً بالقلق والاكتئاب الشديد والحزن والذعر من كل شئ فى الحياة، فعـــاد مرة أخرى للإفراط فى شرب الخمور حتى أصبح كأس الخمر لا يكاد يفارق يـــده، فعـــانى الاضطرابات العقلية والمشاكل النفسية فتم إدخاله مصحة للأمراض العقلية، إلا أن حالته ازدادت سوءاً حتى مات بالمصحة فى فبراير سنة ١٨٩١م.

مـــن لوحاتـــه: لوحـــة نهـــر السين وكاتدرائية نوتردام بباريس سنة ١٨٦٤م (صـــورة رقـــم (٢٦))، ولوحة في هولندا – مراكب قرب الطاحونة سنة ١٨٦٨م، ولوحـــة مشـــهد ميناء في هولندا سنة ١٨٦٨م، ولوحة ميناء على ضوء القمر سنة ١٨٧١م.

جوستاف كوربيه (١٨١٩ - ١٨٧٧م) Gustave Courbet





كانت شخصـيته الـثورية الحـادة سبباً فى معاناته طوال حياته وحتى مماتـه، فقد ثار أول ما ثار على رغبة أبيه الذى كان يريده رجل قـانون فاخـتار طريق الرسم والتصوير، وعندما أصبح فناناً ثار علـى أسـاليب الفـن القائمـة فى ذلك الوقت، كما تعاطف أثناء مشوار حياته مع الحـركات الثورية التى كرست جهدها لإنهاء الملكية الفرنسية حتى عوقب لنشاطه السياسى ليموت هارباً يعانى الفقر والوحدة والحرمان.

والبداية عندما ولد جوستاف كوربيه فى العاشر من يونيو سنة ١٨١٩م بقرية أورنـانس بشـرق فرنسا قرب الحدود السويسرية لعائلة ميسورة الحال فكان أبوه مزارعا يمتلك مزارع عنب فى قرية صغيرة تبعد قرابة ثمانية أميال عن أورنانس وكـان أكبر أخوته الأربعة وعندما بلغ العشرين من عمره أرسله أبوه إلى باريس سنة ١٨٣٩ لدراسة القانون علّه يصبح محاميا ناجحا، إلا أن الابن اتجه لفن الرسم وتعلـق به وتردد على متحف اللوفر مستنسخاً العديد من لوحات عظماء الفن أمثال رمبرانت وديلاكروا بدقة ومهارة عالية وسرعان ما صارح أباه برغبته فى الاتجاه

إلــى الرســم فوجد القبول والرضا من أبيه الذى كان دائماً ما يحترم رغبات ابنه تاركاً له اختيار مصيره على أن يتحمل تبعات اختياره، فكان مؤمناً ان ابنه إذا سار فــى الطــريق الذى أراده ربما يصبح فى يوم من الأيام فناناً عظيماً بدلاً من محام بســيط لا يعــرفه أحــد، ولم يكتف الأب بالموافقة فقط وإنما سانده ووقف بجواره لتحقــيق غايــته لدرجة أنه أبدى كامل استعداده لبيع أرضه ومزارعه وحتى البيت الذى يأويهم فى سبيل مساعدة ابنه، وأمام كل هذا التشجيع سار كوربيه فى الطريق الــذى اختاره لنفسه دون أن يحمل هم تدبير المال اللازم لدراسته وبالتالى استطاع أن يكــرس نفسه تماماً للفن وتعلمه وممارسته على النحو الذى يرضيه، فثار على الموضوعات الشائعة فى ذلك الوقت والمقتبسة من التاريخ أو موضوعات المدرسة الرومانتيكية، واتجه الى الموضوعات المستقاة من الحياة اليومية الواقعية بصراحة وجــرأة فــى تحد واضح لمبادئ الرومانسية والأفكار الأكاديمية فى الفن، وهو ما جعلــه زعــيم المدرسة الواقعية بلا منازع، وإن كانت رؤيته الفنية قد جلبت عليه ســخط النقاد وجمهور الفن فى تلك الفترة، ورغم أنه قد عرض أولى لوحاته وهى لوحة رجل وكلبه والتى أنجزها سنة ١٨٤٢م فى صالون سنة ١٨٤٤م إلا أن جميع لوحاتــه التى تقدم بها بعد ذلك للصالون رفضت وذلك لثلاث سنوات متتالية بحجة أن أســلوب هــذه اللوحــات غير مألوف، حتى سُمِح لجميع الفنانين بالاشتراك فى صالون سنة ١٨٤٨م فتمكن من عرض بعض لوحاته به.

وقد أدت حياة باريس الصاخبة والنقد المستمر للوحاته من جانب جمهور الفن إلــى إرهاقــه الشديد فقرر التخلص من توتره بالعودة لمسقط رأسه لبعض الوقت فزار عائلته فى أورنانس سنة ١٨٤٩م ورسم أعظم لوحاته وهى محطمو الصخور والتى صور فيها رجلاً عجوزاً وصبياً يعملان فى تكسير الأحجار فى مكان ريفى قــاحل وبأســلوب واقعى صريح فأثارت عليه هذه اللوحة الرأى العام آنذاك واتهم كوربــيه بالمــيول الاشــتراكية لأن موضــوعه يصور الطبقة العاملة التى تعانى العــبودية والفقــر، كما رسم لوحته الشهيرة بعد العشاء فى أورنانس والتى فازت بميدالــية فــى صالون سنة ١٨٤٩م وهو ما مكنه من عرض لوحاته بعد ذلك فى صــالونات السنوات المقبلة دون عرضها على هيئة التحكيم، ثم جاءت لوحته دفن فــى أورنــانس والــتى عرضها فى صالون سنة ١٨٥٠م تتويجاً لأسلوبه الواقعى الصــريح والــتى أزعجــت أيضاً النقاد وباقى مصورى الصالون واتهم من جديد باعتــناقه للأفكــار الاشتراكية، ومع ذلك لم يتراجع كوربيه عن أسلوبه الفنى الذى اختاره وآمن به رغم كل الهجوم الذى لقيه فقد رفضت هيئة التحكيم عرض لوحته

الكبيرة مرسم الرسام (صورة رقم (٢٧)) فى صالون سنة ١٨٥٥م الذى أقيم فى قصر الفنون تحت رعاية نابليون الثالث، واستمراراً فى التحدى عرض كوربيه لوحاته فى معرض خاص بتمويل من أحد أصدقائه بجوار قصر الفنون أسماه جناح الواقعية.

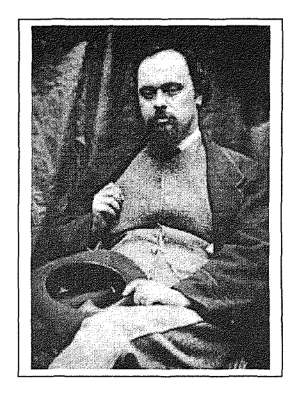
ومع نهاية سنة ١٨٦٠م اتجه كوربيه لرسم سلسلة من اللوحات الجنسية والعارية والتى صور فى بعضها أعضاء النساء التناسلية وهى اللوحات التى كانت مثار جدل واسع ونقد لاذع، ومن أهم هذه اللوحات لوحة امرأة مع ببغاء، والنائمات، فقد اعتبر النقاد أن كثيراً من لوحاته تمثل إهانة للمشاهدين، فقد كانت النساء من زوار المعرض يستدرن من الاشمئزاز، بينما كان كثير من الرجال يستهجن اللوحات ويحركن أكتافهن تعبيراً عن عدم الرضا بينما كان الشباب من زوار المعرض يضحكون بصوت عال ويحاولون إحراج الفتيات، وهو ما دعا رجال الشرطة إلى إبعاد كوربيه عن المعرض حتى لا يتعرض لهجوم المعارضين، وقد سبق وأن أثارت إحدى لوحاته نابليون الثالث فضرب اللوحة بسوطه فمزقها.

ومع كل هذا النقد والمعارضة الشديدة لموضوعاته لم يتراجع كوربيه عن أسلوبه الواقعى والذى جذب إليه كثير من شباب الفنانين فى ذلك الوقت وأصبح هو زعيم هذه النزعة بلا منازع، كما حظيت لوحاته الواقعية الصريحة التى تعرض مشاكل المجتمع الفرنسى لتقدير رجال الفكر والأدب وإعجاب أهل الفن فزاد ذلك من شهرته وبزوغ نجمه مما حدا بالإمبراطور نابليون الثالث نفسه أن ينعم عليه بوسام الشرف تقديراً له، إلا أن كوربيه رفض تسلم هذا الوسام ثأراً لكرامته التى سبق وأن أهانها الإمبراطور عندما مزق لوحته بسوطه، فزاد ذلك من شعبيته بين المعارضين لنظام الحكم، ومع اندلاع الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠م وسقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية وإعلان الجمهورية الثالثة فى الثامن عشر من مارس سنة ١٨٧١م تم انتخاب كوربيه رئيساً لاتحاد الفنانين، كما صوتت اللجنة الثورية التى حكمت المدينة آنذاك بهدم عامود ساحة فاندوم الذى كان قد أقيم على يد نابليون الأول واعتبراً رمزاً للإمبراطورية الأولى والثانية، ونفذ كوربيه ذلك القرار فى السادس عشر من مايو، إلا أن تلك اللجنة الثورية تم القضاء عليها فى الثامن والعشرين من مايو على يد جيش فرساى الموالى لنابليون الثالث، وتم اعتقال جميع زعمائها والمشتركين بها وإعدامهم أو سجنهم، فتم اعتقال كوربيه فى السابع من يونيو مختبئاً فى منزل أحد أصدقائه، كما تم تفتيش مرسمه ومصادرة جميع ما وجد به من أعماله الفنية والتى بلغت نحو ١٠٦ لوحات وبعض متعلقاته

كمـــا تم التحفظ على المرسم والختم على بابه، فقد اتهم بمسئوليته الكاملة عن هدم عـــامود ساحة فاندوم رغم أنه لم يكن صاحب القرار، وحوكم أمام مجلس فرساى العســكرى فى الثانى من سبتمبر سنة ١٨٧١م الذى أدانه وحكم عليه بالسجن لستة أشهر وبغرامة خمسمائة فرنك، وقد حاول كوربيه وهو فى سجنه أن يرسم باريس مــن نـــافذة السجن لكن السجان منعه من ذلك باعتباره لم يودع السجن للنزهة أو للتمــتع بجمال المدينة، ولم ينته الأمر عند ذلك بل صدر قرار بإلزام كوربيه بدفع جمـــيع نفقـــات إعادة بناء العامود والتى بلغت أكثر من مائتى ألف فرنك وهو مبلغ كبـــير جـــداً كان من المستحيل عليه تدبيره، فهرب فى الثالث والعشرين من يوليو ســنة ١٨٧٣م بمساعدة بعض أصدقائه إلى سويسرا.. وكان دائماً ما يشعر بالوحدة وعـــدم الأمـــان فأفــرط فى شرب الخمر مما أدى إلى إصابته بتليف الكبد وبدأت صـــحته تضعف بشدة، فأصيب بداء الاستسقاء كما أصيب بالبواسير، ومع كل تلك الأمراض لم يذهب إلى طبيب أو يتناول أى دواء، فكان قد ضاق بالحياة وزهد فيها لينهار تماماً ويسقط ميتاً بعد بضعة أيام فقط من علمه ببيع جميع محتويات مرسمه بـــباريس فـــى مزاد عام ليفارق الحياة وحيداً هارباً حزيناً فى الحادى والثلاثين من ديســـمبر سنة ١٨٧٧م وهو فى الثامنة والخمسين من عمره بعيداً عن موطنه الذى أحبه من كل قلبه وملك عليه روحه وعقله.

مـــن لوحاته الشهيرة: الأرجوحة سنة ١٨٤٤م، شابات القرية سنة ١٨٥١ – ١٨٥٢م، المستحمون سنة ١٨٥٣م، المصارعون سنة ١٨٥٢ – ١٨٥٣م، ثعلب في الثلج سنة ١٨٦٠م.

دانتي جابريل روزسيتى (١٨٢٨ - ١٨٨٢م) Dante Gabriel Rossetti





لم يكــن الفنان الإنجليزى دانتي جابريل روزسيتى رساماً بارعاً فقــط وإنما كان أيضاً شاعراً بليغاً ومترجماً حاذقاً، ولد بلندن فى الثانى عشر من مايو ســنة ١٨٢٨م لأب إيطـــالى نفـــى من نابولى لنشاطه السياسى ضد الحكم الملكـــى هــناك، فلجأ إلى لندن وتزوج من فرانسيس بولدوري الإنجليزية الإيطالية والتى كان يكبرها بسبع عشرة سنة، وكان الأب على درجة ثقافية عالية فكان كاتباً ومفكـــراً ورجـــل علـــم، أمـــا الأم فكانت سيدة مثقفة ومعلمة سابقة واللذان تعاونا بـــإخلاص فى تربية أبنائهم، فجاء النضج الثقافى للأبناء مبكراً حيث كانوا دائماً ما يســـتمعون إلى حوار أبيهم وأمهم فى مواضيع الفن والأدب والسياسة، وبالتالى كان النجاح حليف جميع الأبناء، فالابنة الكبرى ماريا مؤلفة والابن وليم مايكل ناقد فنى ودانـــتى رسام وشاعر ومترجم والابنة الصغرى كرستينا شاعرة، كما أتقنوا جميعاً اللغتين الإنجليزية والإيطالية بطلاقة، فكان الأب يتكلم مع أبنائه بالإيطالية بينما كان حـــوار الأبناء مع أمهم بالإنجليزية، ورغم أن الأب لم يكن واسع الثراء إلا أنه كان حريصـــاً على أن يوفر لأسرته حياة كريمة حتى ضعف بصره وتدهورت صحته فاضـــطربت حياة الأسرة إلى حد ما، فعمل دانتى للمساعدة فى أعباء الأسرة وبعد

أن أكمـــل تعلـــيمه العام فى الرابعة عشرة من عمره تردد فى اختيار الطريق الذى ســـوف يسلكه فى حياته بين الشعر والرسم، حتى حسم الأمر والتحق بمدرسة رسم بوســـط لـــندن ثـــم الـــتحق بالأكاديمية الملكية سنة ١٨٤٥م، إلا أن موهبته الأدبية والشـــعرية كانـــت تـــراوده من حين لآخر فقرأ كتباً أدبية وشعرية كثيرة جداً وبدأ بالفعل ينظم الشعر، وسرعان ما استاء روزسيتى من نظام الدراسة بالأكاديمية التى اعتـــبرها روتينـــية تكـــرارية عديمة القديمة، فتركها ودرس على يد الرسام فورد مادوكس براون الذى أرسل له برسالة مهذبة رقيقة يرجوه ليقبله طالباً عنده، إلا أن براون صاحب الشخصية الحساسة المرتابة خشى من أن تكون الرسالة رسالة نفاق وريـــاء فتردد فى قبوله، حتى وافق فى النهاية بعد أن تأكد من موهبته، ورغم ذلك ثـــار روزسيتى أيضاً على أسلوب معلمه وتركه بعد أن أصبحا صديقين، ثم انضم بعد ذلك لمرسم الفنان ويليام هولمان هانت سنة ١٨٤٨م وأسس فى نفس السنة وهو فـــى العشرين من عمره مع سبعة من الرسامين والشعراء والنقاد الإنجليز جماعة فنـــية أطلقـــوا عليها اسم ما قبل الرفائيلية هدفت إلى إصلاح الفن الإنجليزى الذى افـــتقر إلـــى الأصـــالة والجهـــد والحماس راغبين فى العودة إلى التفاصيل الدقيقة والألـــوان الكثـــيفة والتراكيـــب المعقدة للرسامين الإيطاليين الأوائل من جيوتو إلى لـــيوناردو، فرســـم العديـــد من اللوحات لمواضيع مستوحاة من العهد القديم والعهد الجديـــد وأســـاطير القرون الوسطى، وفى نفس الوقت ترجم أيضاً عدداً من أعمال الشعراء الإيطاليين من القرون الوسطى، كما نظم شعراً خاصاً به.

إلا أن لوحاتـــه الـــتى عرضها سنة ١٨٥٠م نالت نقداً حاداً على أسلوبه الفنى الرصين والعيوب التقنية فى أسلوبه الناتج عن خبرته القليلة، فلم يستطع أن يستمر فـــى أسلوبه وانسحب من المعارض العامة وتوقف عن الرسم بالزيت واتجه للرسم بالألوان المائية بعد أن شعر أن عيوب لوحاته التقنية أقل ظهوراً فى الألوان المائية إلى جانب أن هذه اللوحات أسهل فى البيع، وقد تعرف روزسيتى فى سنة ١٨٥٠م على الفتاة إليزابيث سيدال العاملة فى محل لبيع قبعات النساء فبهره جمالها الخلاب وروحهـــا الخفـــيفة وشخصـــيتها اللطيفة، ورغم أنها كانت نموذجا للرسم من قبل أعضـــاء جماعـــته الفنـــية إلا أنها ارتبطت به على نحو خاص وأصبحت ملهمته ونموذجه فى العديد من لوحاته المصورة وظهر فى رسوماته لها ود وغرام ونشأت بينهما علاقة حب خاصة، ورغم أنهما عاشا مع بعضهما من سنة ١٨٥١م إلا أنهما لـــم يـــتزوجا إلا فـــى سنة ١٨٦٠م بسبب مرضها والصعوبات المالية التى كانت تلاحقـــه وخوفـــاً من تحمل مسئولية أسرة، إلا أن مرضها بالتهاب الأعصاب زاد

بشـــكل كبـــير لتموت بعد عشرين شهراً فقط من زواجها وذلك بعد عدة أشهر من وضعها طفلة ميتة فى مايو سنة ١٨٦١م، وكان موتها نتيجة لتعاطيها جرعة زائدة مـــن عقار اللودانم المخدر وذلك فى العاشر من فبراير سنة ١٨٦٢م بعد أن تناولت العشـــاء مـــع زوجهـــا فى أحد المطاعم، لتشعر بآلام شديدة بعد عودتها إلى البيت فتعاطـــت جرعة هائلة من العقار المخدر لتموت أثناء نومها ليلاً، وقد اعتقد زوجها فى بادئ الأمر أنها فى غيبوبة حتى تبين له موتها، ورغم أن الشكوك دارت حول انـــتحارها المتعمد ودار تحقيق لتبين حقيقة الأمر إلا أن ذلك الأمر لم يثبت واعتبر القاضـــى أن موتهـــا جـــاء عـــن طريق الخطأ فى تناول الجرعة.. ونتيجة لموتها المأســـاوى مـــلأ الحزن قلب روزسيتى وسيطر عليه الهم والغم مما جعله يدفن مع زوجـــته فـــى تابوتها قصائده الشعرية التى لم تنشر بعد، وانطبعت لوحاته برمزية الموت، وكانت أهم لوحاته وأكثرها شهرة لوحة بيتا بيتريكس (صورة رقم (٢٨))، وأصـــبح تصـــويره للنساء يظهر فيه القلق والتوتر، كما انزوى عن الناس فى بيت بعـــيد عـــاش فـــيه مكتئباً يعانى الأرق والفتور فى الحياة، وأصابه الهوس ببعض الحـــيوانات الغريـــبة مـــثل حيوان الومبت الاسترالى، الذى كان يقضى الساعات الطـــوال أمامـــه فى حديقة حيوان لندن، بل ويطلب من أصدقائه مقابلته هناك حتى اســـتطاع فى سبتمبر سنة ١٨٦٩م أن يحصل على حيوانين من هذا النوع الغريب ليربـــيهما فى حديقة منزله، وفى بعض الأحيان كان يسمح لهما بتناول الطعام على مـــائدة طعامـــه والنوم على منضدة العشاء، حتى ضاق جيرانه من الإزعاج الناتج عنهما خاصة وأنه ألحق بهما بعض الحيوانات الأخرى مثل الكنغر وبعض الطيور مثل البوم والببغاوات وطاووس وبعض الأرانب والسحالى وحتى حمار وثور وعدد مـــن الحيوانات المختلفة الأخرى فى محاولة لتكوين حديقة حيوان صغيرة بمنزله، وكـــان القـــانون يمـــنع إبقـــاء هذه الحيوانات الغريبة فى المساكن منعاً للضوضاء وإزعاج الآخرين.

ورغم حزن روزسيتى على فراق زوجته الحبيبة إلا أنه وقع فى علاقة مشينة مـــع الســـيدة جين زوجة صديقه وليام موريس والتى كان يرسمها كنموذج للوحاته فـــتطورت علاقـــتهما بشكل سريع حتى وقعا فى الخطيئة، كما ارتبط أيضاً بعلاقة جنســـية مـــع مدبرة منزله وربما مع عدد من النساء اللاتى كان يرسمهن، وقد قل إنتاج روزسيتى من اللوحات المائية تدريجياً وعاد مرة أخرى للرسم بالزيت، حتى قـــرر فـــى ذلـــك الحين نزولاً على نصائح بعض أصدقائه وبمساعدتهم استرجاع قصـــائده المدفونـــة، فنبش قبر زوجته الميتة خلسة واستخرج قصائده ونشرها سنة

١٨٧٠م والــتى كانت موضع خلاف شديد ونقد عنيف وهجوم وحشى، وهو ما أثر علــيه بقــوة بالإضــافة لبعد السيدة جين عنه وقطعها لعلاقتهما، فأفرط فى شرب الكحولــيات لدرجـــة الإدمان بعد أن عانى الاكتئاب والضيق وأصبح غير متزن، مذعوراً من أى شئ دائم القلق والتوتر، كما لازمه الصداع وضعف بصره فتعاطى مخـــدر الكلــورال وأفرط فيه، وبدأت تنتابه هلاوس سمعية فيسمع أصواتاً مختلفة على غير هدى حتى انهار تماماً وحاول الانتحار فى الثامن من يونيو سنة ١٨٧٢م باســكتلندا بتعاطى كمية كبيرة من اللودانم محاولاً الموت بنفس الطريقة التى ماتت بهــا زوجــته، إلا أن محاولة انتحاره فشلت، ومع ذلك لم يتعاف أو يستعد صحته وإنمــا زادت حالته سوءاً على سوء خاصة بعد انغماسه فى تعاطى المواد المخدرة مــثل المورفيــن واللودانــم والكلورال والذى كان يضعه على الويسكى والبراندى ويــتجرعه بنهم وشراهة، ففقد وسامته وزاد وزنه وسقط شعر رأسه وغشيه خوف مــن فقد بصره كما حدث لأبيه وانعزل عن الناس تماماً رغم استمراره فى الرسم، وشــخص الأطباء حالته بتوتر عصبى واضطراب عقلى واعتبره البعض مجنوناً، ورغــم أنـــه كان يتعاطى عشر حبات من الكلورال فى اليوم إلا أن هذا العدد زاد بشكل كبير جداً قبل موته لدرجة أنه كان يفتخر بأنه يتعاطى مائة وثمانين حبة فى الــيوم الواحــد، حتى وقع ميتاً فى التاسع من أبريل سنة ١٨٨٢م على أثر مرضه بالفشـــل الكلوى وذلك فى ليلة عيد الفصح وهو فى الثالثة والخمسون من عمره فى بيــت ريفى بمدينة بيرتشينجتون الساحلية التى قصدها بحثاً عن الراحة والهدوء فى محاولـــة عقــيمة لاسترداد صحته المفقودة، إلا أن الموت كان قريباً جداً منه فلقى حتفه ودفن بنفس البلدة التى توفى بها بعد رحلة شاقة دامت لقرابة عشر سنوات من الهــم والغــم والحــزن والاكتئاب، ليعد مدفنه حالياً مزاراً لكثير من المعجبين به المحبين لفنه وشعره.

مــن لوحاته: طفولة مريم العذراء سنة ١٨٤٨ – ١٨٤٩م، سانت كاترين سنة ١٨٥٧م.

كاميل بيسارو (١٨٣٠-١٩٠٣م) Camille Pissarro





رغم ما عاناه بيسارو من صعاب وأزمات خلال مشوار حياته إلا أنه لم يفقد إيمانه بنفسه أو بفنه، واستطاع بقوة العزيمة والصبر على البلاء أن يعبر فوق كل المعوقات بهامة قوية شامخة، وقد ولد كاميل بيسارو فى العاشر من يوليو سنة ١٨٣٠م بجزيرة سان توماس إحدى المستعمرات الدانماركية لجزر الهند الغربية لأب يهودى فرنسي من أصل برتغالى استقر فى تلك الجزيرة وتزوج إحدى فتياتها، وقد كان تاجراً ناجحاً أراد لابنه أن يسير على دربه فأرسله وهو فى الثانية عشرة من عمره إلى مدرسة داخلية فى قرية صغيرة قرب باريس ليتلقى تعليمه الأساسى هناك، إلا أن الابن سرعان ما تعلقت روحه بفن الرسم والتصوير وانجذب لهذا العالم البراق وأخذ يتردد باستمرار على المتاحف والمعارض الفنية، وبدأ بالفعل فى رسم لوحات تخطيطية بسيطة للمناظر الطبيعية الريفية التى كان يشاهدها حوله، حتى عاد بعد خمس سنوات إلى أبيه فصارحه برغبته فى تعلم الرسم واحترافه فكان ذلك بمثابة صدمة كبيرة للأب الذى رأى أن ابنه قد خيب جميع آماله فيه فنهره وأجبره على العمل معه فى

الـــتجارة، وكـــان كثـــيراً ما يثقل عليه فى العمل على أمل أن ينسيه العمل أحلامه وأوهامـــه الطائشـــة، إلا أن حلم النجاح الفنى كان قد غلبه وسيطر على عقله وقلبه وكل جوارحه فأصبحت عيناه لا ترى إلا الخطوط والألوان، فكان يخط بيده كل ما تقـــع عليه عيناه، فعندما يجلس فى محل التجارة يرسم البضائع والسلال أو الحمير الـــتى تســـير أمامـــه فى الطرقات وما تجره من عربات، وعندما يرسله أبوه إلى الميـــناء للإشـــراف على البضائع القادمة واستلامها كان دفتر الرسم يلازمه فيرسم حـــياة الميـــناء ومراكـــب التجارة والصيد على صفحة المياه الزرقاء، وعندما كان يتجول فى شوارع الجزيرة يرسم النساء وهن يغسلن الملابس فى مياه الشواطئ أو يحملـــن فوق رؤوسهن الدوارق والأوانى والسلال، وكان قد تعرف فى ذلك الوقت علـــى الرســـام الدانمركى فريز ميلبى وكون صداقة قوية معه فشجعه ميلبى على الهـــرب مـــن سلطة أبيه واختيار حياته بنفسه، وقد كان.. فقد هرب كاميل بيسارو ســـنة ١٨٥٢م بصحبة صديقه الفنان فريز ميلبى إلى مدينة كراكاس بفنزويلا وبقى بها سنتين تقريباً يعانى الوحدة وإن كان فى نفس الوقت يشعر بسعادة داخلية منبعها ما حققه من استقلال وكله أمل فى إثبات ذاته ونجاحه حتى وافق الأب مكرهاً على رغبة ابنه، كما وافق أيضاً على سفره مرة أخرى إلى باريس لتلقى تعليم فنى أكثر جدية مع إعطائه المال اللازم الذى يعينه على دراسته، وبالفعل سافر كاميل بيسارو إلـــى بـــاريس ســـنة ١٨٥٥م والتحق بالأكاديمية السويسرية وتدرب على يد الفنان السويســـرى الشـــهير تشـــارلز جلير كما تعرف على مونيه وسيزان وغيرهما من الفنانيـــن الشـــباب، وبـــدأ يرسم لوحاته مباشرة للمناظر الطبيعية الريفية المحيطة بـــباريس وضفاف نهر السين، واشترك بالفعل فى الصالون الرسمى سنة ١٨٥٩م وكـــان فـــى ذلك الوقت قد تعرف على فتاة تدعى جولى فيلاى والذى تزوجها بعد ذلـــك وأنجـــب منها ثمانية أبناء إلا أن أحدهم قد مات عند الولادة بينما ماتت فتاة أخرى وهى فى التاسعة من عمرها، وهو ما أحزنه بشدة.

ورغـــم اشـــتراك كاميل بيسارو بانتظام فى الصالون الرسمى إلا أنه لم يحقق النجاح الذى كان يريده أو يبيع من لوحاته ما يضمن له الاستقرار المالى ، ولذا فقد كانت عائلته الغنية تساعده من حين لآخر، كما كان يتنقل مع أسرته من مكان لآخر حتى استطاع أن يحصـل على شقة مناسبة فى باريس سنة ١٨٦٩م، غير أنه هرب إلى بريطانيا فى سبتمبر سنة ١٨٧٠م أثناء الحرب الفرنسية البروسية التى اندلعت فى تلك السنة تاركاً جميع لوحاته الفنية فى بيته بباريس، حتى عاد مرة أخرى إلى بيـــته فى يونيو سنة ١٨٧١م بعد انتهاء الحرب ليفاجأ بسرقة جميع محتويات منزله

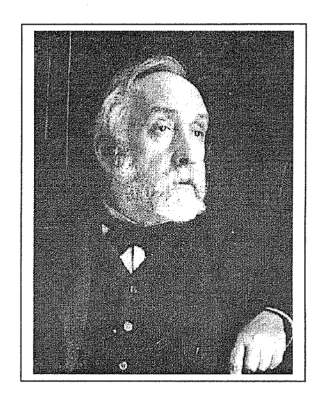
وأنـــه لم يتبق من لوحاته التى رسمها خلال عشرين سنة والتى بلغت أكثر من ألف وخمســمائة لوحة إلا نحو أربعين لوحة فقط، فقد استعمل الجنود البروسيون بعض لوحاتـــه كـــألواح لتقطيع الطعام واللحم وبعضها الآخر كوسائل وقاية من المطر.. ورغم تلك الصدمة القوية إلا أنه استطاع أن يتغلب عليها فذهب إلى بونتويس وأقام بها وهناك تقابل مع سيزان وعمل معه، وكان على صلة وثيقة بالمصورين الشباب فـــى ذلك الوقت كما كان يقوم بزيارات متكررة إلى باريس من حين لآخر، وعندما أقام الانطباعيين معرضهم الأول اشترك معهم كما اشترك أيضاً فى كل المعارض الـــتى أقاموهـــا بعد ذلك، ومع ذلك لم تجذب أعماله اهتمام الناس بل على العكس كانت تنال نقد النقاد الفنيين، ونتيجة لأنه كان مسئولاً عن أسرة كبيرة كان دائماً ما يجـــد صعوبات جمة فى تدبير تكاليف المعيشة، لينتقل قبيل سنة ١٨٨٢م للعيش فى قـــرية أوســـنى القريبة من بونتويس مواصلاً عمله فى رسم المناظر الطبيعية الى جانب مناظر أخرى للشوارع والأسواق، ثم استقر فى قرية إيراجنى الصغيرة سنة ١٨٨٤م، وكـــان اليأس قد بدأ يتسرب إلى نفسه كما بدأ يشعر بالاستياء من أعماله حـــتى قـــابل فـــى نهاية عام ١٨٨٥م الرسامين جورج سورا وبول سينياك واللذين اعـــتمدا فـــى لوحاتهمـــا على تفتيت الأجسام إلى جزيئات من الألوان عن طريق التنقـــيط، فـــبدأ بيسارو يجرب الأسلوب التنقيطى وعرض بعض هذه اللوحات سنة ١٨٨٦م ســـوية مـــع لوحات صديقيه ولكنه لم يجد من يشترى هذه اللوحات فتخلى عن أسلوب التنقيط عام ١٨٩٠م وعاد إلى أسلوبه فى الرسم، وإن كان إنتاجه الفنى قـــد بـــدأ يقل إلى حد ما نتيجة لإصابته بمرض فى عينه كان يعوقه عن الرسم فى الهواء الطلق ولذا كان يؤجر الشقق ليرسم من نوافذها المناظر الطبيعية، فقد كانت الصـــعوبات المالية تطارده من حين لآخر والتى زادت عليه بشدة فى ذلك الوقت، ممـــا جعله يضغط على نفسه ويستمر فى العمل عله يجد من يشترى بعض لوحاته لكسب المال الذى كان فى أمس الحاجة له.

وفـــى مـــارس سنة ١٨٩٣م أقام التاجر دوراند رويل معرضاً فنياً كبيراً فى بـــاريس وعـــرض بـــه ستا وأربعين لوحة من لوحات بيسارو وقد نجح المعرض وبيعت بعض لوحاته مما جعله يتجاوز ضائقته المالية الحادة، فعاود الرسم بحماس ونشـــاط وبـــدأ يجنى شيئاً من النجاح والشهرة وهو فى الثالثة والسبعين من عمره حيـــث مـــات فـــى ذلك العمر بتسمم الدم فى الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩٠٣م تاركـــاً خلفـــه إنـــتاجاً فنياً غزيراً ومتنوعاً من اللوحات المرسومة بالألوان الزيتية والمائـــية والبســـتل، إلى جانب بعض لوحات الطباعة الحجرية والنقش تقدر حالياً

بمـــبالغ مالـــية طائلـــة، كما أثر على جيل كبير من فنانى عصره احترموا أعماله وقـــدروا شخصـــيته الـــتى اتسمت بالحكمة والاتزان واللطف، ولذا فكان كثيراً ما يـــتدخل لحل الخلافات بين زملائه الفنانين كما اعتبره النقاد واحداً من أهم مؤسسى المدرسة الانطباعية فى الرسم.

مـــن أشـــهر لوحاتـــه: قوس قزح سنة ١٨٧٧م، الحطاب سنة ١٨٧٩م، فتاة قروية تشرب القهوة سنة ١٨٨١م، فتاة قروية ترتدى قبعة من القش سنة ١٨٨١م، فـــتاة تغســـل الصـــحون سنة ١٨٨٢م (صورة رقم (٢٩))، التقاط التفاح في قرية إيراجـــنى سنة ١٨٨٨م، المستحم في الغابة سنة ١٨٩٥م، السوق القديمة في روان سنة ١٨٩٨م، حديقة الفنان في قرية إيراجنى سنة ١٨٩٨م.

إدجار ديجا (١٨٣٤ - ١٩١٧م) Edgar Degas



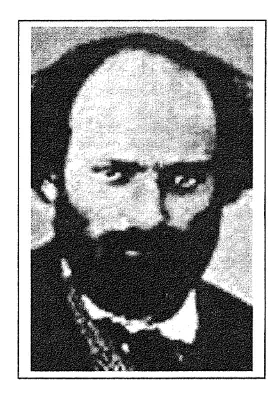



كان سيد رسم الجسد البشري بلا منازع خاصة النساء، فكانت أكثر من نصف لوحاته تصور راقصات الباليه والنساء المستحمات في تنويعات عديدة تبرز الحركة حتى اشتهر بهذه اللوحات والتي كان يفضل رسمها في بهو مرسمه الواسع فيترك موديلاته الراقصات أو العاريات يتحركن بصورة طبيعية وبحرية مطلقة فمنهن من يستحممن أو يتمشطن أو يغسلن الملابس أو يقلمن أظافرهن أو يعدلن في هندامهن، بينما هو يتابعهن بعينه ويسجل في لوحاته حركاتهن بتلقائية دون تكلف ودون الاهتمام بإظهار الفتنة المثيرة، بل أعجب بالأوضاع الغريبة الشاذة لهن، فخرجت لوحاته حية ومعبرة.. ورغم أن لوحات ديجا النسائية الكثيرة تؤكد ميله للنساء والفتيات إلا أنه لم يتزوج قط رغم ثرائه كما لم ترد أى إشارة إلي نشوء أية علاقة غرامية بينه وبين أي من موديلاته أو راقصات البالية أو غيرهن من النساء اللاتي قابلهن في حياته بل على العكس كان يبغض النساء، كما كان ينفر فى شبابه من مشاركة أقرانه فى لهوهم وعبثهم مع الفتيات فابتعد عن مرافقة البنات كما تجنب إقامة علاقات حب معهن، وعندما سئل عن نسائه المستحمات قال إني أراهن مثل القطط اللاتي تلعق أنفسهن وهو ما

أثـــار عجـــب واستنكار الكثيرين، مما جعل البعض يتهمه بالشذوذ الجنسي إلا أن الـــراجح أنه كان عاجـــزاً جنسياً وقد اتخذ من رســـم موضوعات النساء متنفساً له يعـــوض به ذلك النقص الذي عاناه، وقد بدأت حياته تتغير منذ عام ١٨٧٠م حيث خـــدم فـــى الجـــيش بفرقة المدفعية خلال الحرب الفرنسية البروسية وبدأت عيناه تؤلمانـــه، وأخذ بصره يضعف تدريجياً حتى فقده تماماً في آخر حياته فأصبح أكثر عـــزلة وتشاؤماً وكرهاً للحياة، وكان يستغرق في فترات صمت وعندما يتكلم يردد بحســـرة قصـــص حـــياته ويتساءل عن الموت، خاصة وأنه لم ينس فى لحظة من لحظات حياته ذكرى والدته التى ماتت وهو فى الثالثة عشرة من عمره وكان متعلقاً بهـــا بشـــدة فكان يتذكرها من حين لآخر فى حزن وأسى، كما كانت مأساة إفلاس والده الموظف فى أحد المصارف سنة ١٨٧٨م من أهم الصعاب التى مر بها ديجا، فـــبالرغم من أنه استطاع أن يسدد كافة ديون والده إلا أن المال شغل باله وتفكيره منذ ذلك الحين مما أثر على طباعه وتصرفاته فأصبح حاد الطبع سئ المزاج سليط اللسان متشائماً أكثر من أى وقت مضى يسخر من الجميع بسرعة بديهته المعهودة لدرجة أنه لم ينج أى صديق له من لذعات كلامه الحاد، مفضلاً العزلة والانطواء، ومـــع عجـــزه عن العمل وضياع الهدف كان يتجول بلا هدى في شوارع باريس يضـــرب الأرض بعصاه ليشق طريقه معرضاً نفسه لأخطار عديدة حتى مات في ٢٧ سبتمبر ١٩١٧م.

مـــن لوحاته الشهيرة: أوركسترا الأوبرا سنة ١٨٧٠م، موسيقيو الأوركسترا ســـنة ١٨٧٠ – ١٨٧١م، قاعـــة التدريب على الرقص سنة ١٨٧١م (صورة رقم (٣٠))، ســـوق القطـــن ســـنة ١٨٧٣م، تدريب راقصات الباليه على المسرح سنة ١٨٧٤م.

بول سيزان (١٨٣٩-١٩٠٦م) Paul Cézanne





بالرغم من أن فن سيزان لم يلق فى وقته التقدير الذى يستحقه أو الشهرة الكبيرة التى كان جديراً بها، إلا أن سيزان اعتبر فيما بعد أباً للفن الحديث ورائداً من أهم رواده.. ولعل المتأمل لحياة هذا الفنان يستطيع أن يستخلص منها ببساطة مدى الكفاح والإصرار والعزيمة التى بذلها للوصول لهدفه المرجو، فرغم أن دراسة سيزان الأولى انصبت على دراسة القانون إلا أنه سرعان ما انصرف إلى ممارسة هواية الرسم رغم الاعتراض الشديد من جانب والده الثرى الذى كان صاحب شركة مصرفية كبيرة بمدينة إكس آن بروفانس فى جنوب فرنسا، فانتقل سيزان إلى باريس سنة ١٨٦١م وكله أمل فى النجاح إلا أنه لم يجد ما كان يصبو إليه فلم يوفق فى أكاديمية الفنون التى انتسب إليها كما لم يهتم أحد بلوحاته التى رسمها فقام بتمزيق الكثير منها فى لحظات الإحباط والاكتئاب، ورجع إلى أهله بعد ستة أشهر يملؤه الحزن واليأس ليرضخ لرغبة أبيه ويعمل فى مصرفه لمدة سنة كاملة إلا أن حلم النجاح الفنى ظل يراوده وبقوة، فأخذ يعبر عن معاناته النفسية وأحاسيسه المفرطة فى لوحات استخدم فيها الألوان السميكة القاتمة والسوداء ورجع إلى باريس مرة أخرى بعد

استرضـــاء والده الذى وافق على مضض فتقدم بلوحاته للعرض فى الصالون الفنى ســنة ١٨٦٣م فقوبلت بالرفض، وقد استمر رفض صالون باريس الرسمى لأعمال سيزان لسنوات طويلة.

ورغــم الضيق الشديد والمعاناة النفسية القاسية التى كان يعانيها إلا أنه انصاع إلـــى نصـــيحة صـــديقه الفنان بيسارو الذى نصحه بترك الألوان القاتمة واستخدام الألـــوان الفاتحة، فاشترك فى أول معارض التأثيريين سنة ١٨٧٤م، إلا أن أسلوبه الفنى قوبل بالسخط من جانب النقاد الفنيين، فتأثر بشدة بالنقد الذى قوبلت به أعماله وبـــدأ يغـــير مـــن أسلوبه تدريجياً وأخذ يهتم أكثر بالحجم واللون وإظهار التركيب الهندسى.

ولعـــل علاقة سيزان العاطفية بالجميلة هورتينس فيكويت ساعدته بعض الشئ على الخروج من أزمته النفسية رغم أن هذه العلاقة كانت طى الكتمان خاصة على أبـــيه الـــذى أخفى عنه أيضاً لعدة سنوات خبر إنجابه، فقد استمر فى رسم المناظر الطبيعـــية ولوحـــات الطبيعة الصامتة فرسم أكثر من مائتى صورة، ولعل مال أبيه الوفـــير قد ساعده على الاستمرار فى طريقه الفنى دون التعرض لمصاعب الحياة وقســـوتها فقـــد كان والده يخصص له معاشـــاً شهرياً كبيراً حتى توفى الأب سنة ١٨٨٦م وورث سيزان ميراثاً ضخماً بلغ أكثر من أربعمائة ألف فرنك فعاش حياة يملؤهـــا الـــترف ووفرة المال ولكن دون راحة البال فقد كان متقلب المزاج مكتئباً متشائماً فى كثير من الأحيان بينما كان عصبيا ذا طبع خشن حاد فى أحيان أخرى، فلم يستطع أحد أن يتفهم شخصيته، وكانت لوحة الرسم هى متنفسه الذى يهرب إليه ومـــع ذلك كان رساماً بطيئاً جداً قد يستمر فى العمل فى نفس اللوحة لعدة سنوات يـــتركها ويعود إليها مرة أخرى فيما بعد، ولذلك نجد كثيراً من لوحات سيزان بلا توقيع فلم يكن راضيا عنها وكان يراها لم تكتمل بعد، فكان بداخله أحاسيس متباينة ومشـــاعر متضـــاربة يريد أن يخرجها بفرشاته فلا يستطيع ولذلك كان يعيد رسم الموضـــوع لأكثر من مرة لعله يستطيع أن ينسخ ما بداخله على لوحة الرسم، فقد رسم جبل سان فيكتور (صورة رقم (٣١)) الذى كان يسكن بجواره فى مدينة إكس آن يـــروفانس لأكـــثر من ستين مرة من زوايا مختلفة وفى كل مرة كان يعتقد أن المـــرة القادمة ستكون الأفضل، وبصفة عامة كان سيزان عندما يستبد به اليأس فى التعبـــير عمـــا يـــراوده كـــان ينفث غضبه فى لوحاته فيمزقها بشدة أو يقذفها بقوة ويـــتركها ملقـــاة علـــى الأرض فى نفس الموضع الذى كان يجلس فيه طيلة اليوم يرسم.

وقد بدأ جمهور الفن يعرفه تدريجياً حيث أثارت لوحاته قدراً من الاهتمام فى معــرض بــاريس الدولى عام ١٨٨٩م فبدأ أسلوبه يصبح أكثر نضجاً واستمر فى تقدمــه فأنتج لوحات تميزت بحبكة التصميم الفنى من أجملها لوحات لاعبو الورق التى رسمها بين ١٨٨٥ و ١٨٩٠م، ولوحات المستحمات فى الفترة من ١٨٩٨ إلى ١٩٠٥م، فــبدأ الهــواة والرسامون الشباب يقبلون على أعماله ويعجبون بها حتى اعــترف بفــنه فى معرض عام ١٩٠٣م، وإن كانت حالة سيزان الصحية قد بدأت تسوء منذ عام ١٨٩٠م فأصيب بضعف عام ووهن شامل من جراء إصابته بمرض السكر فأصبح أكثر قلقاً وانطوائية وابتعاداً عن الآخرين، فكان فى كثير من الأحيان يخلــو بنفسه فى الحقول والمزارع يرســم ما يحلو له حتى فاجأه يوم عاصف وهو يرســم فى أحد الحقول لكنه لم يأبه واستمر فى العمل لساعتين حتى اشتدت الرياح وانهــال سقوط الأمطار بغزارة غامرة فقرر العودة إلى البيت، وفى الطريق رفض الرضوخ لاستغلال أحد السائقين بزيادة الأجرة فى هذا الجو فقرر السير بعناد حتى البيت إلا أنه سقط فى الطريق مغشياً عليه فتم نقله إلى منزله وهو فى حالة صحية ســيئة جــداً، فقــد بدأت أطرافه فى التجمد فأخذت مدبرة منزله تدلك أطرافه بقوة لإعــادة ســريان الــدم بها حتى استعاد وعيه وبات ليلته مريضاً محموماً، وما إن أشــرقت شــمس اليوم التالى حتى سارع إلى الحقل مرة أخرى ليكمل لوحته، وبدأ يرســم إلا أنــه ســقط غائــباً عن الوعى على أثر مرضه الشديد فتم نقله إلى بيته ومــددوه علــى ســريره الــذى لم يبرحه ثانية فقد مات عليه بعد أيام قليلة مصاباً بالــتهاب رئــوى شــديد ليدفن فى مسقط رأسه، ويرحل عملاق الفن الحديث الذى ذاعت شهرته بقوة بعد وفاته نتيجة عرض لوحاته فى المعارض التى أقيمت له فى الأعــوام ١٩٠٧ و ١٩١٢ و ١٩١٣م فى عدد مختلف من الدول، وقد بلغت أعماله أكــثر مــن تسعمائة لوحة زيتية ومائية موزعة فى جميع أرجاء العالم، وقد اعتبر ســيزان بحــق أعظم مصورى القرن التاسع عشر وأبا الفن الحديث وذلك لأسلوبه الــذى كــان الجســر الذى انتقل عليه التصوير من المدرسة التأثيرية إلى التكعيبية والوحشية والتجريدية فى القرن العشرين.

من لوحاته: خبز وبيض سنة ١٨٦٥م، أب الفنان سنة ١٨٦٦م، المحامي سنة ١٨٦٦م، الزهــرية الــزرقاء سنة ١٨٨٥ – ١٨٨٧م، بيت وأشجار سنة ١٨٩٠-١٨٩٤م، تفاح وبرتقال سنة ١٨٩٩م.

ألفريد سيسلى (١٨٣٩ - ١٨٩٩م) Alfred Sisley





ولد ألفريد سيسلى فى باريس لعائلة إنجليزية غنية تعيش فى فرنسا وكان أبوه وليام سيسلى من كبار التجار المصدرين للولايات الأمريكية فى ذلـك الوقت، والذى كان يتطلع إلى أن يرث ابنه عنه أصول التجارة وأن يصـبح رجـل أعمـال ناجحـاً مثله، فأرسله إلى لندن سنة ١٨٥٧م وهو فى السـابعة عشرة من عمره لتحسين لغته الإنجليزية ودراسة علوم التجارة وقواعدها، إلا أنـه انجـذب هـناك لفن الرسم بعد أن زار عدداً من المعارض الفنية وشاهد لوحات المناظر الطبيعية الرائعة للفنانين الإنجليز خاصة ترنر، فعاد إلى فرنسا سنة ١٨٦١م عاقداً العزم على احتراف الرسم بدلاً من العمل بالتجارة. ورغم اعتراض أبيه فى بادئ الأمر إلا أنه رضخ لرغبة ابنه فى نهاية الأمر، فالتحق ألفريد سيسلى بمدرسة الفنون الجميلة فى باريس سنة ١٨٦٢م كما انضم لمرسم الفنان السويسرى تشارلز جلير لدراسة الرسم فى مرسمه فتعرف هناك على كل من فريدريك بازيل وكلود مونيه ورينوار، إلا أنه ترك مدرسة الفنون الجميلة فى سنة ١٨٦٤م، واتجه مـع أصـدقائه لرسـم المناظر الطبيعية لضواحى باريس وضفاف نهر السين فى

الهـواء الطلق، وفى الوقت الذى كانت مشكلة توفير المال تؤرق الكثير من زملائه كان المال لا يمثل لسيسلى أى غصة وذلك لمساعدة أبيه الثرى له ودعمه دائماً بما يحـتاج، فتعرف فى سنة ١٨٦٦م على الموديل وبائعة الزهور يوجين ليسكويزيك والـتى كانـت تكـبره بنحو خمس سنوات وأنجب منها طفلين هما ابنه بيير سنة ١٨٦٧م وابنـته جيـن سنة ١٨٦٩م، حتى اندلعت الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠م والـتى جلبت معها الخراب لأسرته الغنية فتدمرت تجارتهم تماماً واجتاح الجيش البروسى عقار العائلة فى منطقة بوجيفال غرب باريس، ففقد أبوه كل أمواله وجمـيع أملاكه، فوجد سيسلى نفسه وجهاً لوجه مع مصاعب الحياة وقسوتها وهو الذى ذاق ترف العيش واعتاد عليه، ونتيجة لتوتر ظروف باريس السياسية فى ذلك الوقـت هـرب سيسـلى إلى لندن حتى تهدأ الأمور، وبالفعل عاد مرة أخرى إلى باريس بعد فترة قصيرة محاولاً الاعتماد على نفسه فى كسب العيش من خلال بيع لوحاتـه الفنية إلا أن أعماله لم تجد سوقاً رائجة فى ذلك الوقت فاشترك مع الفنانين الانطباعييـن فى معرضهم الأول سنة ١٨٧٤م بستة مناظر طبيعية، وعلى غير ما توقـع لـم تلق لوحاته النجاح الكبير الذى كان يأمله، كما أن بعضاً منها انتقد لأنها بـدت وكأنهـا تخطيطات أولية للوحات لم تكتمل.. ليعود سيسلى إلى انجلترا بعد المعـرض مباشـرة بـرعاية المغنى جين بابتيست فور حيث رسم لوحات سباق المراكـب الشـراعية ومناظر طبيعية عديدة، وقد ساعده فى بيع لوحاته تاجر الفن دوراند رويل والذى كان قد سبق وأن تعرف عليه فى لندن فى رحلته السابقة ليعود مجدداً إلى باريس ليشترك فى المعرض الثانى للفنانين الانطباعيين سنة ١٨٧٦م ثم الثالـث سنة ١٨٧٧م دون أن يجذب الانتباه أو يلقى تقدير النقاد وهو ما كان يؤرقه ويشعره بالحزن والضيق.

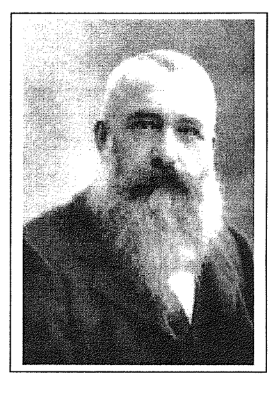
إلا أنـه اسـتمر فـى طـريقه الفنى الذى اختاره لنفسه مفضلاً رسم المناظر الطبيعـية عـن الصور الشخصية أو الطبيعة الصامتة، فرسم خلال حياته حوالى تسـعمائة لوحـة زيتية معظمها لمناظر طبيعية مثل المناطق الريفية وشواطئ نهر السين وبعض المبانى بالقرب منه، ونجح فى تجسيد حركة أوراق الأشجار وبريق الضـوء على صفحة المياه وتناسق الألوان، كما حرص فى كثير من الأحيان على تكـرار رسـم الموضوع الواحد من عدة زوايا مختلفة، ومع ذلك كانت أعماله فى تجـاهل ونكران مستمر وهو ما كان يؤرقه، كما كان الفقر والعوز يلاحقه فساءت حالـته النفسـية والصـحية فانتقل مع أسرته الصغيرة فى سنة ١٨٨٠م إلى قرية بسـيطة غرب باريس فى نوع من العزلة فكانت تلك المنطقة الريفية مصدر إلهام

كبير له كما كانت باعثاً رئيسياً لرسم عدد هائل من لوحاته الشهيرة حالياً ، وشارك بـــبعض أعمالـــه فـــى معرض سنة ١٨٨٢م الخاص بالفنانين الانطباعيين وواصل عـــرض لوحاته فى بعض المعارض الأخرى فى محاولات مستمرة دءوبة لإثبات نفسه وحصد ثمار كفاحه إلا أن النتيجة كانت كما هـــى، وكان أقسى ما تعرض له مـــن صـــدمه هو فشل معرضه الأخير الذى أقيم فى فبراير سنة ١٨٩٧م بباريس والذى كان متحمساً له معتقداً أنه سوف يفتح له باب النجاح والشهرة على مصراعيه فعـــرض بـــه قـــرابة مائة وخمسين لوحة من أعماله ومع ذلك لم يبع أيا من هذه اللوحـــات، فكـــان فشـــله بمثابة انهيار آماله وضياع أحلامه وهى نفس السنة التى تزوج فيها من رفيقته وأم ابنه وابنته بعد قرابة ثلاثين سنة من علاقته بها.

كمـــا ســـافر إلى انجلترا لفترة قصيرة بعد المعرض للمرة الأخيرة فى حياته والحـــزن يحـــيط بـــه من كل جانب، ليعود إلى فرنسا وقد غلب مرض السرطان زوجـــته التى عانت وعانى معها ويلات هذا المرض الخبيث لتموت خليلته متأثرة بمرضها بسرطان اللسان سنة ١٨٩٨م فتوقف عن الرسم ليلحق بها بعد شهور قليلة فـــى التاســـع والعشرين من يناير سنة ١٨٩٩م ببيته الريفى البسيط مصاباً بمرض ســـرطان الحـــنجرة، بعد أن ذاق الآلام الشديدة للمرض لثلاثة شهور متواصلة من أكـــتوبر سنة ١٨٩٨م وحتى تاريخ وفاته فى يناير من السنة التالية، ليفارق الحياة وكلـــه حزن وتعاسة وألم انطبع على وجهه الذى بدا للجميع كئيباً متجهماً، وكان قد حـــاول الحصـــول على الجنسية الفرنسية لأكثر من مرة منذ سنة ١٨٩٥م غير أن جمـــيع محاولاتـــه باءت بالفشل، فعاش أغلب حياته فى فرنسا ومات بها كمواطن بريطانى، إلا أن القدر سرعان ما سخر منه، فبعد وفاته بسنة واحدة فقط لمع اسمه وبزغ نجمه وانتبه الناس لأعماله الفنية وبيعت لوحته فيضان فى ميناء مارلى سنة ١٨٧٦م (صـــورة رقـــم (٣٢)) فـــى السادس من مارس سنة ١٩٠٠م بمبلغ كبير، وبـــدأت أسعار لوحاته ترتفع إلى أن أصبحت من أغلى اللوحات الفنية على مستوى العـــالم، وأصبح سيسلى من أعظم وأهم الفنانين الانطباعيين حيث توجد لوحاته فى أكبر المتاحف الفنية العالمية.

مـــن لوحاتـــه الشـــهيرة: طريق الأشجار الكستنائية سنة ١٨٦٧م، قناة سانت مارتن في باريس سنة ١٨٧٠م، مركب أثناء الفيضان سنة ١٨٧١م، نهر السين في بوجيفال سنة ١٨٧٣م.

كلود مونيه (١٨٤٠ - ١٩٢٦م) Claude Monet





لم يكـــن مونيه فناناً عادياً بل كان رائداً من رواد الفن الحديث، فكما اعتبر زعـــيماً للمدرســـة التأثيرية بسبب لوحته "تأثير - شروق شمس" والتي عرضـــها عـــام ١٨٧٤م، اعتـــبره كثير من النقاد الفنيين أحد رواد الفن التجريدي فكان يرسم موضوعاته دون تركيز على العناصر البصرية ولكن اهتمامه كـــان منصباً على الإيقاعات الضوئية، فكان من أشد الرسامين شغفاً بسحر الضوء حيـــث أدرك حقـــيقة تأثير ضوء الشمس على المرئيات فكان في كثير من لوحاته يرســـم الموضوع الواحد في عدة لوحات في ساعات مختلفة من النهار فيقف أمام المنظر الذي يريد رسمه ثم يبدأ التصوير بسرعة خاطفة مسجلاً منظره تحت تأثير ضـــوء الشمس، وما إن تمر خمس عشرة دقيقة حتى تكون الشمس قد ارتفعت قليلاً فيتغير تأثيرها على المنظر فيستبدل مونيه لوحته بأخرى يحاول فيها محاولة جديدة لتســـجيل ذلـــك الضوء بحالته المستحدثة وهكذا يتغير الضوء بارتفاع الشمس مرة ثالـــثة فيغير اللوحة إلي ثالثة ثم إلي رابعة وهكذا، وقد نفذ هذه الطريقة في لوحات كاتدرائـــية روان فى الشروق والغروب والتي رسم لها ستاً وعشرين لوحة، وكذلك

كوبـــرى واترلو بلندن والذي رســم له ست عشرة لوحه، بالإضافة لثمان وأربعين لوحة رسمها لزهور المياه الموجودة في حديقته والتي رسمها في نحو أربع سنوات متتالية.

وقـــد بدأ هذا الفنان العملاق حياته العملية منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمـــره فكـــان يرسم رسومات كاريكاتورية بالفحم ويبيعها مقابل مبالغ زهيدة حتى أصبح من أهم فنانى العالم.

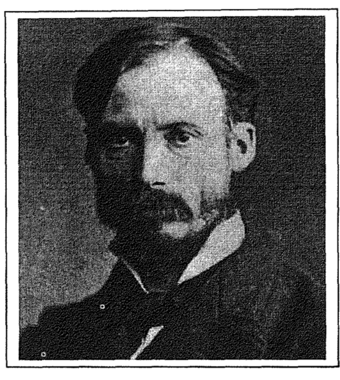
وقد مرت حياة مونيه الشخصية بتقلبات عديدة أثرت عليه وعلى أعماله الفنية فـــيما بعـــد، فـــبعد أن كان قد بدأ حياته الفنية كرسام كاريكاتير يرسم الناس بشكل ساخر ويحصل من ثمن هذه الرسوم على نفقاته اليومية تمكن من ادخار بعض من ثمـــن تلك الرسوم التى باعها إلى إحدى الصحف المحلية حتى يشترى تذكرة سفر إلـــى بـــاريس سنة ١٨٥٩م وهناك تعرف على عدد كبير من الفنانين والأدباء، ثم دعى للخدمة العسكرية سنة ١٨٦١م والتحق بالجيش العامل فى الجزائر إلا أنه عاد إلـــى فرنسا بعد سنة تقريباً نظراً لسوء حالته الصحية وتعهد والده بدفع بدل الخدمة العســـكرية، والتحق مونيه بمرسم الفنان جلير سنة ١٨٦٤م، وشيئاً فشيئاً بدأ يطور أســـلوبه الفنى، وقد أحب فى ذلك الوقت تقريباً وهو لا يزال فى الخامسة والعشرين من عمره فتاة جميلة تدعى كاميل (كاميل ليوني دونسياكس) ذات ثمانية عشر عاماً فكانـــت تعمل لديه كنموذج للتصوير لكنها في الحقيقة كانت الأقرب لقلبه فرسم لها العديد من اللوحات المهمة، ومع اكتشاف حملها منه ووضع طفلهما الأول جان عام ١٨٦٧م وضـــيق ذات اليد لم يجد مونيه مفراً إلا أن ألقى بنفسه فى نهر السين طلباً للمـــوت ورغبة فى الانتحار إلا أن القدر لم يشأ وتم إنقاذه من الغرق وانتشاله من مياه النهر، ليبدأ حياة جديدة فتزوج كاميل فى ٢٨ يونيو سنة ١٨٧٠م وبدأت حياته فـــى الاســـتقرار، إلا أن انـــدلاع الحرب الفرنسية البروسية فى تلك السنة أجبرته للهروب إلى لندن ومنها إلى هولندا هرباً من التجنيد الإلزامى، حتى عاد إلى فرنسا فى نهاية عام ١٨٧١م، فرسم بعد سنتين من زواجه لوحته الشهيرة "تأثير – شروق شـــمس" (صـــورة رقـــم (٣٣)) مظهراً تأثير الشمس على صفحة مياه ميناء هافر بضـــربات فرشـــاة سريعة ليعرضها عام ١٨٧٤م في معرض مستقل، ورغم النقد الـــلاذع الـــذي تعرض له مونيه إلا أن هذه اللوحـــة كانت سبباً رئيسياً في ولادة الحـــركة التأثيرية، وتعود الأحزان مرة أخرى إلى قلب مونيه بمرض كاميل حبيبته ونيســـة وحدتـــه في عام ١٨٧٦م، وقد زاد من حدة مرضها إنجابها لطفلها الثاني ميتشـــل فـــي ١٧ مـــارس ١٨٧٨م، فقرر مونيه الانتقال للعيش في جيفيرنى حيث

تكالـــيف الحـــياة الرخيصة عن العاصمة باريس وذلك مع صديقه ايرنست هوشيد وزوجـــته ألـــس التي كانت ترعى أبناءه مع أبنائها الست نظراً لشدة مرض كاميل الـــتى ماتـــت في ٥ سبتمبر ١٨٧٩م وهى فى الثانية والثلاثين من عمرها بمرض الســـل، فكـــان موتها صدمة كبيرة لمونيه الذى جلس ساهراً بجوار جثمانها يبكيها ويناجـــيها، وفـــى أوج مأســـاته أخذ يتأمل وجه زوجته الميتة ويدرس تأثير تغير الضوء عليه فرسم لوحته الشهيرة "كاميل على فراش الموت" (صورة رقم (٣٤))، لـــتمر عليه الأيام والشهور بعد ذلك وهو فى تعاسة ووحشة، حتى بدأ يسترجع قواه مرة أخرى ويعود إلى حياته الطبيعية فتزوج من ألس بعد وفاة زوجها عام ١٨٩٢م خاصة وأنها كانت تهتم بطفليه، كما كانت أحواله المادية فى تحسن مستمر فاشترى بيتاً فى جيفيرني بعدما كان مستأجراً له وأقام به حديقة كبيرة تضم مجموعة كبيرة مـــن زهور الماء، كما أقام جسراً يابانياً بالحديقة، وعاش فى هناء حتى ماتت ألس أيضاً فى عام ١٩١١م، ثم لحق بها ابنه جان فى عام ١٩١٤م ليصاب مونيه بحزن عمـــيق، فانتقلت بلانش أرملة ابنه وابنة ألس فى نفس الوقت لتقيم معه وترعاه وقد ظلت بجواره حتى وفاته.

ومن المحزن أن مونيه كان يعانى فى أواخر حياته ضعف البصر كما أصيب بـــداء مـــاء العين حتى ازدادت حالته سوءاً وأصبح لا يستطيع رؤية أى شئ أمامه فـــتم إجـــراء عمليتيـــن جراحيتين له فى عام ١٩٢٣م ساعدتاه على الإبصار مرة أخـــرى وإن كانت قدرته على الرؤية مازالت ضعيفة، وقد مات مونيه فى الخامس من ديسمبر عام ١٩٢٦م مريضاً بسرطان الرئة عن عمر يناهز السادسة والثمانين ليدفـــن فـــى مقـــبرة كنيسة جيفيرني، وكان قد أوصى قبل وفاته أن تكون جنازته بســـيطة وبالفعل اقتصرت جنازته على نحو خمسين شخصا من العائلة والأصدقاء المقربيـــن، أمـــا بالنسبة لبيته الشهير وحديقته التى كانت موضوعاً رئيسياً فى عدد كبـــير من لوحاته فقد قام ورثته بإهدائها إلى الأكاديمية الفرنسية للفنون الجميلة فى ســـنة ١٩٦٦م لتفتـــتح فـــى عام ١٩٨٠م بعد الصيانة والتجديدات كمزار سياحى عالمى.

مـــن لوحاتـــه المهمة: نساء في الحديقة سنة ١٨٦٦-١٨٦٧م، الغداء سنة ١٨٦٨م، امـــرأة مـــع شمســـية ملونة سنة ١٨٧٥م، أكوام تبن في جيفيرنى سنة ١٨٨٨م.

بيير أوجست رينوار (١٨٤١ - ١٩١٩م) Pierre-Auguste Renoir





هو من أشهر فنانى فرنسا بل وأحد عظماء الفن الحديث فى العالم أجمع، وصل للنجاح فى حياته وتربع على قمة الشهرة بعد رحلة صبر وكفاح تميزت بالإصرار والعزيمة حتى وصل لغايته وبلغ مأمله.. فقد ولد رينوار فى بلدة ليموج الفرنسية لأسرة فقيرة فكان أبوه خياطاً أنجب سبعة أبناء مكان رينوار هو السادس بينهم، ولما عانت العائلة ضيق الحال وقلة المال قرر الأب الانتقال لباريس لعل الحياة تكون أفضل، وبالفعل انتقلت الأسرة للعاصمة الفرنسية سنة ١٨٤٥م وهناك بدأت تظهر للعيان بوادر نبوغ الطفل الصغير رينوار فى مجال الرسم والتصوير فألحقه أبوه للعمل وهو فى الثالثة عشرة من عمره للعمل بمصنع خزف فكان يرسم باقات الزهور والأشكال الزخرفية البسيطة على الأوانى الخزفية لقاء أجر زهيد يساعد به عائلته البسيطة إلا أن الشركة أفلست فى سنة ١٨٥٨م فبدأ يعمل فى عدد من الوظائف المختلفة طلباً للمال، كما اتجه لرسم بعض اللوحات الصغيرة ذات المواضيع الدينية وبيعها رغم أنه فى كثير من الأحيان لم يكن يجد المال لشراء الألوان التى يرسم بها، حتى استطاع فى يناير

سنة ١٨٦٠م أن يحصل على ترخيص لنسخ لوحات اللوفر وهناك تعرف عن قرب على لوحات أساتذة الفن وتذوق أعمالهم العظيمة فسيطر الفن عليه وملك عليه كافة جوانحه ، ونتيجة لتشجيع الكثيرين له أدرك أنه لابد أن يدرس الرسم جدياً فاستطاع أن يقتصد جزءاً من دخله البسيط من بيع اللوحات واتجه سنة ١٨٦٢م لأخذ دروس مسائية في الرسم وعلم التشريح في مدرسة الفنون الجميلة بباريس بالإضافة لدروس أخرى تلقاها في مرسم الفنان السويسرى تشارلز جلير حيث تعرف هناك على كل من الفريد سيسلى وكلود مونيه وفريدريك بازيل حيث ربطتهم صداقة قوية وحلموا جميعاً بفن جديد خالٍ من التقاليد القديمة، فقرروا الخروج من المرسم ورسم المناظر الطبيعية مباشرة من الطبيعة والتى كانت ترسم داخل المراسم المغلقة، فكان يتردد لفترات طويلة ليرسم على ضفاف نهر السين، ومن المواقف الطريفة التى تعرض لها الفنان أثناء جلوسه للرسم عند النهر أن تعرض له بعض رجال الإدارة المحلية بباريس سنة ١٨٧١م معتقدين أنه جاسوس فأمسكوا به وأرادوا إلقاءه فى النهر وكانوا بالفعل على وشك ذلك حتى تدخل زعيمهم راؤول ريجاولت وأنقذه من بين أيديهم والذى تواجد فى المكان بالصدفة وكان يعرف رينوار من قبل.

وقد تعاون رينوار كثيراً مع مونيه فى رسم العديد من المناظر الطبيعية والتى ظهر فيها الأسلوب الانطباعى، كما اتجه لرسم مشاهد مختلفة للحياة الباريسية مثل الأماكن التى يتجمع فيها الناس للمتعة والتسلية مثل المقاهى والمسارح، ورغم الانتقادات التى كانت توجه لهذه الأعمال الفنية فى تلك الفترة إلا أن رينوار لم يتأثر بها حتى عرض سبع لوحات فى معرض الفن الانطباعى المستقل الأول الذى أقيم فى الخامس عشر من أبريل سنة ١٨٧٤م فلقيت أعماله تقدير الزوار وإعجابهم، ولما لم يكن مع هؤلاء الفنانين الشباب المال الكافى لتسديد ثمن إيجار القاعة والدعاية والإعلان قرروا بيع لوحاتهم فى مزاد علنى فى يومى ٢٣ و ٢٤ مارس سنة ١٨٧٥م فباع رينوار عشرين لوحة بألفين ومائتين وواحد وخمسين فرنكاً فقط فقد وصل به الحال أن باع بعض لوحاته بخمسين فرنكاً فقط للوحة الواحدة، إلا أن هذه اللوحات لفتت أنظار تجار اللوحات إليه فكلفه أحدهم بعد فترة وجيزة بنسخ إحدى لوحات اللوفر مقابل خمسمائة فرنك، واشترك فى أبريل سنة ١٨٧٦م بمعرض الفن الانطباعى الثانى وعرض تسع عشرة لوحة من أعماله ثم اشترك فى المعرض المستقل الثالث سنة ١٨٧٧م وشيئاً فشيئاً بدأت الحياة تبتسم له ويجنى ثمار الصبر والكفاح، ففى يناير سنة ١٨٨١م باع لتاجر الفن دوراند رويل

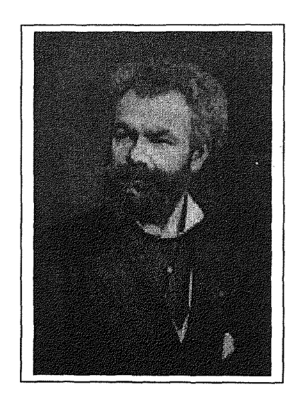
عــدداً من لوحاته بستة عشر ألف فرنك، وهو أكبر مبلغ وصل ليده، فأحس حينئذ بالاطمئـــنان وراحـــة البال، فقرر السفر لرؤية الجديد فسافر إلى إيطاليا والجزائر بشـــمال أفريقيا مصطحباً معه الموديل الحسناء آلين والتى كان قد تعرف عليها فى فبراير سنة ١٨٨٠م ووقع فى حبها وأنجب منها طفلهما الأول بيير فى ٢١ مارس ســنة ١٨٨٥م رغم أنه لم يتزوجها إلا فى ١٤ أبريل سنة ١٨٩٠م أى بعد أن بلغ ابــنه الخامسة من عمره، لينجب منها ابنه الثانى جان فى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٩٤م ثم الثالث كلود فى ٤ أغسطس سنة ١٩٠١م.

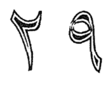
والملاحــظ أن حــياة ريــنوار أصبحت أكثر استقراراً ونجاحاً منذ قرابة سنة ١٨٨٤م فرسم العديد من اللوحات المهمة التى زادت من شهرته فقفز سريعاً داخل دائــرة الضــوء وبدأ يشعر بطعم النجاح ومعنى الاستقرار والأمان تجاه المستقبل، فملكه حب السفر والترحال فزار منذ سنة ١٨٩٠م عدداً من دول العالم وشاهد أهم متاحف العالم فزاد نشاطه وبدأ يلقى الضوء على الحياة الاجتماعية الفرنسية واتخذ من المرأة والطفولة وسيلة للتعبير عن بهجة الحياة من خلال رسم بسمات الأطفال والنســاء ذات الأجسام الممتلئة بالحيوية والخصوبة، كما عبر عن الجمال الأنثوى الفــتان المتمــيز بالسحر والجاذبية الذى استطاع أن يجسده فى التعبيرات الحركية وملامــح الوجــوه فسـطع نجمــه وأصبح مرسمه مقصد علية القوم من العظماء والوجهــاء وفاتــنات المجتمع الراقى فلقى عظيم التقدير، وأصبحت لوحاته روائع يتســابق علـــى اقتــنائها عشـاق الفن التشكيلى وتباع بمبالغ كبيرة، فتمتع بالثراء العريض بعد أن ذاق مرارة الحرمان وشظف العيش فى طفولته وصباه حتى بدأت الصــعاب تلاحقــه وتعرف المعاناة طريقها إليه، ففى ديسمبر من سنة ١٨٨٨م بدأ يشــعر بــبعض آلام التهاب المفاصل والتى كانت تراوده من حين لآخر حتى سقط بدراجته على الأرض فى صيف سنة ١٨٩٧م فكسرت ذراعه اليمنى ووضعت فى الجــبس لمــدة طويلــة ومع ذلك لم تشفَ، بل وشلت إلى الأبد نتيجة لتأثير مرض الروماتيزم والتهاب المفاصل الذى زاد عليه بشدة فبدأ يشعر بآلام مبرحة فى عظام جســمه بالكــامل كما جف جلده ووهنت صحته فنصحه الأطباء بالذهاب إلى مكان ذى مناخ دافئ جاف فذهب فى سنة ١٨٩٩م إلى قرية كان سورمير بجنوب فرنسا بالقــرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط واشترى بيتاً فى سنة ١٩٠٧م واستقر هــناك مــنذ خريف سنة ١٩٠٨م وحتى نهاية حياته، ومع شدة مرضه لم يغفل أن يجعــل لنفسه مرسماً ملحقاً بمنزله الجديد، فبالرغم من أن عظام جسمه بدأت تتشوه وأصبح لا يستطيع الحركة أو السير وغدا حبيس مقعده المتحرك منذ سنة ١٩١٠م

إلا أنـــه لـــم يفـــارق فرشاة الرسم التى لازمته طوال حياته، فأخذ يعود نفسه على الرســـم بيده اليسرى والتى كان لا يقوى على الاستمرار فى الرسم بها لمدد طويلة فكانت يده ترتعش وتسقط الفرشاة منها من حين لآخر فربط الفرشاة بين أصابع يده حتى تورمت والتهبت، كما أصيب أيضاً بضمور جزئى فى عصب عينه اليسرى، ومع كل تلك المعاناة البدنية والنفسية لم تهن قواه أو تثبط همته للحظة من اللحظات وإنمـــا اســـتمر فى ممارسة الفن الذى أحبه من كل قلبه وجوارحه، وبدأ يبيع شيئاً فشـــيئاً مقتنـــياته وتحفـــه الثمينة حتى تستطيع أسرته أن تعيش حياة كريمة.. ومع إعـــلان ألمانـــيا الحرب على فرنسا فى أغسطس سنة ١٩١٤م تعرض ابنا رينوار الكبـــيران بيـــير وجـــان للإصابة فى الحرب، وتم إدخال جان لمستشفى فى شرق فرنســـا فـــى حالة خطيرة فذهبت أمه لزيارته، إلا أن الابن نجا من إصابته وماتت الأم عـــند عودتهـــا مـــن عنده فى السابع والعشرين من يونيو سنة ١٩١٥م، فغمر الحزن العميق قلب الأب الذى أصيب ولداه الشابان وفقد زوجته الحبيبة الوفية التى رافقـــته فـــى السراء والضراء، فكان الألم يسرى فى نفسه كسريان الدم فى جسده وكـــان الهـــم يراوده مع كل نبضة من نبضات قلبه ولم يكن يجد ملاذاً يلوذ إليه أو مفـــراً يفر إليه إلا لوحة الرسم، واستمر على هذه الحال من الحزن والاكتئاب حتى سقط ميتاً فى الثالث من ديسمبر سنة ١٩١٩م فى منزله وهو بعمر الثامنة والسبعين وبجـــواره ابـــناه جـــان وكلود، على أثر نوبة قلبية مفاجئة إذ كان يعانى أيضاً فى سنواته الأخيرة تصلب الشرايين، وذلك بعد أن زار اللوفر فى تلك السنة قبل شهور قليلة من وفاته ليشاهد لوحاته معلقة جنباً إلى جنب بجوار لوحات عظماء الفن بهذا المـــتحف الكبير، ليكرم هذا العملاق البسيط الودود فى حياته وهو الذى رسم أكثر مـــن ستة آلاف لوحة على مدى نحو ستين عاماً تزخر بها معظم المتاحف العالمية الكـــبرى فـــى كافة أنحاء العالم ولدى العديد من الهواة ومحبى الفن وتقدر أسعارها بالملايين، أما بيته فقد ورثه أبناؤه الثلاثة وقدر ثمنه بأكثر من خمسة ملايين فرنك.

مـــن لوحاته الشهيرة : الراقصة سنة ١٨٧٤م، سيدة تعزف على البيانو سنة ١٨٧٥م (صورة رقم (٣٥))، رقص في بوجيفال سنة ١٨٨٢م، الرقص في المدينة ســـنة ١٨٨٣م، المســـتحمات الكبيرات سنة ١٨٨٧م، بنات تعزفن على البيانو سنة ١٨٩٢م، مستحمة ترتب شعرها سنة ١٨٩٣م.

ميهالى مونكاسى (١٨٤٤ – ١٩٠٠م) Mihály Munkacsy



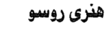


رسام مجــرى عانى طفولة بائسة، وحياة ملأها الهم والقلق وفقدان الأمل، ونهاية مؤلمة مفجعة، فقد كان مونكاسى أو مايكل فون ليب كما سمى عند الولادة الابن الثالث لجامع ضرائب مجرى اعــتقل فى سنة ١٨٤٨م بتهمة التواطؤ فى الثورة المجرية واشتراكه فى انتفاضات سنة ١٨٤٨م ليموت فى السجن، ثم لحقت به زوجته بعد فترة قصيرة ليصبح الابن يتيم الأب والأم وهو لا يزال طفلاً صغيراً دون أى مصدر رزق، فانتقل إلى رعاية عمه الفقير الذى لم يجد ما ينفق عليه به إلا من بعض الهبات والصدقات التى كانت ترسل إليه من المعارف والأصدقاء.

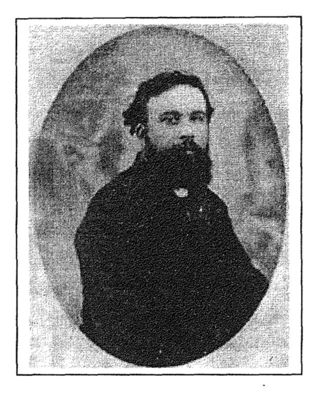
ونظــراً لقلة الموارد المالية وضعفها أرسله العم للعمل عند أحد النجارين، إلا أن موهبــته الفنــية كانت واضحة للجميع، فتلقى تدريبه الفنى الأول على يد رسام مــتجول يدعــى إليك زاموسي والذى شجعه بقوة للاستمرار فى الرسم، فسافر إلى فيــنا سنة ١٨٦٥م بتشجيع أقاربه لدراسة فن الرسم والتصوير، ثم ذهب إلى ميونخ ســنة ١٨٦٦م لإكمــال تحصــيله الفــنى فــى أكاديمية الفنون هناك ثم انتقل إلى

دوسلدورف فى سنة ١٨٦٨م للاستزادة من العلم وتعلم أساليب فنية جديدة، حاصلاً علـــى المـــال اللازم لدراسته من بيع رسوماته للمناظر الطبيعية المجرية ومشاهد الحـــياة اليومـــية للفلاحين فى كل من النمسا وألمانيا، وقد جذبت هذه اللوحات التى رســـمها بإحســـاس مـــرهف بطيف من ذكريات الطفولة انتباه محبى الفنون إليه.. لـــيكمل مشـــواره الطويـــل بحصوله على الميدالية الذهبية من صالون باريس سنة ١٨٧٠م على لوحته الشهيرة اليوم الأخير لرجل محكوم عليه بالإعدام (صورة رقم (٣٦))، والتى حققت له شهرة كبرى، فقرر الاستقرار فى باريس وتزوج من أرملة غنية هى أرملة البارون دى مارش وذلك سنة ١٨٧٤م، لتتغير حياته كلها فمن حياة الإفـــلاس إلـــى حياة الغنى والبذخ فانتقل للعيش فى قصر فاخر، كما تغير أسلوب رسمه نزولاً عن رغبة زوجته فتخلى عن الرسم الواقعى واتجه إلى تصوير مشاهد الحياة الاجتماعية للطبقة البورجوازية، ورغم أن مونكاسى بدا للجميع أنجح وأسعد رســـام فـــى وقـــته إلا أنـــه كان يمر بأزمات نفسية حادة كانت تنغص عليه حياته وتؤرقهـــا، فكانـــت زوجـــته تتميز بشخصية متعالية متكبرة تذكره من حين لآخر بفضلها عليه، فكان يحس دائماً بالغربة معها، ولم يكن يشعر بأى عاطفة حب منها وزاد مـــن هذا الشعور عدم إنجابهما، كما كان يثيره فى كثير من الأحيان أصدقاء العائلة من الطبقة الثرية المترفة حيث كان يرى الأنانية تجرى فى دمائهم.. ونتيجة لشخصـــيته الـــودودة المـــرهفة وحساســـيته المفرطة أصيب بحالات من الاكتئاب والضـــيق من حين لآخر زاد من حدتها إصابته بمرض الزهرى وإدراكه أن نهاية حـــياته أصـــبحت وشـــيكة فلا أمل من العلاج وأن الداء غلب الدواء، فوقع فريسة لمرض عقلى بدأت تظهر مؤشراته الأولى سنة ١٨٩٠م، إلا أنه لم يترك الرسم أو يهملـــه وإنما ظل يرسم بقوة محمومة وإن كانت لوحاته بدت سوداوية حزينة يظهر فـــيها التشـــاؤم والإحباط، ليزيد المرض عليه بقوة فى صيف عام ١٨٩٦م، وذلك رغـــم محاولات علاجه فى أكثر من مصحة، إلا أن حالته كانت من أسوأ إلى أسوأ فـــأودع فى النهاية مصحة لعلاج الأمراض العقلية فى إندينيتش قرب بون بألمانيا، حـــتى انهار تماماً وفارق الحياة إثر نوبة جنون حادة فى الأول من مايو سنة ١٩٠٠م لينطفـــئ نـــور أحد أهم الرسامين المجريين فى القرن التاسع عشر وربما أشهرهم على الإطلاق.

مـــن أهم لوحاته: تَثَاؤُب الصانعِ سنة ١٨٦٩م، امرأة تَحْمِلُ حزمَ الحطب سنة ١٨٧٣م، حقـــل الـــذُرة سنة ١٨٧٤م، مكتب الرهونات سنة ١٨٧٤م، السيد المسيح أمام بيلاطس سنة ١٨٨١م.



هنرى روسو (١٨٤٤ - ١٩١٠م) Henri Rousseau





كانت أعمالــه الفنــية مثار عجب واستهزاء وسخرية كل نقاد الفن فى وقته فشبهوها برسومات الأطفال كما اعتبروها بسيطة ساذجة أو ســطحية بدائية تافهة، ومع كل هذا كان واثقاً فى موهبته ماضياً فــى طريقه مصراً على الاستمرار فى عمله يملؤه الطموح ويراوده الأمل، ورغم العديــد من الأوقات العصيبة التى صادفته على مدار حياته بالكامل لم تهن قواه أو تثبط عزيمته.

ولــد هنرى روسو فى مدينة لافال شمال غرب فرنسا لأب لديه دكان صغير لأدوات الصــفيح وأعمال السباكة حيث كان الطفل الثالث لهذه الأسرة فتلقى تعليمه الأولىّ بمدرسة المدينة المحلية دون أن يبدى أى ميل لتعلم الفنون ودون أى اهتمام من قبل والديه لاكتشاف مواهبه، حتى وقع أبوه فريسة للدين ومطاردة الدائنين ففقد عمله وتم الحجز على دكانه وبيته الذى خرج منه بالقوة، فتركت الأسرة تلك البلدة تاركيــن خلفهم هنرى ليكمل تعليمه الثانوى بالمدينة حيث سكن ببيت الطلاب رغم أنــه كــان ضعيف التعلم واشتهر بيْن أقرانه بالسذاجة، حتى التحق بعد إكمال تلك

المـــرحلة مـــن التعليم ككاتب بمكتب محاماة وذلك سنة ١٨٦٣م بعد أن أعفى من الخدمـــة العسكرية الإلزامية، إلا أنه اشترك مع اثنين من أصدقائه بعد فترة قصيرة مـــن العمـــل فى سرقة عشرين فرنكاً من ذلك المكتب، وعند اكتشاف الأمر هرع ليســـجل نفســـه بالجيش تفادياً للعقاب المحتمل، إلا أن خطته للهروب من العقاب لم تفلـــح وحكـــم علـــيه فى فبراير سنة ١٨٦٤م بالسجن لشهر، عاد بعد انقضاء فترة العقوبـــة للجـــيش مرة أخرى، وقد تزامنت فترة خدمة روسو بالجيش بفترة التدخل العسكرى الفرنسى فى المكسيك الذى دام من سنة ١٨٦٢ وحتى ١٨٦٧م، وبالرغم مـــن أن الفرقة العسكرية التى كان يتبعها روسو قد أرسل الكثير منها إلى المكسيك إلا أنـــه لـــم ينضم لهم بل لم يغادر فرنسا على الإطلاق أو يشترك فى أى معركة حربـــية طوال مدة انضمامه للجيش، ليترك الجيش فجأة سنة ١٨٦٨م بعد وفاة أبيه وذلك لرعاية أمه.

وقـــد تزوج هنرى روسو سنة ١٨٦٩م من فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها تدعى كليمينس أنجب منها ابنه الأول سنة ١٨٧٠م والذى توفى بعد شهور قليلة من ولادتـــه، وفـــى نفس السنة نشبت الحرب الفرنسية البروسية فانضم روسو للفيالق العسكرية الفرنسية منذ العشرين من يوليو وحتى الخامس عشر من سبتمبر، ليلتحق ســـنة ١٨٧١م بمكتب حكومى لجباية الضرائب على السلع والبضائع المجلوبة إلى بـــاريس وهـــى المهـــنة الـــتى لازمته كنيتها طوال حياته بعد ذلك فعرف واشتهر بموظف الجمرك، ولعل وقت الفراغ الطويل الذى كان يشعر به فى انتظار وصول عـــربات البضائع قد شجعه للرسم أو على الأقل إجراء تخطيطات بسيطة، والحقيقة أنـــه لا يعرف على وجه التحديد بداية اتجاهه لهذا الفن والذى ربما كان فى أواخر الثلاثينات من عمره أو أوائل الأربعينات، فقد كان روسو ذاتى التعلم إلا من بعض النصائح التى استفاد منها جيداً من بعض فنانى عصره والذى حرص على مقابلتهم والأخـــذ بمشـــورتهم، وبتشجيع ومساعدة جاره الرسام فيليكس كليمنت حصل على رخصـــة لاستنســـاخ لوحـــات متحف اللوفر وبعض المعارض الفنية الأخرى سنة ١٨٨٤م فكانـــت فرحـــته عظـــيمة فتشجع وتقدم سنة ١٨٨٤م بلوحاته للعرض فى الصـــالون الرســـمى فرفضـــت تماماً لخلوها من قواعد الفن المعروفة مثل النسب والمـــنظور، فاتجـــه لصـــالون الفنانين المستقلين سنة ١٨٨٦م والذى كان يرحب بعـــرض أية أعمال فنية دون النظر لموضوعها أو رأى نقاد الفن فيها، والذى داوم على العرض به سنوياً حتى سنة ١٩١٠م عدا معرضى ١٨٩٩ و ١٩٠٠م، ورغم أنـــه قـــد حصل على فرصة رائعة بعرض لوحاته لأول مرة فى معرض الفنانين

المستقلين إلا أنها قوبلت بسخرية شديدة من قبل النقاد نظراً لسذاجتها المفرطة، وقد ماتـت زوجـته سنة ١٨٨٨م بمرض السل وهى لا تزال فى السابعة والثلاثين من عمرها بعد أن أنجبت له عدداً من الأطفال ربما بلغوا التسعة لم يصل منهم إلى سن الرشد سوى الطفلة جوليا التى ولدت سنة ١٨٧٦م فأرسلها أبوها لتعيش عند أقاربه وهـى لا تـزال طفلة بينما مات بقية الأبناء وهم لا يزالون فى سن الطفولة نتيجة لمـرض السل أيضاً الذى كان متفشياً فى ذلك الوقت، وكان وقع موت زوجته عليه شـديداً للغايـة فكـان الحـزن يراوده من حين لآخر عند تذكرها أو تذكر أبنائه المتوفين.

وفى رغبة منه لإثبات ذاته كتب مسرحية كوميدية خفيفة سنة ١٨٨٩م بعد أن زار معـرض باريس العالمى فى ذلك الوقت فكشفت تلك المسرحية عن شخصيته البسـيطة، كمـا كانـت لوحته نمر فى عاصفة استوائية التى رسمها سنة ١٨٩١م (صـورة رقـم (٣٧)) مـن أهم لوحاته التى جذبت شيئا من الانتباه إليه، ونتيجة لإصـراره على الاستمرار فى أعمال الرسم والتصوير قرر فى سنة ١٨٩٣م وهو فـى التاسعة والأربعين من عمره التقاعد المبكر من عمله للتفرغ تماماً لفن الرسم رغـم أن رؤساءه وزملاءه فى العمل كانوا يساعدونه كثيراً فى مسعاه الفنى بتقليل فـترات عمله.. إلا أن راتبه التقاعدى كان صغيراً لا يفى بجميع متطلباته، وللزيادة مـن دخلـه انضـم لفرقة موسيقية هاوية تجوب شوارع باريس حيث كان يعزف الكمـان بأى مقابل، وفى نفس السنة دخل روسو فى منافسة لتزيين دار بلدية مدينة بنولـت إلا أن جمـيع أعماله رفضت، كما رسم لوحة الحرب سنة ١٨٩٤م والتى عرضـها فى الصالون العاشر للفنانين المستقلين، غير أن أهم أعماله على الإطلاق كانت لوحته الشهيرة الغجرى النائم التى عرضها فى الصالون الثالث عشر للفنانين المستقلين سنة ١٨٩٧م وتقدم لبيعها سنة ١٨٩٨م إلى رئيس بلدية مدينة لافال مقابل مبلغ كبير من المال، والطريف أنه أوضح لرئيس البلدية أنه اختار بلدية بلدته ليبيع لهـا اللوحـة تقديـراً لمسـقط رأسه والتى أنجبت فناناً عظيماً مثله إلا أن عرضه رفـض، وفـى نفـس السنة تقدم أيضاً بمشروع فنى لتزيين دار بلدية فينسينز لكن عرضه رفض أيضاً، ومع ذلك لم ييأس وتقدم بعد سنتين لتزيين دار بلدية اسنيرس لكن طلبه رفض كالعادة.

وقـد تزوج روسو مرة أخرى سنة ١٨٩٩م من أرملة تدعى جوزيفين والتى كانـت تحـاول أن تسـاعده بعرض لوحاته للبيع فى الشوارع والطرقات إلا أنها سـرعان ما ماتت فى مارس سنة ١٩٠٣م وهى فى الحادية والخمسين من عمرها

بعـد أربـع سنوات فقط من زواجها فتألم روسو كثيراً لموتها، وقد ساءت فى تلك الفـترة حالته المادية بشدة، وبدأ يستدين حتى زادت عليه الديون وأصبح لا يستطيع تسديدها، رغم أنه كان فى بعض الأحيان يعطى دروسا للرسم والموسيقى للأطفال بالإضافة لعزفه للموسيقى فى الشوارع، إلا أن كل هذا لم يكن يكفيه.

والحقـيقة أن لوحـات هنرى روسو كانت بعيدة تماماً عن أى تأثير أكاديمى معروف بل تميزت بنزعة فطرية جديدة صور فيها أساساً المناظر الطبيعية للغابات بمـا فـيها من أشجار ونباتات غريبة وحيوانات مختلفة كالأسود والنمور الشرسة والطيور الملونة إلى غير ذلك من المناظر غير المألوفة، وذلك بحجة ما كان يذكره عـن ذكـرياته عن الغابات المكسيكية أثناء خدمته العسكرية هناك التى ألهمته تلك اللوحـات، رغم أن الحقيقة هى أنه لم يترك فرنسا على الإطلاق أو يرى أية غابة فـى حياته وأن حديثه عن خدمته فى الحملة العسكرية الفرنسية بالمكسيك من نسج خياله ولا أساس له من الصحة ، وأن حقيقة إلهامه لتلك اللوحات جـاء من الكتب المصورة والحدائق النباتية بباريس بالإضافة لقصص الجنود العائدين من المكسيك عن مغامراتهم هناك وما شاهدوه من عجائب وغرائب كان يستمع لها بنهم شديد.

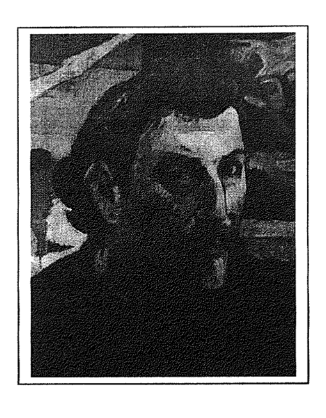
وكانـت أشهر فضائح هنرى روسو سنة ١٩٠٧م بتورطه مع موسيقى صديقه فـى قضية احتيال على مصرف وذلك بأن يقوم الفنان روسو بفتح حساب فى ذلك المصـرف باسم خاطئ ثم يقوم صديقه بسحب كمية كبيرة من المال بالدين من هذا الحساب فتم اكتشاف تلك الجريمة والقبض عليهما، فلقى ذلك الخبر اهتمام الصحافة خاصـة وأن روسـو الـذى أودع السجن لشهر لإتمام التحقيقات تعامل مع الأمر ببسـاطته المعهودة فبدا للجميع شخصاً ساذجاً خدعه صديقه دون أن يعى خطأ ذلك الأمر أو خطورته، فكان دفاعه عن نفسه فى المحاكمة مثاراً لشفقة الحضور خاصة وأن طريقـته فـى الحديـث وأسلوب حواره فجر ضحك جميع الحاضرين بقاعة المحكمـة بمن فيهم القضاة الذين تعجبوا منه، وقد حَسّن من وضعه شهادة أصدقائه أمـام المحكمة بشخصيته البسيطة الساذجة، فاقتنعت المحكمة وقضت بتغريمه مائة فـرنك والحـبس لسـنة مـع إيقاف التنفيذ، فأقام بيكاسو سنة ١٩٠٨م مأدبة طعام أسـطورية فـى مرسـمه تكريماً لروسو والذى سبق أن تعرف عليه بعد أن شاهد أعمالـه تـباع فـى شوارع باريس فأعجب بها وأدرك موهبته، وكانت تلك الحفلة فاتحـة خير لروسو فقد تعرف فيها على كبار الشخصيات الفنية والأدبية والسياسية فزادت ثقته بنفسه ورسم لوحته الشهيرة الحلم سنة ١٩١٠م التى تعد من أهم وأجمل لوحاتـه والتى صور فيها غابة مزدحمة بالأشجار المتنوعة وامرأة عارية مضجعة

وحـــيوانات متوحشـــة، ومع ذلك لم تفارقه سمعته التى لاصقته واقترنت باسمه من ســـذاجة وبســـاطة فكان فى كل المناسبات مثاراً للسخرية وقص النكات.. وكان أن وقـــع فـــى ذلك الوقت فى غرام فتاة متوسطة العمر تدعى ليونى تعمل عاملة فى متجر، ورغم محاولاته المضنية فى إثارة إعجابها واستمالتها إليه سواء بحلو الكلام أو بالهدايـــا العديـــدة الفخمة إلا أنها رفضته تماماً، والغريب أنه بالرغم من وضعه المـــالى السيئ كان يستدين ليجلب لها الهدايا خاصة وأنه كان يبيع لوحاته فى تلك الفـــترة بالأجل مع قلة راتبه التقاعدى، كما كان مهملاً فى نفسه فقد انتشرت القرح الجلديـــة فى ساقه مع عدم مبالاته بها حتى وصل الأمر لحدوث غرغرينا فى ساقه وتسمم فى دمه ليموت على إثره بأحد مستشفيات باريس فى الثانى من سبتمبر سنة ١٩١٠م وهـــو فى السادسة والستين من عمره يعانى الوحدة والفقر والحرمان، فقد حضـــر جـــنازته سبعة فقط من أصدقائه المقربين، ودفن فى مقبرة للفقراء، وكتب الشـــاعر الشهير أبولينير قصيدة شهيرة لرثائه حفرت سنة ١٩١٣م على شاهد قبر اشـــتراه كل من الرسامين بيكاسو وديلانوى تخليداً لذكراه، فقد ذاع اسمه واشتهرت أعماله بعد وفاته، لتلقى لوحاته الآن كامل التقدير وتباع بأعلى الأسعار.

مـــن لوحاتـــه الأخـــرى: صورة ذاتية للفنان مع مصباح سنة ١٩٠٣م، امرأة تمشـــي فـــي غابة غريبة سنة ١٩٠٥م، لاعبو كرة القدم سنة ١٩٠٨م، باقة زهور سنة ١٩١٠م.

بول جوجان (١٨٤٨ - ١٩٠٣م) **Paul Gauguin**





كانت حياة جوجان مثاراً للجدل والغرابة، فاتجه أول ما اتجه إلى حياة البحر فعمل بحاراً في الأسطول التجارى الفرنسى وهو فى سن السابعة عشرة متنقلاً بين شواطئ فرنسا مسقط رأسه وسواحل أمريكا الجنوبية حتى هجر حياة البحر فى عام ١٨٧١م واتجه إلى العمل بالسمسرة فى سوق الأوراق المالية ليحف النجاح طريقه ويجنى من عمله أرباحاً كثيرة، فتزوج بعد سنتين من فتاة دنمركية جميلة من أسرة غنية، أنجبت له خمسة أبناء أحبهم بشدة، ومع استقراره العائلى نجح جوجان فى جمع ثروة لا بأس بها من مهنته الجديدة الذى كان بارعاً فيها.. وقد كان جوجان يمارس هوايته الفنية فى عطل نهاية الأسبوع وفى أوقات الفراغ، وشجعته ظروفه المالية الميسرة وصداقته مع الفنان بيسارو على شراء عدد من اللوحات الزيتية للرسامين الانطباعيين أمثال إدوارد مانيه وكلود مونيه ورينوار وغيرهم، كما اشترك فى معارض الفنانين التأثيريين فى الأعوام من ١٨٨٠ إلى ١٨٨١م بلوحات كان يرسمها فى أيام الأحد خلال إجازته الأسبوعية، فحازت لوحاته إعجاب كثير من الهواة والنقاد، فقرر فى

سنة ١٨٨٣م أن يترك عمله فى سوق الأوراق المالية تماماً ويتفرغ للرسم فقط، إذ أراد أن يبرهن للجميع أنه يستطيع التفوق والوصول للنجاح والشهرة لو تفرغ للفن، فبدأ يرسم لوحاته وكله حماس وطموح وأحلام الشهرة والمجد تطارده متخيلاً أن عمله الفنى سيدر عليه دخلاً يعوضه عن مهنته التى اعتزلها، إلا أن مدخراته بدأت تقل تدريجياً إلى أن تبخرت تماماً فى شهور قليلة، فأثار ذلك سخط زوجته وضجرها وأصرت على العودة إلى عائلتها فى الدنمارك، فرضخ لرغبتها وهناك أتاحت له أسرتها العمل بالتجارة إلا أن عدم اهتمامه بتجارته أدى إلى كسادها، كما أنه أقام معرضاً للوحاته غير أن أعماله الفنية لم تقابل بالترحيب ولم تلق النجاح، فهجر أسرته وانفصل عن زوجته ورجع إلى باريس عام ١٨٨٥م وكله إصرار وعزيمة على استكمال مشواره الفنى، إلا أن الرياح لم تأت بما تشتهى السفن فلم يستطع أن يبيع لوحاته لأحد فاضطر إلى العمل فى لصق الإعلانات والملصقات بالشوارع، حتى أنه عاش حياة قاسية يملؤها الجوع والفقر والتشرد ومع ذلك لم يتراجع عن ممارسة فن التصوير، فعرض عدداً من لوحاته فى آخر معرض أقامه التأثيريون عام ١٨٨٦م.

وفى رحلة البحث عن الذات أخذ جوجان يتنقل من مكان إلى مكان حتى وصل به الأمر إلى جزيرة تاهيتى فى الباسيفيك عام ١٨٩١م متمرداً على مادية مجتمع الحضارة الغربية ليقيم بين أهلها البسطاء فقضى سنتين فى فقر وبؤس، فعاد مرة أخرى إلى باريس، إلا أنه لم يستطع الحياة هناك وقد تراكمت عليه الديون ولم يجد من يشترى لوحاته، حيث باع تسع لوحات فقط بمبالغ زهيدة من سبع وأربعين لوحة رسمها، فلم يجد إلا أن يبيع جميع محتويات مرسمه لتسديد هذه الديون، ليعود مرة أخرى إلى تاهيتى عام ١٨٩٥م تاركاً أوروبا من خلفه للأبد وهو يشعر بجراح عميقة وإهانة بالغة، ليمر بعدة أزمات أخرى خاصة وأن ابنته توفيت ولم يكن قد رآها منذ مدة طويلة ليجد نفسه يعانى مرة أخرى العذاب والحرمان، فانكب على العمل مصوراً عدداً من اللوحات الزيتية المهمة لأهل الجزيرة ونسائها منفردين أو فى مجموعات، وخاصة النساء اللاتى تكشفن عن أجزاء من صدورهن وسيقانهن ولهن شعور طويلة تصل إلى نصف ظهورهن، على أن أشهر هذه اللوحات لوحته الزيتية الضخمة من أين أتينا؟ ما نحن؟ إلى أين نذهب؟ سنة ١٨٩٧م والتى عبرت عن مدى معاناته النفسية التى كان يعانيها فلم يكن يجد المال ليعيش أو يشترى أدوات الرسم، فحاول الانتحار عام ١٨٩٨م بتناول الزرنيخ ثم ألقى بنفسه على سريره مغمضاً جفنيه منتظراً الموت بين لحظة وأخرى، إلا أن القدر لم يسمح له

فتم إنقاذه حتى يكون له المزيد من الضنى فى دنياه ويظل يعانى آلام فعلته هذه لعدة شـهور حتى تعافى فى النهاية.. والحقيقة أن الموت الذى كان يرجوه جوجان ربما كـان فـيـه راحة له من هموم كثيرة ومعاناة لا توصف، فبجانب مـا كان يعانيه جوجـان مـن أزمة مالية حادة جعلته يمكث لأيام عدة بلا طعام، كان يعانى أيضاً أمراضـاً عديـدة فقد أصيب بمرض تناسلى هـو داء الزهرى والذى انتقل له من إحدى العاهرات التى كان على علاقـة بها، فقد كان له علاقات نسائية متعددة فى الجزيرة والتى أسرف فيها بشدة وكان نتيجتها بجانب المرض عدداً من الأبناء غير الشـرعيين، إلـى جانب إصابته بتليف الكبد فكان يتقيأ كميات كبيرة من الدماء من حيـن لآخـر، وزاد مـن سـوء حالـته الصحية إفراطه فى تدخين التبغ وشرب المشـروبات الكحولـية، فضعفت قواه وذبلت عيناه وانكسرت همته، ومع إصابته بمرض الأكزيما والرمد انغلق على نفسه معانياً الاكتئاب الذى قاده لمحاولة انتحاره الفاشـلة الـتى مـا إن تعافى من آثارها حتى بدأ يقوم بنشاط سياسى فى الجزيرة معارضاً رجال السلطة، فحكم عليه عام ١٩٠٣م بالسجن لمدة ثلاثة شهور وغرامة مالية، إلا أنه رحل عن الحياة فى نفس العام إثر إصابته بنوبة قلبية مفاجئة قبل أن يستأنف حكم السجن، وقد ترك فى كوخه مئات اللوحات والرسومات التحضيرية.

وهكذا كانت نهاية هذا الفنان الذى بدأ حياته سمسار أوراق مالية ميسور الحال وانتهت به الحياة فناناً مفلساً لا يجد قوت يومه، ومن رجل رزقه الله بالأبناء إلا أنه تـركهم بمفردهم فى ظلمات الحياة، ومن رجل اشتاق إلى الثروة والشهرة غير أنه لـم يحـظ بهمـا فى حياته، وهو الذى كان يتمنى أن يحظى بجزء ولو بسيط من الشهرة الكبيرة التى هو عليها الآن بيننا.

مـن لوحاته الشهيرة: يعقوب يصارع ملاكاً سنة ١٨٨٨م، نساء من تاهيتى علـى الشاطئ سنة ١٨٩١م (صورة رقم (٣٨))، الخنازير السوداء سنة ١٨٩١م، قـرب البحر سنة ١٨٩٢م، امرأة تحمل فاكهة سنة ١٨٩٣م، الحصان الأبيض سنة ١٨٩٨م، امـرأتان مـن تاهيـتى سنة ١٨٩٩م، امرأة من تاهيتى مع الأطفال سنة ١٩٠١م.

فينسنت فان جوخ (١٨٥٣ - ١٨٩٠م) Vincent van Gogh





لم يعـانِ فـنان فـى حياته مثلما عانى فينسنت فان جوخ ومع ذلك لم يشعر بمعاناتـه أحـد، ورغـم أنه كان صاحب إنتاج فنى غزير إلا أن فنه قوبل بالـنكران واللامـبالاة، فقد عاش ومات دون أن يلقَ أى إعجاب أو تقدير لشخصـه أو لفـنه، فعاش حياة قصيرة عانى فيها الأمرين وذاق فيها مرارة الذل والخـذلان، حتى ابتسم له الحظ بعد وفاته فبزغ نجمه وأطلق عليه الفنان العبقرى وكتـب عـنه وعن حياته وأعماله الفنية مئات المقالات وعشرات الكتب ووصلت أسـعار لوحاتـه إلى ملايين الدولارات الأمريكية رغم أنه لم يبع فى حياته سوى لوحـة واحـدة فقط بمبلغ زهيد جداً.. ولعل حياة هذا الفنان بكل ما فيها من أفراح وأحـزان ومشـاعر امتلأت بالآلام وتجارب تخللتها المعاناة أمكن توثيقها بصورة دقـيقة شـبه كاملة من خلال رسائله التى وصلت إلى قرابة ألف رسالة لأصدقائه وأفـراد عائلـته خاصة إلى أخيه ثيو الذى كان يصغر فينسنت بأربع سنوات وكان أقـرب أخوتـه إلـيه فاستأثره وحده بأكثر من سبعمائة رسالة نشرت بالكامل سنة ١٩١١م بعـد وفاتـه كما ترجمت إلى عدة لغات، فكانت المورد الذى استقينا منه

أغلب معرفتنا بشخصية هذا الفنان وحياته الخاصة وأعماله الفنية دون أى احتمال للادعاء أو التخمين.

فقد ولد فينسنت فان جوخ فى قرية جروت زوندرت إحدى قرى هولندا فى الثلاثين من مارس سنة ١٨٥٤م حيث كان والده قسيساً بالقرية، ورغم أن والده حرص على أن يتلقى ابنه التعليم المناسب إلا أن فينسنت ترك دراسته فى سن الخامسة عشرة ولم يعد إليها، ليبدأ عمله سنة ١٨٦٩م فى مؤسسة جوبل لبيع اللوحات الفنية فى لاهاى لمدة سبع سنوات نجح خلالها نجاحاً لا بأس به، ونقل فى سنة ١٨٧٣م إلى فرع الشركة بلندن ليبقى بها سنتين صدم خلالهما صدمة عاطفية عنيفة، فقد تعلق بفتاة تدعى يوجيني لوير أحبها بشدة وعندما صارحها بشعوره نحوها استهزأت به ورفضته بقسوة، فقد كانت على علاقة عاطفية بشخص آخر، وكان لفشله فى الحب أثر سئ كبير فى نفسه جعله ناقماً على حياته والمجتمع الذى يعيش فيه فترك لندن إلى فرع الشركة بباريس عام ١٨٧٥م، إلا أن أسلوبه الجاف الحاد فى معاملة الزبائن وتصرفاته الغريبة أدت إلى طرده من العمل بعد سنة تقريباً من إقامته بباريس، فعاد إلى لندن وعمل بتدريس الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة إلى الرابعة عشرة، كما كرس نفسه لدراسة التوراة وإعادة قراءة الإنجيل متطلعاً لأن يكون رجل دين مثل أبيه، وبالفعل حصل على الفرصة التى كان ينتظرها لمدة طويلة فخطب فى الناس يوم الأحد إلا أن خطبته كانت باهتة وضعيفة لم تجد الاستحسان أو التشجيع فعاد منكسراً إلى هولندا فى عام ١٨٧٧م والتحق بمعهد دينى بأمستردام على أمل أن يصبح قسيساً، إلا أنه فوجئ بدروس اللغتين اليونانية واللاتينية وعلم الرياضيات والتى لم يستطع مواكبتها فترك الدراسة بعد خمسة عشر شهراً واعتبر هذه الفترة أسوأ فترات حياته، إلا أن إصراره على العمل فى المجال الدينى مكنه من الحصول على وظيفة واعظ لعمال مناجم الفحم ببلجيكا سنة ١٨٧٨م فصدمه واقع العمال المرير وتعاطف مع أوضاع عملهم البائسة، فتولدت لديه رغبة جارفة لمساعدتهم شاعراً فى قرارة نفسه بأنه الزعيم الروحى لهم، فعاش حياة الزاهد فى الحياة وبدأ يوزع أغلب مأكله وملبسه على العمال الفقراء، وعلى الرغم من نواياه النبيلة رفضت الهيئة الدينية التى تعاقد معها زهد فان جوخ بقوة وتضايقت بشدة من طريقة وعظه وطردته من العمل فى نهاية عام ١٨٧٩م، إلا أنه رفض ترك المنطقة وانتقل إلى قرية مجاورة عاش فيها فى فقر مدقع مكافحاً من أجل العيش.. وقد تركت هذه الأحداث القاسية العنيفة المتكررة أثراً كبيراً فى نفس فان جوخ مما جعله يعيش حياة يملؤها القلق والخوف

امــتدت لعدة أشهر من البؤس والشقاء قرر على إثرها الاتجاه للفن كوسيلة لإثبات الذات وطريقه للخلاص من المعاناة.

وبــالفعل انتقل فينسنت فان جوخ إلى بروكسيل فى خريف عام ١٨٨٠م ليبدأ دراســته الفنــية هــناك بتشجيع من أخيه ثيو تاجر الأعمال الفنية الذى أرسل إليه المال، إلا أن فان جوخ كان كارهاً للقواعد الأكاديمية التى تدرس بكليات الفنون من علم التشريح وقواعد المنظور وعناصر التشكيل المختلفة، حتى عاد فى أبريل عام ١٨٨١م ليعــيش فــى الــريف مــع أبويه واتخذ من الجيران والأصدقاء مواضيع لرســوماته وتخطــيطاته الأولى، وهناك وقع فى حب ابنة عمه الأرملة التى تدعى كــى، والــتى كانت تكبره بسبع سنوات ولديها طفل فى الثامنة من عمره، فاقترح عليها الزواج إلا أنها رفضته بشكل قاطع وحازم فتحطمت مشاعره برفضها، ومع ذلــك لم ييأس من تجديد طلبه من أبويها باستمرار وإصرار حتى ضاقت الأسرة به ومن إلحاحه السخيف الممل، ومع كل هذا الرفض قرر مواجهتها فى بيت أبويها إلا أن الأب رفــــض السماح له برؤية ابنته فثارت ثائرتــه وتملكه الغضب والحنق ووضـــع يده على قمع مصباح زيتى وجده أمامــه ليحرق نفسه متعمداً حتى يُسمَح لــه بــرؤية حبيبته، لكن الأب أسرع وقام بإطفاء المصباح فغادر فان جوخ البيت مخــذولاً ذليلاً.. فترك عائلته وتوجه إلى لاهاى فوراً عند نسيبه الفنان أنتون موف (١٨٣٨–١٨٨٨م) الذى شجعه لاستكمال مشواره الفنى الذى بدأه وأعطاه مجموعة مــن الألوان المائية ليبدأ العمل، غير أن حياة فان جوخ بدأت تتوتر مرة أخرى بعد تعــرفه على فتاة ليل تدعى كلاسينا ماريا هورنيك وشهرتها سين وذلك فى فبراير سنة ١٨٨٢م والتى كانت تكبره بثلاث سنوات ولديها طفلة فى الخامسة من عمرها كمــا كانت حبلى فى طفلها الثانى الذى وضعته فى يوليو من نفس العام، كما كانت أم لطفليــن ماتا من قبل، ومع ذلك كان فان جوخ مغرماً بها هائماً فى حبها، فدبت المشــاكل مع موف الذى عارض بشدة هذه العلاقة الآثمة وتوترت بذلك علاقتهما، واســتمراراً فى العناد أخذ فان جوخ هذه المرأة وطفليها ليعيشوا معه، وقد وصلت أخــبار هذه العلاقة إلى أبيه الذى حاول بكل طاقته التصدى لابنه وإيقاف عبثه إلا أن عــناد الابن دفعه للاستمرار مع المرأة قرابة العام ونصف العام متحدياً عائلته، إلى أن دفعه نقص المال وضيق ذات اليد إلى تدهور علاقته بها فافترقا فى سبتمبر سنة ١٨٨٢م فأرسلت سين البنت إلى أمها والطفل الرضيع وليم إلى أخيها وعادت هى للدعارة مرة أخرى حتى انتحرت فى سنة ١٩٠٤م بإلقاء نفسها فى النهر.

والملاحــظ أن أسلوب فان جوخ الفنى تقدم بشكل ملحوظ فى تلك الفترة فنمت مهاراتــه وحملــت لوحاتــه كثيراً من العواطف والمشاعر الدافئة فترك لاهاى فى منتصف شهر سبتمبر إلى درينتى في شمال هولندا ثم إلى بيت أبويه فى أواخر عام ١٨٨٣م مواصـــلاً حرفــته منــتجاً عشرات اللوحات الرائعة للفلاحين والعمال فى الحقول، حتى رحل أبوه فى مارس سنة ١٨٨٥م فعانى القلق والتشتت الذهنى رغم أن علاقته بأبيه كانت متوترة جداً خلال السنوات الأخيرة، فانكب على العمل الشاق مــرة أخرى وأخرج لوحته العظيمة آكلى البطاطس فى سنة ١٨٨٥م والتى تميزت بــالألوان القاتمــة الثقيلة التى عكست اندماجه فى حياة القرويين. والحقيقة أن فان جــوخ كــان ينــتظر المال الذى يرسله له أخوه ثيو فلم يكن لديه أى مصدر رزق آخر، وكان ينفق أغلبه على مواد التصوير مهملاً طعامه وشرابه حتى ساءت حالته الصــحية فأدمن شرب الكحول وأفرط فى التدخين حتى أصيب بإعياء شديد استلزم الــرعاية الطبية، حتى تعافى وانتقل ليعيش مع أخيه فى باريس سنتين قضاهما فى زيــارة بعض المعارض الفنية والرسم فى الضواحى حتى أصبح مألوفاً لدى كثير مــن الفنانيــن فى ذلك الوقت وقد رسم فى تلك الفترة أكثر من مائتى لوحة، إلا أن عيشته مع أخيه أدت إلى كثير من التوتر والمشاحنات بينهما فأصبح عصبياً مكتئباً وعادت الألوان القاتمة الكئيبة تظهر مرة أخرى فى لوحاته، فقرر ترك باريس إلى مديــنة آرل فى جنوب فرنسا فى فبراير سنة ١٨٨٨م وكله أمل فى مستقبل ناجح. وبــالفعل بــدأ يرسم سلسلة من اللوحات الفنية الرائعة كان سعيداً بها واستأجر فيما بعــد بيتاً استخدمه كمرسم حتى يكمل تأثيثه، وبالتالى هدأت نفسه وأرسل إلى أخيه ثيــو بعض أعماله حتى يبيعها له، كما حاول جذب الأصدقاء إليه، وبــدأ بتشجيع صديقه الفنان بول جوجان للانضمام إلى مرسمه فى الجنوب طالباً من أخيه ثيو أن يــتحمل تكاليف إقامة صديقه معه، ولعل شعور ثيو بأن أخيه سيكون أكثر استقراراً وهدوءاً برفقة جوجان كان الدافع لموافقته على هذا العرض، وربما أيضاً ما تطلع إلــيه ثــيو مــن ربح قد يجنيه من بيع لوحات جوجان الذى كان قد أصاب بعض الشــهرة فى ذلك الوقت، وبالفعل انضم جوجان إلى فان جوخ فى صباح يوم الثالث والعشرين من أكتوبر من نفس العام لتمر الأيام فى هدوء، ولكن مع مرور الأسابيع ودخولهما فى مجادلات ساخنة باستمرار تدهورت العلاقة بينهما بشدة، وفى إحدى هذه المناقشات التى اتسمت بشئ من الحدة ثار فان جوخ وفقد صوابه ولم يشعر إلا وهــو يطــارد جوجان بشفرة حلاقة كانت فى يده محاولاً قتله، فتركه جوجان إلى الأبد لينهار فان جوخ ويصاب بنوبة جنون قطع على إثرها أذنه اليسرى أو الجزء الأســفل مــنها ثم لفها فى لفافة وأعطاها إلى فتاة ليل تدعى راشيل كانت تعمل فى

دار بغاء، وكان قد أعجب بها من قبل نظراً لجمالها الفتان، وقد سبق وعبر لها عن إعجابه بينما لثمت هى أذنه فى دلال قائلة له يالها من أذن صغيرة كأنها أذن جرو طالبة منه أن يأتى لها فى كل ليلة، ولما اعتذر لها لعدم كفاية المال لديه قالت له إذن هات أذنك فإنى أحب أن تكون معى لألعب بها، فأعطاها أذنه بعد أن قطعها، فقد كانت الإنسانة الوحيدة التى أحاطته برعايتها واحتضنها هو بين ذراعيه دون أن تخذله أو تنفر منه.. إلا أن السبب الحقيقى وراء قطع فان جوخ لأذنه مازال غير واضح، فربما قطع أذنه لعقاب نفسه على فعلته مع جوجان وإحساسه بأنه مهما قدم من أعذار أو حجج فلن يقبلها منه صديقه، وربما فعل ذلك دون وعى أو إدراك، وربما لإرضاء فتاة عطفت عليه ورأى أنه فى حاجة لأن يقدم لها شيئا أرادته.. ليدخل فان جوخ على أثر ذلك إلى المستشفى فى حالة حرجة لتلقى العلاج اللازم خاصة وأنه نزف الكثير من الدم، وقد رسم نفسه بعد أيام فى لوحتين والرباط الأبيض يغطى أذنه المقطوعة (صورة رقم (٣٩))، ظاهراً فى إحدى هاتين اللوحتين ممسكاً البايب بفمه، حتى تعافى تماماً فى يناير عام ١٨٨٩م وعاد إلى بيته، إلا أنه كان ما يزال يعانى التوتر والهلوسة وتخيل المرض، ففى فبراير من نفس العام أصابته حالة من الهياج العصبى تخيل فيها أنه تسمم، فتم نقله إلى المستشفى ومكث بها حوالى عشرة أيام ثم عاد إلى بيته مرة أخرى.

ومع استمرار حالاته العصبية زاد قلق مواطنى المدينة منه ومن تصرفاته وسلوكه فوقع نحو ثلاثين شخصا من جيرانه على عريضة أوضحوا فيها مخاوفهم منه، قائلين إنه شخص مجنون خطر ومن المجازفة تركه حراً، وأرسلوها إلى رئيس بلدية المدينة ولمدير الشرطة، الذى أمر بإعادته إلى المستشفى مرة أخرى، فأصابته حالة من الحزن والاكتئاب وتدهورت حالته النفسية وتكررت نوباته العصبية، فدخل مصحة سانت ريمى النفسية فى مايو سنة ١٨٨٩م تحت عناية الدكتور بيرون الذى سمح له بالاستمرار فى الرسم بعد أن تأكد أن حالته العقلية بدأت تستقر، لينتج فان جوخ لوحته الرائعة الليلة المضيئة بالنجوم فى منتصف شهر يونيو، إلا أن استقرار حالته لم يدم طويلاً، فقد أصيب بنوبة عصبية أخرى فى منتصف شهر يوليو حاول فيها ابتلاع ألوانه ولذلك تم إبعاد أدوات الرسم عنه تماماً، ورغم تعافيه من حالة التسمم التى لحقت به إلا أنه عانى الإحباط بعدما حرم من الرسم حتى سمح له الدكتور بيرون باستئناف هوايته فاستقرت حالته العقلية والجسدية بقية العام إلا من بعض النوبات البسيطة التى كان يتعافى منها سريعاً بالعلاج، حتى ترك المستشفى النفسى فى ١٦ مايو سنة ١٨٩٠م وغادر المدينة ليلاً

قاصـــداً أخـــاه ثـــيو بباريس، والذى بقى عنده ثلاثة أيام ثم ترك باريس إلى مدينة أوفيرسيرواز وقابل هناك الدكتور جاشيت الذى اهتم بحالته الصحية، وكان جاشيت من المهتمين بالفن فرســم له فان جوخ لوحـــة رائعة أعجبت الطبيب رغم ما يبدو فـــيها من كآبة وحزن، وقد كان فينسنت فان جوخ متقلب المزاج رغم أنه كان كثير الإنـــتاج، فكـــان ينهى رسم اللوحة فى يوم واحد فقط لدرجة أنه فى أيامه الأخيرة استطاع أن يرسم سبعين لوحة فى سبعين يوماً متصلة مستغلاً كل طاقته بنهم شديد وكأنـــه يســـابق الزمن لعله يستطيع أن ينهل من الألوان أكثر ما يستطيع قبل نهاية حـــياته، وكانت أهم هذه اللوحات رائعته حقل القمح والغربان (صورة رقم (٤٠))، الـــتى عكســـت حالته النفسية والاضطراب العقلى الذى كان يعانيه، ففى يوم الأحد الموافـــق السابع والعشرين من يوليو سنة ١٨٩٠م بعد عودته من أحد حقول القمح وقـــد أنهى لوحته تحت ضوء الشمس أخذ مسدساً وأطلق على صدره رصاصة لم تصـــبه فى مقتل وإنما أصابته إصابة خطيرة فعاد إلى سريره يتمايل وألقى بجسده علـــيه، فـــتم اســـتدعاء الدكـــتور جاشيت الذى أرسل إلى أخيه والذى حضر وظل بجواره حتى الساعات الأخيرة من حياته وهو يعانى الآلام الشديدة وقد علت آهاته حتى تفارق روحه جسده فكان لا يـــزال له نصيب من العـــذاب والشقاء فى دنياه، ليموت فى الساعات الأولى من صباح يوم التاسع والعشرين من يوليو عام ١٨٩٠م وهـــو فـــى السابعة والثلاثين من عمره، أما ثيو الأخ الوفى فلم يحتمل فراق أخيه الحبيـــب فـــرحل عـــن الحـــياة بعد ستة أشهر فقط من وفاة أخيه ليدفن فى مدينة أوتريخـــت حـــتى عام ١٩١٤م عندما طلبت أرملته جوانا بإعادة دفن جسده بجانب قبر أخيه فينسنت فى أوفير.

ورغـــم أن مشـــوار فان جوخ الفنى لم يستمر لأكثر من عشر سنوات إلا أنه أنـــتج أكثر من ألفى عمل فنى منها حوالى تسعمائة لوحة زيتية وقرابة ألف ومائة من الرسومات والتخطيطات بقيت بالكامل فلم يبع سوى لوحة واحدة فقط قبل وفاته بأربعـــة أشهر وهى لوحة مزرعة العنب الحمراء، والتى كان قد باعها له أخوه ثيو بأربعمائـــة فـــرنك لا غير ومحفوظة الآن بمتحف بوشكين بموسكو، فلم يهتم أحد بأعمالـــه وبالـــتالى لم يفقد منها شئ بالبيع، فتم الاحتفاظ بكل عمل نفذه على مدى حياته تقريباً بما فى ذلك تخطيطاته الأولى، لينتبه العالم بعد وفاته إلى هذا العبقرى الفـــذ المـــتدفق الإبـــداع الـــذى عاش حياة البؤساء وانكسار النفس رغم رقة قلبه ومشـــاعره المرهفة وعواطفه الجياشة الحالمة، فقد كان لضربات فرشاته المتلاحقة أثرها فى إيجاد تقنية جديدة فى التصوير الزيتى أثرت على جيل كامل من الفنانين،

فحـــرر التصوير من الألوان ذات الطابع الأكاديمى مستخدماً الألوان النقية الملتهبة بطريقة فريدة وبشكل إيقاعى أخاذ، مصوراً موضوعات لم يتطرق لها أحد من قبل فصـــور زوجى حذائه وغرفة نومه ومقعده إلى غير ذلك من الموضوعات الغريبة الـــتى اســـتحوذت على اهتمامه فسجلها فى لوحاته المنتشرة الآن فى أشهر متاحف العالم.

مـــن لوحاته الشهيرة: سفن الصيد على الشاطئ سنة ١٨٨٨م، البيت الأصفر ســـنة ١٨٨٨م، صيد السمك في الربيع ١٨٨٧م، زهور عبّاد الشمس سنة ١٨٨٨م، بستان الزيتون سنة ١٨٨٩م، حقل القمح وأشجار السرو سنة ١٨٨٩م.

ادوارد مونخ **(١٨٦٣ - ١٩٤٤م)** **Edward Munch**





لم يعـان إنسـان فى حياته من العزلة والغربة والضيق كما عانى مونخ، ولم يعش أَحد الحزن واليأس والعذاب كما عاشه مونخ، فكانت الحياة بالنسبة له مُره قاسية عاشها فى قنوط وخوف، والمستقبل فى نظره كريه مفجع، آماله وأحلامه كوابيس مفزعة، فعاش بلا أمل فى الحياة كارهاً لها ناقماً عليها.. ولعل نشأته الأولى البائسة وما صادفه فى حياته من صعاب ومآسٍ كان لها تأثيرها الواضح الجلى على سلوكه ومستقبله، فقد ولد فى مدينة لوتين بالنرويج فى الثانى عشر من ديسمبر عام ١٨٦٣م بالقرب من إحدى الثكنات العسكرية الكبيرة حيث كان أبوه طبيباً عسكرياً نرويجياً وكانت شقيقته الكبرى جوهان صوفى (١٨٦٢م) تكبره بسنة واحدة، كما كان له ثلاثة أشقاء أصغر منه، لتموت أمه وهى فى الثلاثين من عمرها بمرض السل بينما كان هو فى الخامسة من عمره ليكون لذلك تأثيره العميق على نفسه، خاصة وأن أباه لم يكن قادراً على مراعاة أبنائه أو الإيفاء بمتطلباتهم فسيطرت كارين أخت زوجته المتوفاة على العائلة بقسوة وأشاعت جواً من الخوف والرعب على نفوس الأطفال الصغار وغرست فى قلوبهم الرهبة

والحذر، لذلك كانت الأخت الكبرى صوفى الصدر الحنون والقلب العطوف لمونخ، يشكى لها مخاوفه وأحزانه ويسمع منها ما يطيب خاطره ويهون عليه حتى فارقت الحياة هى الأخرى وهى فى الخامسة عشرة بنفس مرض أمها، لتكون هذه الصدمة أشد ما عاناه مونخ طوال حياته وظلت ذكراها معه حتى آخر أيامه، فلم يستطع أن ينساها قط بل كانت تأتيه فى خياله بين الحين والآخر فتحول عالمه إلى اختلاطات متشابكة من الحزن واليأس واللوعة وألم الفراق، وقد زاد من أحزانه وهمومه إصابة أخته الصغرى بمرض عقلى وهى لا تزال فى بداية حياتها.

ومن المؤسف أن الأشقاء الخمسة لم يتزوج منهم إلا واحد فقط هو بيتر أندريس الأصغر من مونخ بسنتين، غير أنه مات بعد الزفاف بشهور قليلة، مما دعا مونخ لأن يعبر عن حياته بمقولته الشهيرة "مرض وجنون وموت" واتجاهه فيما بعد لرسم عدد من لوحات مشاهد سرير الموت.

والغريب أن هذا الفنان المبهر اتجه أول ما اتجه إلى دراسة الهندسة فى سنة ١٨٧٩م إلا أن مرضه المتكرر حال دون استكمال دراسته فاتجه فى السنة التالية إلى دراسة فن الرسم والتصوير، ولعل رغبته فى تقديم صورة صادقة لآلام وأحزان الفرد فى العصر الحديث ورسم حياته الخاصة بكل ما تحمله من أثقال هو الدافع الحقيقى لهذا القرار، وبالفعل دخل كلية الفنون الملكية فى أوسلو سنة ١٨٨١م مبتدئا برسم لوحات أفراد عائلته وأصدقائه المقربين حتى فاز بمنحة دراسية إلى باريس سنة ١٨٨٥م وكانت لوحته صوفى التى أعاد رسمها خمس مرات وأطلق عليها فيما بعد الطفلة المريضة من أهم أعماله فى تلك الفترة، حتى مات أبوه سنة ١٨٨٩م فعانى مرة أخرى الإحباط والضيق الذى ظهر واضحاً فى أعماله الفنية التى رسمها فى ذلك الوقت.

ورغم أن وضع مونخ المالى تحسن كثيراً والشهرة عرفت طريقها إليه واستطاع أن يؤجر مرسماً خاصاً به فى باريس، إلا أن صحته بدأت تتدهور بشدة نتيجة لإفراطه فى شرب الخمور كما أنهكه السفر المتلاحق إلى العديد من العواصم الأوروبية، حتى دعى من اتحاد فنانى برلين لعرض لوحاته فى برلين فى معرض نوفمبر سنة ١٨٩٢م وقدم فى هذا المعرض خمساً وخمسين لوحة أحدثت ثورة فى الحياة الفنية للمدينة، وكانت بعض لوحاته سبباً فى إغلاق معرضه بعد أسبوع واحد فقط نتيجة الاحتجاجات الشديدة والانتقادات الحادة التى وجهت له واعتبر معرضه فضيحة للفن التشكيلى، وقيل إن أعماله بعيدة تماماً عن الفن، وهو ما جعله محور اهتمام الكثيرين، فقرر البقاء فى برلين.

ولعـل أهم لوحات مونخ على الإطلاق لوحته الشهيرة الصرخة (صورة رقم (٤١)) الـتى رسمها سنة ١٨٩٣م والتى عبر فيها عن ذروة التوتر والقلق فحازت إعجـاب نقاد الفن حتى الآن واعتبرت انعكاساً واقعياً تعبيرياً مريراً للإنسان الذى أحاطـته العـزلة وسـيطرت عليه الغربة وعانى القلق والضيق، وذلك باستخدامه للخطـوط المنحنـية الحـادة القاسـية بضـربات فرشاة قوية من الألوان الحمراء والصـفراء والخضراء.. ليرسم بعدها عدداً من اللوحات التعسة المؤثرة مثل لوحة الشـبح سـنة ١٨٩٤م، ثم لوحة الحب والعذاب والموت، كما كانت لوحته رقصة الحـياة سـنة ١٩٠٠م مـن لوحاتـه المهمة التى أظهر فيها نظرة تشاؤمية عميقة للإنسانية.

ولعـل إدمان مونخ للكحول وعلاقة حبه المأساوية التى انتهت بطلقة رصاص أفقدتـه أحـد أصـابع يـده اليسرى سنة ١٩٠٢م وذكرياته المؤلمة كانت الأسباب الرئيسـية لقلقه وتوتره المتزايد وسوء حالته النفسية، ليستقر به الحال داخل إحدى المصـحات النفسـية الخاصـة إثر إصابته بانهيار عصبى حاد عام ١٩٠٨م، فتم علاجـه بوسـائل العـلاج المخـتلفة والـتى تضمنت جلسات العلاج بالصدمات الكهربائـية، حـتى تحسـنت حالته بشكل ملحوظ وعاد إلى النرويج سنة ١٩٠٩م ليستقر بها، وبدا أكثر اهتماماً برسم مواضيع مستوحاة من الطبيعة كما بدت لوحاته أقـل تشـاؤماً، إلا أنـه عاد فى نهاية سنة ١٩١٦م إلى سابق عهده بالقلق والتوتر واضطرابه المعهود وإيمانه بمصيره المظلم المفجع، فانعزل فى بيت صغير اشتراه فـى إكـيلى خارج أوسلو بعيداً عن الحياة الصاخبة.. وقد أصيبت عينه اليمنى فى سنة ١٩٢٨م بالتهاب حاد ثم خراج مما زادها سوءاً حتى أصبح لا يرى بها تقريباً، وفى عام ١٩٤٠م غزت القوات النازية الألمانية النرويج فرفض التعاون مع قوات الاحتلال بل وأعلن رفضه القاطع ومواجهته الصارمة للاحتلال النازى لبلاده، فما كـان من النازيين إلا أن أزالوا جميع أعماله الفنية من المتاحف الألمانية باعتبارها أعمـالا مـنحطة عديمة القيمة وهو ما آلمه كثيراً، فابتعد عن الجميع ليعيش وحيداً مـنعزلاً فـى بيـته الصغير حتى وافته المنية فى الثالث والعشرين من يناير سنة ١٩٤٤م بعد مضى شهر تقريباً من عيد ميلاده الثمانين، تاركاً خلفه عدداً كبيراً من الأعمـال الفنـية الرائعة فى عدد كبير من المتاحف والمعارض الفنية الرئيسية فى الـنرويج وخارجهـا وعلى رأسها متحف مونخ فى أوسلو الذى يحتوى وحده على نحو ألف ومائة لوحة وأربعة آلاف وخمسمائة رسم وقرابة ثمانية عشر ألف طبعة، بالإضـافة لأعماله المحفوظة فى صالة العرض الوطنية ببرلين، ليعتبر مونخ أحد

دعـــائم فـــن التصـــوير فـــى العصـــر الحديث وأحد المؤثرين فى تطوير المذهب التعبـــيرى، فقـــد استطاع أن يكون له أسلوب تعبيرى خاص به عبر فيه عن فكره وتجربته الشخصية ورؤيته للحياة بأسلوبه الفنى الخاص.

من لوحاته أيضاً: الربيع سنة ١٨٨٩م، مصاص الدماء سنة ١٨٩٣–١٨٩٤م، القـــبلة ســـنة ١٨٩٧م، فتيات على الجسر سنة ١٨٩٩–١٩٠٠م، صورة ذاتية مع زجاجة نبيذ سنة ١٩٠٦م.

هنرى دى تولوز لوتريك (١٨٦٤ - ١٩٠١م) Henri de Toulouse-Lautrec





هو ابن عائلة أرستقراطية كبيرة عريقة اعتادت سكن القصور وترف العيش والبذخ، كما اعتادت أيضاً على الزواج من بين أبناء العمومة كى لا تخرج الألقاب أو الأملاك إلى خارج العائلة أو تذهب للأغراب، فتزوج والده الكونت الفونس دى تولوز لوتريك من ابنة عمه الكونتيسة إديل، فى زواج غلبت عليه المصلحة للمحافظة على ثروة العائلة، وكان نتيجة هذا الزواج الطفل هنرى الذى ولد ضعيف البنية يشكو دائماً من المرض وهو ما أقلق والده الذى كان يرغب فى أن يكون ابنه فارساً كعادة أولاد النبلاء، ومع ذلك كان يدربه بصفة مستمرة على فنون ركوب الخيل وطرق وأساليب الصيد وغير ذلك من هوايات الأثرياء، غير أن تأهيل الطفل البدنى لم يكن فى صالحه، فسقط من على ظهر الجواد وهو فى سن الثالثة عشرة وأصيب بكسر فى عظام فخده اليسرى ثم بكسر آخر فى فخده اليمنى بعد سنة تقريباً وذلك نتيجة إصابته بمرض عضال فى العظام تظهر أعراضه فى سن العاشرة، ورغم محاولات علاجه المستمرة إلا أن العلاج كان صعباً فقد كان المرض جينياً وراثياً نتيجة زواج القرابة لأجيال عديدة، مما أدى إلى توقف نمو ساقيه بينما كان نصفه الأعلى ينمو بصورة طبيعية، فأدى ذلك

إلى قصر قامته بشكل ملحوظ فقد بلغ طوله ١٥٢سم فقط ليبدو فى نظر الناس قزماً مثـيراً للسـخرية والتهكم، والحقيقة أن هنرى لم يكن الضحية الوحيدة لزواج أبويه وإنمـا كـان أخـوه الأصغر أيضاً الذى ولد بعد ولادة هنرى بثلاث سنوات تقريباً ومـات بعـد سنة واحدة فقط من ولادته نتيجة حالته الصحية الواهنة، ليبقى هنرى الطفـل الوحـيد لأبويـه، والـذى كان يتابع فى أسى خلافاتهما المستمرة العنيفة ونـزاعهما الـذى لا ينقطع، فكانا فى شقاق دائم انتهى بالانفصال ليبقى الصبى فى رعايـة الأم بعـد أن تخلى عنه أبوه بسبب بنيته الضعيفة المعاقة التى تجعله غير صـالح للفروسية والجندية، فأخذته أمه إلى باريس وشجعته على الالتحاق بمدرسة الفـنون الجمـيلة عـام ١٨٨٢م إلـى جانب دراسة الفن فى مراسم عدد من كبار المصورين فى ذلك الوقت، فقد اتجه لوتريك إلى الفن ليسرى به عن نفسه، فقد كان ذا موهـبة فى الرسم ظهرت منذ صغره فكان يرسم ما يحيط به من مزارع العائلة ومجـتمع الصيد والفرسان والحيوانات الصغيرة، إلا أنه ترك التعليم الأكاديمى فى سنة ١٨٨٤م واستقر فى مرسم خاص به فى حى مونمارتر وتعرف على الرسامين فان جوخ وديجا ومانيه وغيرهم من رسامى عصره الذين تأثر بهم فى بداية حياته الفنية، إلا أنه سرعان ما اتخذ لنفسه طريقاً خاصاً به.

ورغـم حب والدته الشديد له ورغبتها فى تنشئته نشأة ارستقراطية تليق به إلا أن هـنرى كـان يحاول دائماً التمرد عليها وعلى التقاليد والعادات التى كانت سبباً رئيسـياً فـيما هو عليه، فمع وصوله لسن الرشد وبلوغه مبلغ الرجال بدأ يتحرر وبقـوة من سيطرة والدته عليه مما ولد ردود فعل عنيفة بين الاثنين فحاول هنرى الإفـلات من قيود المجتمع والكبت الشديد الذى فرضته أمه عليه والانطلاق بحرية فى العاصمة الفرنسية متخلياً عن النظام الأسرى الارستقراطى إلى مجتمع صاخب مجهـول يعـيش على هامش الأعراف الاجتماعية والقانون الرسمى، ولا شك أن العاهـة البدنـية التى كان عليها هى التى ولدت داخله تلك الضغوط النفسية ودفعته دفعـاً إلى ذلك، فانغمس فى حياة المجون وارتاد الملاهى والنوادى الليلية والحانات والمـراقص فى مجتمع مونمارتر الليلى الصاخب متعمداً التعامل ببساطة وتواضع شديد كرد فعل للتعجرف والاستعلاء اللذين كانا من خصائص عائلته الكبيرة.

ومـع رغبته الجامحة فى الحياة بحرية والتحرر من كل القيود والانفلات من التعالـيم والوصـايا لـم ينـتمِ لمدرسة فنية بعينها، فعلى الرغم من أن حركة الفن الانطباعى كانت هى المسيطرة على المناخ الفنى فى باريس في ذاك الوقت إلا أنه لـم ينجذب إليها ولم يهتم بنظريات الضوء والألوان فكان دائماً يظهر موقفاً عدائياً

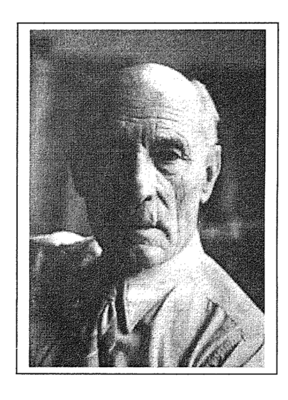
مـــن النظريات والمدارس الفنية حتى قيل عنه إنه كان يغرد خارج السرب، وعلى عكس الانطباعيين فى اهتمامهم بالضوء اختار لوتريك بإرادته العيش والعمل بعيداً عـــن ضوء الشمس، فكان يرسم شخوصه بين المصابيح المعتمة فى النوادى الليلية والملاهـــى مظهراً فتيات الليل ورواد النوادى فى عتمة الليل وخلف دخان السجائر راســـماً فتياته بملابس عارية وغريبة وعلى وجوههن مساحيق الوجه العديدة يقمن بإشـــارات حركـــية وإيمـــاءات جسدية، مصوراً عدداً كبيراً من اللوحات لمواضيع يـــنكرها الـــذوق العام وحشمة المجتمع، فلم يكن مكترثاً بردود أفعال الجمهور فقد اعـــتاد علـــى السخرية والاستهزاء إلى جانب الشفقة فى بعض الأحيان، فعاش فى فوضـــوية بوهيمية عانى فيها الحرمان من التمتع الطبيعى بمباهج الحياة، فبرز فى كثـــير من لوحاته حياة الراقصين مظهراً حركات الساقين السريعة أثناء الرقص فى أداء حركى يتميز بالقوة والخفة والرشاقة، كما فى لوحته الشهيرة الرقص فى ملهى المولان روج (ملهى الطاحونة الحمراء) الذى افتتح فى باريس سنة ١٨٨٩م وكان ذائـــع الشـــهرة فـــى ذلك الوقت، فكان لوتريك عند جلوسه فى الملهى يقوم برسم تخطيطات سريعة بينما يقوم فى اليوم التالى بإكمال لوحته فى المرسم مضيفاً ألوانه الجمـــيلة الزاهـــية، وقد دفعه قصر قامته إلى رسم الأجسام أطول مما يجب.. كما ارتبط اسمه أيضاً برسم الإعلانات والملصقات الشهيرة التى روجت لحانات باريس وملاهيها.

ولما كان يعرف مدى بشاعة منظره اتجه إلى السخرية من ذاته فى رسوماته مظهـــراً نفســـه فى كثير من لوحاته بشكل كاريكاتورى قبيح حتى يحرم الساخرين الســـاديين مـــن لـــذة السخرية منه أو التهكم عليه أو النظر إليه نظرة احتقار، وفى تماديـــه فـــى السلوك السلبى والجرى وراء الغرائز والرغبات الزائفة أدمن شرب الخمور ومعاشرة الباغيات الساقطات، فكان كأس الخمر لا يكاد يفارق يده فيشرب بنشـــوة وتعطش أفضل أنواع الخمور وأجودها، كما كان كثيراً ما يبدى ملاحظاته على أنواع هذه المسكرات، لدرجة أنه ابتكر كوكتيل من الخمر له تأثير الزلزال فى الجســـد كمـــا كـــان يقول، يتكون من أربعة أجزاء من شراب الأفسنتين الكحولى وجزءيـــن مـــن النبيذ الأحمر ورشة من الكونياك والذى مازال يقدم حتى الآن فى الحانـــات الكـــبرى، وقـــد استمر فى هذه الحياة الماجنة حتى بدأت صحته تتردى وجسده يذبل ويصاب بنوبات هذيان وحالات اكتئاب واضطرابات نفسية عنيفة زاد مـــن حدتهـــا إصابته بمرض الزهرى، حتى انهار وسقط فى أحد شوارع العاصمة الفرنســـية فـــتم نقله إلى مصحة ليتلقى علاجاً نفسياً وطبياً، فمنع من شرب الخمر

تمامـــاً وهـــو ما لم يطقه أو يتحمله، وأحس آنذاك بمرارة الانصياع للأوامر الطبية وبشـــعور المســـجون المقيد الذى فقد حريته التى طالما بحث عنها، وتحت إلحاحه الشديد لم تجد أمه بداً من إخراجه من المصحة إلى بيتها ليمكث تحت رعايتها، إلا أنه لم يستطع البعد عن الخمر الذى كان يسرى فى عروقه مع دمه، فعاد إليه حتى أصـــيب بالشلل وسقط ميتاً فى سنة ١٩٠١م وهو فى السادسة والثلاثين من عمره مخلفاً وراءه نحو ستمائة عمل فنى ما بين المطبوع والمرسوم، فحرصت أمه على تخلـــيد ذكراه فساهمت بالمال فى بناء متحف مدينة ألبى مسقط رأسه وأهدت كافة أعمالــــه التى اشتملت على لوحات زيتية ورسوم ونقوش وطبعات حجرية إلى هذا المـــتحف، فـــأكدت هـــذه الأعمال الفنية على قيمة فن لوتريك وموهبته التى ظلت مخفـــية تحـــت وهج عظماء الرسم الذين عاصروه فجاء تقييم أدائه الفنى متأخراً، ووصـــلت أثمان لوحاته إلى أعلى الأسعار ويصبح حالياً من أهم الفنانين العالميين الذين مهدوا الطريق لظهور المدرستين الوحشية والتعبيرية.

مـــن لوحاتـــه المهمة: لوحة بداية الرقصة الرباعية في ملهى المولان روج (ملهى الطاحونة الحمراء) سنة ١٨٩٢م (صورة رقم (٤٢))، لوحة الصديقتان سنة ١٨٩٤م، لوحة المرأة التي ترتدى جوربها سنة ١٨٩٤م.

كارل هوفر (١٨٧٨ - ١٩٥٥م) Carl Hofer





فنان ألمـــانى كانـــت الصعاب تلاحقه أينما حل أو رحل، فلم يهنأ براحة البال قط ولم تستقر حياته حتى مات، إلا أنه استطاع بعزيمة صلبة وإرادة قوية أن يصبر على ما ابتلى به ويتخطى الكثير من معوقات حياته لينجو بنفسه من بئر الفشل والهزيمة والانكسار، ويحفر اسمه كفنان موهوب على صخر النجاح والشهرة.

ولـــد كارل هوفر فى أسرة فقيرة لأب يعمل موسيقياً فى فرقة عسكرية، مات بعد ولادته بأربعة أسابيع فقط بمرض رئوى ليتركه رضيعاً دون أى مصدر رزق، ولما لم تستطع أمه تدبير نفقات المعيشة لضيق ذات اليد تركته فى كنف اثنتين من عماتـــه اللتيـــن لم تستطيعا تحمله طويلاً فأودعاه ملجأ للأيتام، فعاش وحيداً شاعراً بمعنى اليتم الحقيقى حتى خرج من الملجأ سنة ١٨٩٢م وهو فى الرابعة عشرة من عمـــره بعـــد أن أكمـــل تعليمه الإلزامى، فعمل عاملاً فى مكتبة ودار نشر وهناك تعـــرف عن قرب على الألوان والأحبار وبدأت تتحرك داخله رغبة حقيقية للاتجاه للتخطـــيط والرســـم ومـــزج الألوان والتلوين بها، فبدأ برسم عدة لوحات صغيرة بـــالألوان المائـــية، وبتشـــجيع ممـــن رأوا تخطيطاته ورسوماته الأولى انضم إلى

أكاديمية كارلزرو الفنية سنة ١٨٩٧م وهو فى الثامنة عشرة ليتلقى تعليمه الفنى الأولىّ على يد عدد من كبار فنانى الأكاديمية فى ذلك الوقت، إلا أن أياً منهم لم يستطع أن يؤثر فيه فنياً بمعنى الكلمة أو أن يصبغه بصبغته، وإنما كان لكارل هوفر طموح آخر ورؤية خاصة تنبع من داخله وتحركه وتسيطر عليه، فسافر فى سنة ١٩٠٠م إلى باريس إذ كان معجباً ومتأثراً بشدة بلوحات الفنان هنرى روسو، ثم سافر إلى روما فى سنة ١٩٠٣م والتى كانت نقطة تحول مهمة فى تاريخه الفنى، والحقيقة أن كارل هوفر كان كثير السفر والترحال فتنقل بين روما وباريس والنرويج والولايات المتحدة والهند وغير ذلك من الدول المختلفة.

وقد تزوج فى سنة ١٩٠٣م من اليهودية ماتيلد شتاينبيرجير فى فينا والتى أنجبت له ابنه الأول كارلنو سنة ١٩٠٤م ثم ابنه الثانى تيتوس سنة ١٩٠٥م والذى مات بعد ثلاثة أشهر فقط من ولادته فحزن عليه الأب حزناً بالغاً.

ومع نشوب الحرب العالمية الأولى اعتقل كارل هوفر فى فرنسا سنة ١٩١٤م وأودع الأسر حتى سنة ١٩١٧م لينتقل بعد خروجه إلى سويسرا مؤقتاً حتى سنة ١٩١٩م، ثم عاد إلى برلين بعد ذلك ليستقر بها نهائياً، وقد استطاع أن يعمل فى التدريس بأكاديمية الفنون ببرلين سنة ١٩٢٠م.

وقد كان هوفر من أوائل الفنانين الذين ناهضوا سياسة بلادهم معارضاً وبشدة الحكم النازى لبلاده، وهو ما أدى إلى طرده من العمل فى سنة ١٩٣٣م ومنعه من الرسم والتصوير وعمل المعارض الفنية، إلى جانب مصادرة ما يزيد على ثلاثمائة عمل فنى من أعماله من المتاحف الفنية، متعرضاً لاضطهاد فكرى مستبد عنيف، فكانت لوحته رجل فى الخراب والتى رسمها سنة ١٩٣٧م (صورة رقم (٤٣)) أصدق مثال لما كان يشعر به من هزيمة وانكسار وكأنه يرى نفسه وقد وقف أمام خراب وجوده الفنى مكتوف اليدى بلا حول له ولا قوة.

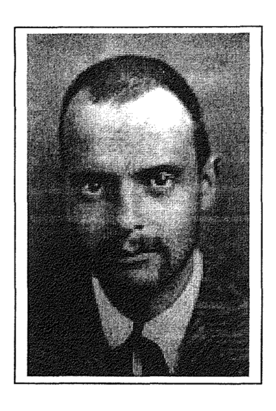
وفى سنة ١٩٤١م تم القبض على زوجته الأولى اليهودية وإعدامها والذى كان قد انفصل عنها سابقاً وتزوج من امرأة أخرى فى سنة ١٩٣٨م، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية نسفت غارات الحلفاء على برلين مرسمه فى أول مارس سنة ١٩٤٣م ليفقد كل رسوماته وتخطيطاته التى كانت به، ورغم ضخامة هذه الكارثة التى حلت به إلا أنه لم يتخل عن صلابته ولم تلن عزيمته أو تضعف، ليعين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مديراً لأكاديمية الفنون ببرلين فى يوليو سنة ١٩٤٥م، لكنه كرس نفسه للعمل الثقافى والسياسى، ساعياً طيلة العقد الأخير من

عمـــره أن يعيد رسم ما يستطيع من صوره المفقودة وكتابة مذكراته، كما دخل فى خضـــم صراعات حادة وعنيفة حول نظريات الفن القائمة فى ذلك الوقت فتعرض لكثـــير مـــن الهجوم والنقد، لكنه وقف مدافعاً عن أفكاره ونظرياته ورؤيته الفنية.. وفـــى ذروة انفعاله وتصديه لمعارضيه سقط ميتاً فى الثالث من أبريل سنة ١٩٥٥م نتـــيجة لســكتة دماغية مفاجئة، لتغلق صفحة حياته العنيفة القلقة المليئة بالأحداث البائســـة المؤلمـــة وتبقى أعماله الفنية التى رسمها معبراً فيها عن مشاعره الداخلية وعواطفه المكبوتة التى تشوبها مسحة الحزن والألم شاهدة على قوة صموده وشدة صبره.

مـــن أهم أعماله: لوحة العاصفة سنة ١٩١١م، في بحر الرمال سنة ١٩١٤م، رجـــل وثمـــرة بطيخ سنة ١٩٢٦م، السجناء سنة ١٩٣٣م، الرسالة سنة ١٩٣٤م، الغـــرفة الســـوداء ســـنة ١٩٤٣م، فتاة تمشط شعرها سنة ١٩٤٤م، الصخرة سنة ١٩٥٠م.

بول كلى (١٨٧٩ - ١٩٤٠م) Paul Klee





لم يكن نصيبه من الحياة تحقيق نجاح فقط وإنما ألم ومرض ومعاناة، فبدأ حياته كما أراد إلا أنها لم تنته بما أراد، فرغم أنه نشأ فى أسرة موسيقية لأب موسيقى ألمانى وأم موسيقية سويسرية، ورغم أنه تعلم عزف الكمان منذ حداثة سنه إلا أن رغبته فى تعلم الرسم قادته للالتحاق بمدرسة للفنون فى ميونخ سنة ١٨٩٨م ثم بأكاديمية الفنون بميونخ سنة ١٨٩٩م بتشجيع من والديه بعد أن لاحظا موهبته فى الرسم والتى بدت واضحة للعيان من رسوماته التخطيطية الأولى على صفحات دفاتره الدراسية ورسوماته البسيطة الملونة الأخرى التى رسمها بعد أن حصل على علبة ألوان من جدته، وقد اعترف كلى بعد ذلك أنه فى بادئ الأمر كان فى حيرة من أمره بين اختيار الرسم أو الموسيقى حتى اختار طريق الرسم وسار فيه راضياً مرضياً.. ولإكمال تحصيله الفنى سافر إلى إيطاليا سنة ١٩٠١م لستة أشهر فتعرف فى روما على فن عصر النهضة وروائع الفنون القديمة حتى عاد إلى برن بسويسرا محاولاً إثبات ذاته بما تعلمه باحثاً عن النجاح الذى طالما حلم به، إلا أن ظروف الحياة الصعبة أجبرته على الانضمام إلى إحدى

الفــرق الموسيقية فى الفترة ما بين ١٩٠٣ إلى ١٩٠٦م لكسب ما تستقيم به حياته، كما زار باريس سنة ١٩٠٥م ليتعرف على الفن الفرنسى الحديث.

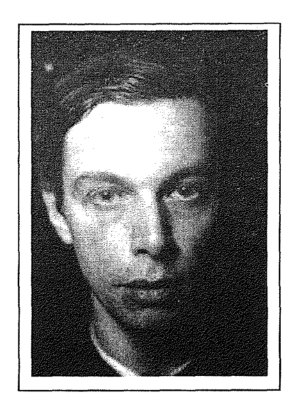
وقــد تــزوج بــول كلــى فى سنة ١٩٠٦م من عازفة بيانو تدعى ليلى فقرر الاستقرار فى ميونخ العاصمة الفنية لألمانيا وأنجبت له زوجته طفله الوحيد فيليكس ســنة ١٩٠٧م، وكانت مسيرته الفنية فى تقدم مستمر عاماً بعد عام فتعرف فى عام ١٩١١م برسامين مجموعة الفارس الأزرق كاندنسكى وماكى ومارك وجولنسكى، واشــترك معهــم فــى معرضهم الثانى سنة ١٩١٢م، إلا أن شعوره بعدم الثقة فى قدراتــه كان يراوده من حين لآخر فكانت أغلب لوحاته فى تلك الفترة تنحصر بين اللونيــن الأبيض والأسود حتى سافر إلى تونس لأسبوعين سنة ١٩١٤م فكان لهذه الــرحلة تأثير عميق على نفسه فواتته أخيراً الجرأة لاستخدام الألوان، وقال آنذاك الآن أصبحت رساماً، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م قتل بالحرب اثنان من أهم الفنانين المقربين إلى قلبه أولهما هو ماك رفيقه فى رحلته إلى تونس وذلــك فى السادس عشر من أغسطس سنة ١٩١٥م ثم صديقه العزيز فرانز مارك فــى الرابع من مارس سنة ١٩١٦م فكان أساه عليهما ملازماً له طوال حياته، ونظراً لأنــه يحمل الجنسية الألمانية عن أبيه فقد تم استدعاؤه للخدمة العسكرية فى مارس ســنة ١٩١٦م أثــناء الحــرب العالمية الأولى رغم أنه لم يتم استدعاؤه منذ بداية الحــرب، ومــع ذلك كانت لديه الفرصة للاستمرار فى الرسم بعد أن صدر قرار بإعفــاء الفنانيــن مــن الاشتراك فى المعارك واقتصر عمله على عمل الرسومات التمويهــية على الهياكل الخارجية للطائرات المقاتلة، وبنهاية الحرب سنة ١٩١٨م انعكس شعوره بالتفاؤل والأمل فى مجتمع سياسى جديد على أعماله الفنية فتميزت تلــك الفترة بغزارة إنتاجه الفنى، فتم تعيينه سنة ١٩٢٠م أستاذاً بمدرسة باوهاوس فــى مديــنة فيمار بألمانيا وهى المدرسة التى هدفت إلى الجمع بين الفنون الجميلة والتطبيقــية وتغيــير مظهر الحياة عن طريق الجمع بين الحرفى والفنان، وتذويب الفــروق بيــنهما لخدمة احتياجات المجتمع الألمانى الذى مزقته الحرب.. فذاعت شــهرته خاصة بعد معرضه الأول الذى أقامه بباريس عاصمة الفن الأوروبى سنة ١٩٢٥م، واســتمر أســتاذاً بباوهاوس بعد أن نقلت إلى مدينة داساو سنة ١٩٢٦م، حتى استقال من العمل بها مع تصاعد التوتر السياسى وانشغاله الشديد ليلتحق سنة ١٩٣١م بأكاديمــية دوســلدورف للفنون كأستاذ لفن الرسم فعكست لوحاته فى تلك الفــترة براعــته الفائقــة فى استخدام الألوان وطريقته الفريدة فى استعمال الفرشاة فأصبح من أبرز وأشهر الشخصيات الفنية، إلا أن الحياة لا تسير دائماً على منوال

واحد ولا بد أن يكون للإنسان نصيب من الألم فى حياته، فبعد أن وصل هتلر إلى السـلطة طـرده النازيون من وظيفته سنة ١٩٣٣م بسبب ميوله السياسية المعروفة وأجبر على ترك بيته ومرسمه بعد أن هاجمهما النازيون فقرر فى نهاية تلك السنة الهجـرة إلـى سويسرا واستقر بمدينة برن، وكان سعيد الحظ إذ استطاع أن يأخذ صوره ورسوماته معه دون أن تحطم أو تفقد، وانعزل عن الناس جميعاً خاصة بعد تصـاعد أزمـته المالـية التى فاجأته بعد تركه لعمله ومصدر رزقه، ولما كانت المصـائب لا تأتى فرادى فقد أصيب فى صيف سنة ١٩٣٥م بمرض عضال أقعده عـن العمـل لأكثر من سنة بدأت أعراضه باضطرابات فى الغدد وصعوبات فى التنفس والهضم لينتهى الأمر بتحول أنسجة الجسم الرابطة إلى صورة ليفية فأدرك أن لقاء الموت أصبح وشيكاً فتغيرت نظرته للعالم، وبدأت لوحاته تتضمن إشارات واضحة للموت فى إطار من الحزن العميق حتى فرضت صورة الموت نفسها على أعماله الأخيرة بإصرار عظيم مثل لوحة الموت والنار (صورة رقم (٤٤))، ولوحة رحلـة مظلمـة فى مركب سنة ١٩٤٠م، وذلك بعد أن لفظ النازيون أكثر من مائة لوحـة من أعماله من المتاحف الألمانية سنة ١٩٣٧م واعتبروا أعماله فنا منحطا، وهو العام الذى شهد تحسناً مؤقتاً لحالته الصحية فانفجرت آخر طاقاته الإبداعية فى عدد من اللوحات المهمة التى حفظت اسمه وخلدت ذكراه، فقد ظل يعمل حتى آخر أيام حياته.

وبالـرغم من أنه قد طلب الحصول على الجنسية السويسرية إلا أنه لم يحصل عليها حتى تاريخ وفاته متأثراً بمرضه فى التاسع والعشرين من يونيو سنة ١٩٤٠م وهـو فـى السـتين من عمره يعانى الوحدة والانعزال الذى اختارهما لنفسه، ليتم الموافقـة علـى طلبه ومنحه الجنسية السويسرية بعد ستة أيام فقط من وفاته، وقد ترك من خلفه قرابة تسعة آلاف لوحة فنية ما بين لوحات زيتية ومائية ورسومات تخطيطـية محفوظة حالياً فى العديد من متاحف العالم المهمة مثل متحف بول كلى فى برن ومتاحف دوسلدورف وبال وباريس وهامبورج ونيويورك وغيرها.. حيث يعد بول كلى حالياً من أهم الشخصيات الفنية التى ساهمت بنصيب إبداعى كبير فى تطوير الفن الحديث فى القرن العشرين.

مـن لوحاته الشهيرة: لوحة المتنزه سنة ١٩١٤م، القناع بالعَلَم الصغير سنة ١٩٢٥م، الكوميديا الفنية سنة ١٩٣٢م، فتاة راقصة سنة ١٩٤٠م.

إيرنست لودفيج كيرشنر (١٨٨٠ - ١٩٣٨م) Ernst Ludwig Kirchner





فنان ألمــانى اعتــبر مــن أبرع الفنانين الألمان فى تاريخ الفن الحديث، ورغــم أنه بدأ مشوار حياته بدراسة الهندسة المعمارية فى درسدن إلا أنــه اتجه لفن الرسم بعد إنهاء تعليمه معارضاً بذلك رغبة أبيه، وقد استطاع فى سنة ١٩٠٥م بمدينة درسدن بمشاركة عدد من زملائه فى الهندسة المعماريــة هــم بليل وكارل شميت روتلوف و إريك هيكل أن يؤسس جماعة فنية أطلقوا عليها اسم جماعة القنطرة أو الجسر، والتى هدفت إلى تجنب الأساليب الفنية الأكاديمــية التقلــيدية والعبور بها إلى نمط جديد من التعبير الفنى وبذلك استطاعوا تكوين جسر أو قنطرة بين الماضى والحديث، وبالفعل كانت هذه الجماعة الفنية من أهــم العوامــل التى أثرت على تطور الفن الحديث فى القرن العشرين فبزغ نجمه وازدادت شهرته من خلال المعارض الفنية التى أقامها، خاصة وأن لوحاته تميزت بالبراعة الشديدة والإحساس العميق.

ومــع بدايــة الحرب العالمية الأولى فى سبتمبر سنة ١٩١٤م تطوع كيرشنر للخدمة العسكرية فخدم فى سلاح المدفعية فى قلب ميدان المعركة وهناك أدرك أن

الحرب ليست مزحة ففيها الخراب والأهوال وأن المنتصر فيها خاسر فأصيب بعدة انهيارات عصبية حادة ونوبات من الفزع والاكتئاب الشديد إلى جانب إصابته بمرض رئوى، فتم إنهاء خدمته وتسريحه من الجيش فى أكتوبر سنة ١٩١٥م، ليذهب للعلاج فى إحدى المصحات النفسية بسويسرا واستغرق علاجه سنتين، ولعل صورته الشخصية التى رسمها لنفسه سنة ١٩١٥م توضح قدراً كبيراً مما كان يعانيه كيرشنر فى ذلك الوقت فقد صور نفسه كجندى بالزى العسكرى الرسمى بوجه متجهم متوتر وبيد مبتورة ممزقة وهو لا يستطيع أن يمسك فرشاة الرسم لرسم الموديل العارية التى بجواره، وهو بذلك يعترف بإحساسه بالإعاقة والانهزام والحسرة والألم الذى يشعر بها، معبراً عن وحشية العلاقات الإنسانية وخسارة العالم للمبادئ والأخلاق.

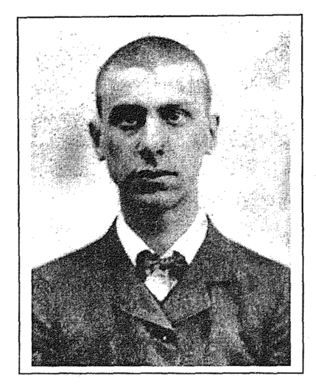
وقد انتقل كيرشنر بعد خروجه من المصحة ليعيش فى بيت صغير بمزرعة فى مدينة دافوس بسويسرا، وكانت تلك الفترة فترة تأمل رسم خلالها مناظر طبيعية لجبال الألب ومشاهد الحياة الريفية، رغم تعرضه لحادث شديد فقد صدمته سيارة فى الطريق وأصيب على أثر ذلك بإصابات عدة استغرق علاجها بعض الوقت، ورغم أن حياته بدت فى ظاهرها هادئة مستقرة إلا أنه كان يعانى الاكتئاب وفقدان الأمل فى الحياة خاصة وأنه عانى فترات كساد طويلة، إلا أنه لم يستسلم للشعور باليأس والانكسار فبدأ يرسم بنشاط مرة أخرى، فعاد إلى الوجود الفنى بقوة بعد أن أقام عدة معارض فى ألمانيا وسويسرا عرض فيها عدداً كبيراً من أعماله ركزت على الحياة الحديثة، إلا أن هذا النجاح لم يستمر طويلاً ففى سنة ١٩٣٣م هاجم الحكم النازى أعماله الفنية، وأُجبر كيرشنر على الاستقالة من أكاديمية برلين للفنون سنة ١٩٣٧م، كما صودر أكثر من ستمائة عمل فنى من أعماله من المتاحف الألمانية وحطمت أغلبها فقد اعتبر النازيون أعماله متفسخة مثيرة للغرائز الجنسية، إذ كانت كثير من لوحات كيرشنر تصور الإناث العاريات والنساء العصريات والنظرة التهكمية لمجتمع برلين الحديث، فانعزل عن الحياة الاجتماعية ولجأ لتعاطى المواد المخدرة حتى يعيش مغيباً بعيداً عن هذا الواقع المرير، حتى أصيب بصدمة نفسية قادته لإنهاء حياته بنفسه بالانتحار سنة ١٩٣٨م فى مدينة دافوس بسويسرا وهو فى الثامنة والخمسين من عمره مفضلاً الموت على مثل هذه الحياة.

من أعماله الشهيرة: لوحة امرأة في المرآة سنة ١٩١٢م، ولوحة شارع – برلين سنة ١٩١٣م (صورة رقم (٤٥)) والتى تعد إحدى سلسلة لوحات تصور

الســـاقطات فى شوارع برلين، امرأتان في الطريق سنة ١٩١٤م، فتاة تحت شمسية يابانية ملونة سنة ١٩٠٩م.

ريتشارد جيرسل (١٨٨٣ - ١٩٠٨م) Richard Gerstl





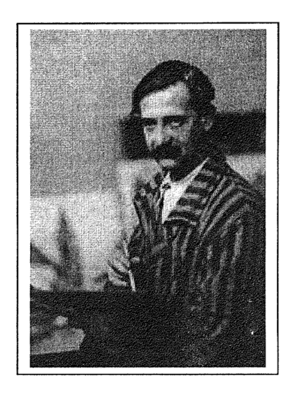
هو فنان نمساوى لازمه الفشل فى كل خطوة خطاها وصاحبه الإخفاق فى كل درب سلكه، فوقع فريسة للإحباط الذى لم يدفعه فقط للرحيل المبكر من الدنيا وإنما لمحاولته محو ذكراه من الوجود تماماً، فمنذ صغره واجه صعوبات فى دراسته بالمدرسة حتى أجبر على تركها مما دفع أسرته الغنية إلى أن يجلبوا له مدرسين ليعلموه فى البيت بصفة خاصة، فقرر أن يتجه لفن الرسم وأن يصبح فناناً، وبالفعل تم قبوله بأكاديمية الفنون الجميلة بفينا سنة ١٨٩٨م وهو فى الخامسة عشرة من عمره، إلا أن حظه العثر أوقعه تحت يد أستاذ صعب صارم عنيد فلم يستطع جيرسل أن يتبادل معه الحوار أو يتفاهم معه لينتهى الأمر بشجار حاد بينهما دفعه لترك الدراسة بالأكاديمية سنتين قضاهما يعلم نفسه بنفسه بشكل مستقل حتى عاد للأكاديمية مرة أخرى سنة ١٩٠٠م تحت إشراف أستاذ آخر أكثر تفاهماً وتعاوناً.

ورغم أنه حاول تقديم أعماله الفنية للمجتمع المحيط إلا أنه لم يلق التشجيع الذى يرضيه فشعر بالانهزامية والانكسار، وفى سنة ١٩٠٤م اشترك مع أحد

زملائــه فــى مرسم مشترك إلا أن علاقتهما لم تستمر طويلاً وانتهت بشكل غير واضح أو مفهوم، فأقام جيرسل لنفسه مرسماً خاصاً به سنة ١٩٠٦م، والغريب أنه فــى الوقــت الذى انعزل فيه جيرسل عن أقرانه الفنانين المصورين ولم يرتبط فى حياته بأحد منهم بصورة قوية اتجه لعقد صداقات مع بعض الموسيقيين كان أهمهم الموسيقى آرنولد شوينبيرج والذى تقرب له ولعائلته بشكل كبير فرسم له ولزوجته ماتــيلد عــدة لوحات وأدى ذلك إلى زيادة أواصر العلاقة بينهم خاصة بين الرسام جيرســل والزوجة ماتيلد التى هربت معه إلى فينا فى أغسطس سنة ١٩٠٨م تاركة خلفها زوجها وأولادها، فكان ذلك صدمة كبيرة لزوجها الذى لم يستطع أن يتصور مــا حدث، وتحت إلحاح مستمر منه لزوجته الهاربة يرجوها للرجوع عما أقدمت علــيه والعودة لرشدها وبيتها وأطفالها الحزانى لفراقها وتهديده المستمر بالانتحار عــادت ماتــيلد إلــى زوجهــا وأبنائها فى أكتوبر من نفس العام تاركة هذه المرة ريتشــارد جيرســل الذى فقدها بعد أن أحبها وتعلق بها، واكتشف أنه كان متوهماً عــندما تخــيل أن حبه قد ملأ قلبها وملك عقلها، فقد كان يعانى طوال حياته عدم وجــود الصديق وضياع الرفيق فانعزل فى بيته وحيداً تطارده هواجس الفشل الذى لاحقــه فــى حياته بعد أن خابت كل مساعيه لجذب الأنظار لفنه ولوحاته فلم تلق أعمالــه أى إعجاب أو قبول، فسيطر عليه القنوط وغلبه اليأس، ووجد أنه لا فائدة مــن حــياته فذهب فى الرابع من نوفمبر سنة ١٩٠٨م إلى مرسمه ليلاً وجمع كل أوراقه الخاصة ومتعلقاته الشخصية ورسائله وخطاباته وكل ما يعنيه وحرقها أمام عينــيه حــتى يمحو بذلك ذكراه تماماً من الوجود، ثم وقف أمام المرآة عاقداً حبلاً حول عنقه دلاه من السقف ثم طعن نفسه بسكين حاد فى قلبه وألقى بجسده فى حبل المشنقة حتى يتأكد موته ولا ينجُ منه أبداً، فإن لم يمت مشنوقاً مات متأثراً بجرحه، ليموت ذلك الفنان فى ريعان شبابه منتحراً وهو لا يزال فى الخامسة والعشرين من عمــره، ورغم أن النيران قد أتت على محتويات مرسمه وكثير من لوحاته إلا أن بعــض هذه اللوحات بلغت نحو ست وستين لوحة وثمانية رسومات نجت من النار فاحتفظــت بهــا عائلته فى مخزن لهم حتى عرضها أخوه على تاجر لوحات سنة ١٩٣١م والــذى أقام معرضاً للوحات الفنان جيرسل وهو الذى لم يستطع أن يقيمه أثناء حياته، فكاد اسمه أن يشتهر لولا سيطرة الحكم النازى بالنمسا ونشوب الحرب العالمية الثانية بعد ذلك، مما أدى إلى انصراف النظر عنه مجدداً ليعود جيرسل إلى ساحة الضوء مرة أخرى بعد انتهاء الحرب، فتم الالتفات إلى أعماله ذات الأسلوب الفنى الفريد، خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية ليلقى الاعتراف الذى حرم منه فى حياته ويسجل اسمه ضمن الفنانين التعبيريين.

من لوحاته: المتنزه سنة ١٩٠٧م، صورة نصفية لامرأة بقبعة من الريش سنة ١٩٠٧م، صورة ذاتية للفنان وهو يضحك سنة ١٩٠٨م (صورة رقم (٤٦)).

موريس أوتريللو (١٨٨٣ – ١٩٥٥م) **Maurice Utrillo**





فنان فرنسي اعتبر من أشهر فناني عصره رغم حياته المتوترة القلقة التي أدمن فيها شرب الخمور منذ حداثة سنه، والمرض العقلي الذي لازمه طوال حياته حتى اعتبر مجنوناً، ومحاولاته المتكررة للانتحار لإنهاء حياته.. ولعل ملابسات ولادته المخزية ونشأته الأولى كان لها دور كبير فيما آل إليه حاله، فقد ولد موريس لرسامة شابة تدعى سوزان فالادون كانت تعمل موديل لدى عدد كبير من الفنانين أمثال هنري دي تولوز لوتريك و إدجار ديجا و رينوار وغيرهم، فحملت سفاحاً من أحد الفنانين الهواة، ولما لم تجد من تنسب له الابن، أعطاه الرسام والناقد الفني الإسباني ميجيل أوتريللو الصديق لأمه اسمه إكراماً لوالدته وشفقة عليها، لدرجة أن البعض قد أشاع في طرافة أن أمه أخذته بعد ولادته وهو طفل رضيع لتبحث له عن أب فذهبت إلى رينوار لتخبره بأن الرضيع ابنه فنظر إلى الطفل في تعجب قائلاً إن لونه غريب ولا يمكن أن يكون ابني فذهبت إلى ديجا فاستنكر شكله ورفضه على الفور، فرأت من بعيد صديقها ميجيل أوتريللو جالساً على مقهى فذهبت إليه وقصت عليه مشكلتها فضحك وطمأنها ووافق أن يعطيه اسمه وأنه سيكون مسروراً أن يضع اسمه على عمل من

أعمال رينوار أو ديجا، وبالفعل نُسب موريس إلى ميجيل أوتريللو وكانت تلك أول صـــدمات حـياته فلـم يعرف أباه الحقيقي وهو ما دفعه فيما بعد إلى التوقيع على لوحاته الأولى باسم موريس فالادون ناسباً اسمه إلى اسم أمه، حتى استقر بعد ذلك وهو فى السابعة والعشرين من عمره على التوقيع باسم موريس أوتريللو.

والملاحــظ أن ســوزان فالادون أم موريس نشأت نفس نشأة ابنها فكانت هى الأخــرى ابنة غير شرعية لأمها الأرملة الشابة التى مات عنها زوجها فى السجن فوقعــت فــى علاقـــة آثمة نتج عنها الطفلة مارى فالادون والتى عرفت بعد ذلك بســوزان فـــالادون، وقـــد قاطعت العائلة كلاً من الأم وابنتها التى كبرت وعملت رسامة وموديل للرسامين.

وقـــد لاحظت سوزان فالادون على ابنها أنه غير مستقر نفسياً وأن له بعض التصـــرفات الغريـــبة غير المفهومة منذ أن كان فى الثامنة من عمره، فأخذته إلى طبيب أطفال أخبرها أن الطفل يعانى بعض المشاكل العقلية ولابد من متابعة حالته عند طبيب متخصص.

وكـــان الطفـــل عصبياً متقلب المزاج ففشل فى دراسته ولم يكملها، كما اتجه لشرب المسكرات منذ كان طفلاً فى الثالثة عشرة حتى أدمن الخمر وهو فى الثامنة عشـــرة، ولعل هذا الأمر تتحمل أمه جانباً كبيراً منه فقد كانت هى الأخرى مدمنة للخمـــور.. وكانـــت حالـــته النفسية والصحية فى تدهور واضح فكان عندما يملكه الغضب وتثور ثائرته لا يفرق بين الصواب والخطأ، ففى إحدى المرات هاجم أمه بسكين فى يده، كما حطم كل ما وقع تحت يده فى حجرته وألقاه من النافذة، فتم نقله بعـــد كثير من نوباته إلى إحدى المصحات النفسية، فنصح أحد الأطباء والدته بأن تعلـــم ابنها مبادئ الرسم وقواعده كنوع من العلاج ليبتعد عن الخمر وتتحسن حالته القلقة المضطربة، وبالفعل بدأ موريس الرسم وهو فى الحادية والعشرين من عمره وخرج للرسم فى ضواحى باريس خاصة ضاحية مونمارتر فرسم الطواحين القديمة والمقـــاهى وأماكـــن التســـلية والترفيه، فلفتت لوحاته الانتباه وأظهر موهبة فطرية وعبقرية غير عادية فى الرسم والتصوير، وقد عرف إنتاجه الفنى بين عام ١٩٠٩ إلـــى عام ١٩١٤م بالفترة البيضاء نظراً لكثرة استخدامه للون الأبيض فى لوحاته، وهو ما جلب له الشهرة والمال ، ومع ذلك لم يتخل عن الخمر أو يبتعد عنه لدرجة أن إحـــدى المحـــاكم أدانـــته فى العاشر من مايو سنة ١٩١١م نتيجة لسكره البين وتصـــرفاته الغريـــبة البذيئة التى صدرت عنه فى الثانى عشر من أبريل من نفس العـــام عـــندما كشـــف عـــن عوراته التناسلية أمام المارة فى أحد الميادين العامة،

وحكمت عليه المحكمة بغرامة مالية وصلت إلى خمسين فرنكاً، كما ساءت حالته مرة أخرى بعد سنة تقريباً فدخل مجدداً إلى المصحة النفسية التى خرج منها بعد تلقى العلاج، ومع ذلك كانت حالته غير مستقرة لدرجة أنه كسر فى إحدى المرات سنة ١٩١٧م نافذة أحد المخابز وهو تحت تأثير الخمر، فتم القبض عليه، إلا أنه أودع المصحة النفسية نتيجة لمرضه واعتبر مجنوناً.

ورغم أن موريس أوتريللو كان تحت الملاحظة المستمرة إلا أنه حاول الانتحار بقطع شرايين يده بكسرة زجاج، وقد تم إنقاذه، وفى مسلسل تصرفاته الغريبة الشاذة غير المسئولة يروى أنه اقترب ذات مرة من امرأة جالسة على أحد المقاعد العامة وجلس بجانبها ثم قبلها فى غفلة منها ثم انصرف ليتبول فى الشارع على جدار حمام عام وعندما استوقفه رجل الشرطة قاومه بقوة وضربه، فتم وضعه فى الحجز.

كما حاول الانتحار مرة أخرى فى مايو سنة ١٩٢٤م عندما قام برطم رأسه بجدار غرفته بقوة عدة مرات حتى سال دمه وسقط على الأرض مغشياً عليه، ليتم إنقاذه ويعود للحياة رغماً عنه.

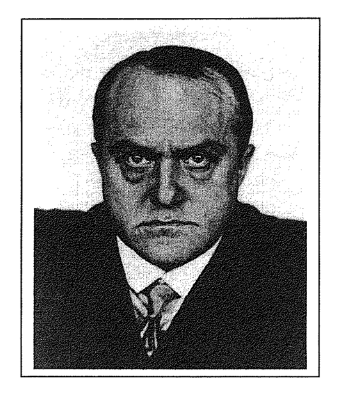
والحقيقة أن فضائح موريس أوتريللو العديدة ودخوله الحجز لأكثر من مرة ومداومته على زيارة المصحات النفسية لها دور كبير فى خلق هالة من الغموض حوله ، مما جعل كثيراً من الناس يقبلون للتعرف على أعماله الفنية التى كانت تدل على نبوغ فنى حقيقى نادر استحق عليه وسام جوقة الشرف سنة ١٩٢٨م من الحكومة الفرنسية، كما اتسعت شهرته ووصلت إلى مختلف أنحاء العالم.

وفى سنة ١٩٣٥ تزوج موريس وهو فى الثانية والخمسين من عمره من أرملة تدعى لوسي بوويلس كانت رسامة هاوية واستقر معها فى ضاحية من ضواحى باريس فأدارت مصالحه وأموره بكفاءة مصدرها الحب والعطف، فعاش أسعد أيام حياته ورسم لوحات لمناظر طبيعية مستخدماً ألواناً زاهية صاخبة، إلا أن لوحاته لم يكن لها نفس بريق القوة والحماس المعهود عنه، حتى تأخرت صحته فى أواخر حياته ما بين المرض الجسدى الذى كان يصيبه من حين لآخر نتيجة لخروجه للرسم فى الهواء الطلق وما بين المرض العقلى الذى تمكن منه فى أواخر أيامه، حتى مات فى الخامس من نوفمبر سنة ١٩٥٥م عن عمر يناهز الثانية والسبعين، ليحضر جنازته أكثر من خمسين ألف شخص من أصدقائه ومحبى فنه، حيث كان قد رسم عدداً كبيراً جداً من اللوحات الزيتية الرائعة يحتفظ المتحف

الوطـــنى للفن الحديث فى باريس بمجموعة كبيرة منها، كما توجد لوحات عديدة له فـــى معظـــم المتاحف وصالات العرض الكبرى فى كافة أنحاء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، فقد اعتبر موريس أوتريللو من أعظم فنانى عصره ومعجزة من معجزات الفن الحديث.

مـــن لوحاته: ميدان ترتر سنة ١٩١٠م، لوحة شارع فى ضاحية حوالي سنة ١٩١٠م (صورة رقم (٤٧)).

ماكس بيكمان (١٨٨٤ - ١٩٥٠م) Max Beckmann



٤٠

فنان ألمـــانى عانى أهوال الحرب والاضطهاد، فثار على كل القيم كارهاً الحياة ناقماً على العالم الحديث، فعبر فى لوحاته عن عذابات النفس وآلام الحـــياة وقســوتها، ليُعّد بحق شاهداً على العصر.. ولد ماكس بيكمان فى الثانى عشر من فبراير سنة ١٨٨٤م بمدينة لايبزيخ الألمانية كابن ثالث لـــتاجر طحيـــن، فنشـــأ فى أسرة متوسطة الحال، ومات أبوه وهو فى العاشرة من عمـــره فعانت الأسرة بعض التقلبات، وقد اتجه بيكمان وهو فى السادسة عشرة من عمـــره لدراســـة الفـــن بأكاديمية وايمار علّه يجد فيه ما يخفف عنه صخب الحياة، وبـــالفعل وجـــد فى الفن متنفساً حقيقياً لكل ما يجيش فى نفسه ويدور فى خاطره، فعشق فن الرسم وسافر إلى باريس عام ١٩٠٣م، وهناك استأجر مرسما خاصا به وتعـــرف علـــى أعمال الفنانين الفرنسيين وعلى رأسهم سيزان، كما شاهد معرض الفنانيـــن الوحشيين وأعجب بلوحاتهم، حتى عاد إلى برلين سنة ١٩٠٤م وبدأ عمله الفـــنى بجـــد واجـــتهاد رغبة منه فى إثبات ذاته، وبالفعل رسم مجموعة جيدة من الأعمـــال الفنية اتجهت نحو الأسلوب الانطباعى الألمانى عرضها سنة ١٩٠٦م مع

مجموعـــة الفنانين المستقلين وهو نفس العام الذى تزوج فيه من زميلته فى أكاديمية الفنون، كما منحته الحكومة الألمانية فى نفس العام أيضاً منحة دراسية لتعلم أصول الفـــنون التشكيلية فى مدينة فلورنسا بإيطاليا، وبالفعل بدأ نجم بيكمان يبزغ والشهرة تعـــرف طريقها إليه فعاد إلى برلين وصور عدداً كبيراً من اللوحات الفنية الرائعة بواقعية واضحة جذبت الأنظار إليه كفنان موهوب.

وفجـــأة بـــدأت الحـــياة تتغير من حوله فاندلعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م لينضـــم بـــيكمان وهـــو فـــى الثلاثين من عمره إلى الهيئة الطبية للجيش الألمـــانى وخدم قرب الجبهة الغربية كمساعد طبيب، فرأى بعينه ما لم يكن يتخيله أو يخطـــر على باله من قبل، ما بين جنود صرعى وآخرين فقدوا أياديهم وأرجلهم وغيرهم فقئت أعينهم وتشوهت وجوههم، وغير ذلك من مآسى الحروب وأهوالها، فأصـــيب بانهـــيار عصـــبى حاد من جراء الرعب الذى عاش فيه والأهوال التى عاصـــرها والصدمة النفسية القاسية التى تعرض لها، فسقط صريع نوبات الهلوسة ســـجين القلـــق والاكتـــئاب، فتم تسريحه من الجيش فى سنة ١٩١٥م، فاستقر فى فـــرانكفورت ســـنة ١٩١٧م وأخذت أعماله الفنية منعطفاً خطيراً، فأطلق لانفعالاته العـــنان وخاطـــب بلوحاتـــه الجنس البشرى بطريقة رمزية شمولية مصوراً قسوة الإنســـان ووحشيته وجرائم القتل وآلام التعذيب والحرمان، وكله رغبة فى تسجيل هـــذا الكـــابوس المخـــيف المرعب بطريقته الخاصة محذراً من الاستمرار فى هذا الخـــراب الشـــنيع ومتســـائلاً عن مصير ألمانيا بعد كل هذا، وكان من أهم وأبرز أعمالـــه الفنية فى تلك الفترة لوحته الرائعة الليل سنة ١٩١٨-١٩١٩م (صورة رقم (٤٨)) والتى وصل فيها لذروة الإبداع وصور فيها بوضوح حالة ألمانيا بعد انتهاء الحرب مباشرة.

وقـــد نـــتج عـــن اطلاعه الواسع فى الآداب والفنون والفلسفة بالإضافة لتأمله الـــروحانى وبحـــثه الدءوب فى النفس الإنسانية أن صقلت موهبته وأصبح أسلوبه أكـــثر عمقاً، فاختير سنة ١٩٢٥م للتدريس بكلية الفنون فى فرانكفورت، كما حصل على عدد من الجوائز المهمة كان أهمها جائزة الإمبراطورية الفخرية للفن الألمانى سنة ١٩٢٧م، والميدالية الذهبية من مدينة دسلدورف فى نفس السنة، إلا أن كل هذا النجاح انهار مع الحكم النازى لألمانيا، فقد تعرض ماكس بيكمان لأشرس اضطهاد فكـــرى، حيـــث تـــم طرده من وظيفته التعليمية فى سنة ١٩٣٣م، كما تم فى سنة ١٩٣٧م مصـــادرة أكـــثر مـــن خمسمائة عمل فنى من أعماله الفنية من المتاحف الألمانـــية، فهرب إلى أمستردام بهولندا، حيث عاش حياة فقيرة جداً فى منفاه الذى

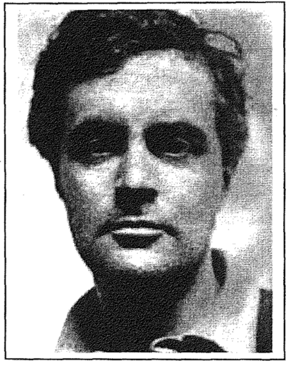
اخـــتاره مكـــرهاً، فخرجـــت لوحاته قوية حادة مصبوغة بصبغة من الكآبة الشديدة ومليئة بالاستعارات المعقدة للآلام والمحن البشرية ومأساة الحياة الإنسانية، وكانت لوحـــته جحيم الطيور التى رسمها سنة ١٩٣٨م أصدق تعبير عن معاناته النفسية، والـــتى ربما أراد أن يصور فيها نفسه وقد وقع فريسة للقادة النازيين الذين يقطعون جسمه بسكين حاد وهو لا يزال حيا يتألم ويتأوه ولا مجيب أو مغيث.

لـــتمر على بيكمان سنوات المنفى فى مرارة واضحة وحزن سيطر على نفسه المعذبة، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية اختار العزلة والانطواء، وتجددت داخله الرؤى المخيفة وأصبحت نظرته للحياة على أنها سلسلة من النكبات والكوارث التى لا تنـــتهى، فهاجـــر فـــى ســـنة ١٩٤٧م بعـــد انتهاء الحرب إلى الولايات المتحدة الأمريكـــية قابلاً عرضاً للتعليم الفنى فى جامعة واشنطن فى سانت لويس.. ورغم أنـــه كـــان يعانى تدهوراً تدريجياً فى صحته إلا أنه كان لا يزال مثابراً على عمله الجـــاد فى مرسمه سالكاً نفس المسلك الذى اختاره فى التعبير عن المعاناة البشرية والمأســـاة الإنسانية، حتى سقط ميتاً فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٥٠م، أثر سكتة قلبية فاجأته وهو يسير فى أحد شوارع مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكـــية، ليســـقط ميتاً غريباً عن وطنه وهو فى الخامسة والستين، بعد أن أثر تأثـــيراً عمـــيقاً على عدد كبير من فنانى عصره، ليعد بحق من أهم وأشهر الفنانين التعبيريين فى تاريخ ألمانيا بل وفى العالم أجمع فى العصر الحديث، والذى استطاع بعبقريته وبتعبيريته الصادقة النابعة من القلب والعقل أن يربط بين الفن والتاريخ.

مـــن لوحاته الشهيرة: لوحة مشهد الموت العظيم سنة ١٩٠٦م، لوحة محادثة سنة ١٩٠٨م، الشارع سنة ١٩١٤م، صورة ذاتية بوشاح أحمر سنة ١٩١٧م، الابن المســـرف سنة ١٩١٨م، الجسر الحديدي سنة ١٩٢٢م، الرقص في بادن بادن سنة ١٩٢٣م.

أميديو موديليانى (١٨٨٤ - ١٩٢٠م) Amedeo Modigliani

٤١



لم تكن معاناة موديليانى مع المرض فقط وإنما أيضاً مع نفسه الحائرة الضالة التى أمضاها فى العربدة والمجون فمات فى ريعان شبابه دون أن يحصد ثمار كفاحه أو يحقق شيئاً يذكر من آماله وأحلامه، وقد كان موديليانى الابن الرابع لأسرة يهودية استقرت فى مدينة ليفورنو بمنطقة تسكانيا شمال غرب إيطاليا، والتى كانت بمثابة مأوى للهاربين من الاضطهاد الدينى فى ذلك الوقت، وكان أبوه تاجراً كسدت تجارته فغرق فى الدين حتى أفلس، فعاشت العائلة فى فقر مدقع وكادت تقع فى خراب مريع بحجز الدائنين على كل ما يملكون من أثاث ومتاع، لولا ولادة أميديو موديليانى فى ذلك الحين فتأجل ذلك الأمر طبقاً للقانون الذى كان يمنع الحجز على الأسرة التى بها امرأة حبلى أو راعية لطفل حديث الولادة، حتى بدأت الحال تتصلح تدريجياً فعمل الأب فى تجارة الفحم والخشب وبمساعدة عائلة الأم عبرت الأسرة هذه الأزمة.

والحقيقة أن الأم يوجينيا جارسين كانت تتفوق على زوجها فلامنيو موديليانى بشخصيتها القوية الصلبة وعقلها الواعى المدبر مما خلق جواً من التوتر فى سماء تلك الأسرة، ولولا حرص الأم ومساعدة أسرتها المتيسرة الحال ما تعلم الأبناء.

وكـان أميديو منذ ولادته قريباً جداً من أمه التى كانت تحبه وتدللـه فأطلقت علـيه لقب ديدو، ونظراً لاعتلال صحته فإنه لم يتلق تعليما تقليديا كأقرانه فى نفس سـنه وإنمـا علمته أمه فى البيت، حيث إنه قد أصيب بداء الرئة وهو فى الحادية عشـرة مـن عمـره، وعندما بلغ الرابعة عشرة أصيب بحمى التيفود، وفى أثناء مرضـه هـذا كان يهذى بأمله فى رؤية الأعمال التصويرية لسادة عصر النهضة بفلورنسا وأن مرضه قد لا يمكنه من تحقيق هذه الأمنية التى طالما حلم بها، وكان الـيأس من الشفاء قد سيطر عليه، فوعدته أمه بأن تأخذه بنفسها إلى فلورنسا عندما يـبرأ مـن مرضه ويستعيد قواه.. وبالفعل برت الأم بوعدها ولم تكتف بذلك وإنما ألحقته أيضاً بمدرسة الفنون لدى الفنان جوجليلمو ميتشيلى فى ليفورنو سنة ١٨٩٨م، حيـث قضى عنده سنتين تعلم خلالهما أساليب فن القرن التاسع عشر الإيطالى، إلا أنه ترك دراسته بعدما عاوده مرض داء الرئة مرة أخرى وهو فى السادسة عشرة من عمره، وسرعان ما أصيب بالسل الذى كاد أن يقضى عليه، وعندما بدأ يستعيد شـيئا مـن صـحته أخذته أمه فى جولة حول جنوب إيطاليا شملت روما ونابولى وكابـرى لـزيارة المـتاحف الفنية هناك، فكان للأم دور كبير فى اكتشاف موهبة أميديو وتشجيعه لتطويرها، وعند عودته إلى فلورنسا التحق فى مايو سنة ١٩٠٢م بمدرسـة مجانـية لتعلم فن رسم الجسد العارى على يد الفنان جيوفانى فاتورى، ثم انـتقل فـى مارس من العام التالى إلى فينيسيا وكان لا يزال يعانى مرض السل، والتحق بمدرسة مشابهة هناك، وبدلاً من تفرغه لدراسته انجذب لحياة الليل الفاسدة فتردد على بيوت الساقطات وأمعن فى شرب المسكرات وأفرط فى تدخين الحشيش وتعـاطى أنواعاً مختلفة من المخدرات، واستمرت به الحال على هذا المنوال حتى قـرر الذهـاب إلى باريس مركز الإشعاع الفنى بحثاً عن المال والشهرة، وعرض الأمر على أمه التى أيدته وأعطته بعض المال لمساعدته فى رحلته، فوصل باريس فـى شتاء سنة ١٩٠٦م وسكن فى منطقة مونمارتر حيث الفنانين المفلسين، إذ كان قـد فقـد كل ما يملكه خلال أسابيع قليلة، ومع ذلك اجتهد ليظهر نفسه بمظهر جيد مـتأنق فكان يرتدى معطفاً كودياً أسمر ومعه وشاح قرمزى لامع حول رقبته بينما يغطـى رأسه بقبعة سوداء كبيرة، وكان لديه رغبة جامحة للنجاح، فعمل فى دأب ونشـاط لدرجـة أنه كان يرسم قرابة مائة رسم تخطيطى فى اليوم الواحد، إلا أن

إفـراطه فى شرب الخمر وتعاطيه للمخدرات ووقوعه فريسة لسحر النساء اللاتى كـان يجذبهـن بوسامته عجلت بنهايته وانهياره، وشيئاً فشيئاً بدأت تصرفاته تتسم بالغـرابة والجنون فكان فى الحفلات عندما يثمل يخلع ملابسه بالكامل حتى يتعرى تمامـاً أمام الجميع، وأحياناً عندما يحل الليل يرقص على ضوء القمر فى شوارع باريس مع فتاة ليل بينما تتعالى ضحكاتهما.

وكثـيراً مـا تم حبسه نتيجة لسكره البين فساءت سمعته وتبدلت حاله من سئ إلـى أسـوأ، وانعكـس ذلـك على مرسمه الذى أهمله تماماً وأصبح فى حالة من الفوضـى الشـنيعة، فحطم كل الآثار الجمالية فيه كما مزق كل رسوماته ولوحاته الـتى رسمها فى بداية مشواره الفنى، مما أثار عجب أصدقائه وجيرانه، فقد كانت تسـيطر عليه ميول تدميرية لذاته وإهدار لمواهبه الفنية بقدر إهداره لماله وصحته، ربمـا لشعوره بقرب موته بسبب مرضه بالسل، فكان يبيع رسوماته فى الطرقات لمـن يدفـع له أى مبلغ ولـو ضئيل، كما كان يتنقل من مسكن إلى آخر هرباً من الدائنيـن وأصـحاب الملـك الغاضبين، وأحياناً عندما لا يجد مأوى أو ملجأ يضع أغراضـه وحاجاتـه فى عربة يدفعها أمامه خلال الشوارع هائماً على وجهه فى الطرقات مما عرضه لكثير من المشاكل والصعاب دون أى اهتمام أو اعتناء بنفسه التى وهنت وضعفت وصحته التى ساءت وذبلت، فقرر العودة إلى إيطاليا ليستريح ويـتعافى ويستعيد جزءاً من قوته ونشاطه، فقضى فترة الصيف مع أمه التى كانت تعطـف عليه، فلقى منها حسن الرعاية كما أعطته مبلغا من المال فعاد إلى باريس وتعـرف علـى النحات قسطنطين برانكوزى الذى نصحه بدراسة النحت، وبالفعل اتجه موديليانى للنحت على أمل أن يتميز ويجد نفسه فيه، وبالتالى سيطرت أعمال النحـت على إنتاجه الفنى، ونتيجة لفقره الشديد لم يكن يستطيع أن يشترى أحجاراً لنحـتها فاتجه لسرقتها من أماكن البناء المختلفة، خاصة وأن البناء فى باريس كان مزدهـراً فى ذلك الوقت، حتى ترك النحت سنة ١٩١٤م وتفرغ للرسم وذلك نتيجة لصعوبة حصوله على الأحجار بعد توقف البناء فى باريس على أثر اندلاع الحرب العالمـية الأولـى، بالإضـافة لسوء حالته الصحية التى لم تكن تسعفه على تشكيل ونحـت كـتل الأحجار الصلبة، والغريب أن موديليانى حاول الانضمام للجيش مع بدايـة الحرب العالمية الأولى فى أغسطس سنة ١٩١٤م إلا أن طلبه قوبل بالرفض بسبب تردى حالته الصحية.

وفى خضم أزمات موديليانى الصحية والنفسية والمالية دخل فى علاقات حب مخـتلفة كـان أهمهـا علاقته بالشاعرة الروسية الشابة آنا أخماتوفا فى ربيع سنة

١٩١٠م والــتى دامــت علاقــتهما حتى أغسطس من العام التالى، وفى يونيو سنة ١٩١٤م تعرف على امرأة إنجليزية غريبة الأطوار تدعى بيتريس هايستينجز كانت شاعرة وناقدة فن وصحفية، والتى قابلها فى أحد مقاهى باريس وبعد تعارفهما طلب مــنها الذهــاب معه لرؤية أعماله الفنية، لتبدأ علاقتهما التى دامت لسنتين تقريباً، وكانت نموذجاً له فى عدد من لوحاته، حتى انتهت تلك العلاقة بمشاكــل وخلافات حادة، وقد وصفته فى كتاباتها بأنه شخص معقد يبدو أحياناً كخنزير وأحياناً كلؤلؤة، وأنه لم يكمل أى عمل جيد بعد تعاطيه الحشيش الذى كان مداوماً عليه.. أما أقوى علاقاتــه العاطفية فكانت من نصيب طالبة الفن الموهوبة جين هيبوترن التى كانت فــى التاسعة عشرة من عمرها عندما التقى بها موديليانى للمرة الأولى فى صيف ســنة ١٩١٧م فجذبــه إلــيها جمالها ولطفها وهدوؤها إلى جانب روحها الحساسة المتفائلة، وكانت هيبوترن من عائلة كاثوليكية محافظة لها أصول برجوازية، ورغم الاعتراض الشديد من عائلتها على هذه العلاقة الفاسدة، إلا أنها لم تستمع للناصحين وتركــت أســرتها لتعــيش مع موديليانى فى بيته تعانى شطحاته وتتحمل سقطاته وزلاتــه، فكانــت مشاهدهم فى شوارع باريس أشهر من لوحات موديليانى نفسه، فعندما يسكر ويفقد صوابه يتحول إلى شخص متوحش مجنون كارهاً الحياة، فأحياناً يجذبها بقوة من رسغ يدها الضعيف وأحياناً يجرها من ضفائرها الطويلة أو يدفعها بعــنف ليرتطم جسدها الرقيق بأسوار البنايات الضخمة بينما تتعالى صرخاتها فى الطرقات أو الأماكــن العامة دون أن يأبه بتوسلاتها له، وفى أحيان أخرى يظهران بمظهــر الأحــباء العاشقين فقد تتأبط يده وتسند رأسها على صدره أو يضمها بيده ليــتلاحم جسداهما أو يتبادلان القبلات الحارة فى ود وغرام، لتستمر علاقتهما على هذا المنوال الغريب.

وكــان موديليانى محترفاً فى رسم الصور الشخصية فرسم لوحات لشخصيات فنــية وأدبــية بباريس، كما رسم أصدقاءه وجيرانه، إلى جانب شخصيات مجهولة لموديــلات من الخدم وبنات الحى الذى يقطنه، وبتشجيع من أصدقائه وبتمويل من تاجر اللوحات ليوبولد زبوروفسكي أقام موديليانى معرضه الفنى الأول فى معرض بــيرث ويــل وذلك فى الثالث من ديسمبر سنة ١٩١٧م، والذى عرض فيه اثنتان وثلاثــون لوحــة وعدد من الرسومات، وكانت لوحاته تمثل نساء عاريات بألوان وهاجــة وخطــوط مثــيرة، فــأغلق رئيس شرطة باريس هذا المعرض بعد بضع ســاعات فقط من افتتاحه على اعتبار أن هذه اللوحات بذيئة ومخلة بالآداب، وذلك

دون أن يبـــيع أى لوحـــة عدا بعض الرسومات القليلة، مما زاد من حالة موديليانى سوءاً فكان واقعاً فى مشاكل مالية كبيرة كما كانت حالته الصحية سيئة للغاية.

ومـــع حصار القوات الألمانية لباريس سنة ١٩١٨م وتعرضها للقصف الجوى قـــرر تاجـــر اللوحات زبوروفسكي الانتقال إلى جنوب فرنسا وتكّفل أيضاً بتكاليف ســفر موديلـــيانى ورفيقـــته هيـــبوترن إلى مدينة نيس، فحاول بيع لوحاته للسياح الأغنياء إلا أنه لم يبع إلا بضع لوحات بفرنكات قليلة لا تفى بمتطلباته التى تفاقمت مـــع حمـــل هيبوترن فى فبراير سنة ١٩١٨م فازداد موديليانى حدة معها وتوترت علاقـــتهما مـــع رفضـــه لذلك الحمل فانفصلا عن بعضهما لفترة حتى اجتمعا مرة أخرى بعد ولادة طفلتهما جين فى التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩١٨م، فتبدل حالـــه إلى سعادة داخلية وضحت فى لوحاته التى رسمها فى تلك الفترة من وضوح الخـــط وصفاء اللون وزهائه، وذلك رغم الصعاب المالية الشديدة التى كان يعانيها حـــتى عـــاد إلـــى بـــاريس فى الحادى والثلاثين من مايو سنة ١٩١٩م بعد تحسن الأوضـــاع هـــناك، وقـــد نظم زبوروفسكي معرضاً ناجحاً للفن الفرنسى في لندن عرض به مجموعة لوحات لموديليانى، فبيعت إحدى لوحاته بسعر كبير جداً، وبدأ عـــدد مـــن الجـــامعون الإنجليز بشراء لوحاته، فحدث انتعاش فى حياة ذلك الفنان المكـــافح الذى استطاع نتيجة لتحسن أوضاعه أن ينتقل مع حبيبته لشقة مناسبة فى بـــاريس.. لكن القدر لم يمهله ليحصد ثمار كفاحه التى بدأت تنضج، أو حتى يفرح بـــنجاحه الـــذى بدا وشيكاً، فقد كشف مرض السل الذى عاناه منه طوال حياته عن أنـــيابه الشرسة فتدهورت صحته بسرعة كبيرة وساعد على انهياره العنيف إفراطه فـــى شـــرب الخمـــر الـــذى كان يزيد فيه يوماً بعد يوم، حتى امتد الألم إلى جسده بالكـــامل فخـــارت قواه ولازم السرير الذى أصبح لا يقوى على مفارقته، فتفرقت حوله قنانى الخمر الفارغة وعلب السردين الخاويـــة يتناثر منها الزيت على مفرش سريره القذر.

وعـــندما زاره أحد جيرانه وهو رسام يدعى أورتيز دي زارات فزعه المنظر البشـــع لموديلـــيانى وهو مستلقٍ على ظهره يشتكى مر الشكوى آلام بدنه والصداع العنـــيف الـــذى يكاد يدمر رأسه ويهذى بكلمات غير مفهومة، بينما تجلس عشيقته جيـــن هيبوترن الحبلى فى الشهر التاسع بجواره شاردة الذهن لا تحرك ساكناً دون أن تســـتدعى طبيـــباً، فقد اعتادت على مرضه ويئست من شفائه، فهب ذلك الجار واســـتدعى أحـــد الأطباء الذى أعلن أن الحالة ميئوس منها، فتم نقله إلى مستشفى بـــاريس حيث مات فوراً وهو لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره، وقد حضر

جـــنازته عدد هائل من فنانى باريس، أما هيبوترن فعادت إلى بيت أبويها وهى فى حالـــة يـــرثى لها لا تصدق ما حدث وقد ملأها اليأس والقنوط وضاع منها الأمل والـــرجاء وأنكـــرت على نفسها الحياة، فألقت بنفسها من نافذة شقة أسرتها بالطابق الخـــامس فـــى اليوم التالى لموت حبيبها موديليانى لتلحق به هى وجنينها الذى كان على وشك الميلاد.

ورغـــم أن كلاً من موديليانى وهيبوترن قد دفن فى مكان مختلف إلا أن أسرة هيـــبوترن الشاعرة بالمرارة على فقدانها نقلوا جسمانها سنة ١٩٣٠م إلى جوار قبر موديلـــيانى حتى تستريح روحها المعذبة، أما ابنته جين فتبنتها أخت موديليانى فى فلورنســـا وهى لا تزال فى شهرها الخامس عشر، حيث كتبت فيما بعد سيرة أبيها الذاتـــية بعنوان الرجل الأسطورة، فبعد موته ازدادت شهرته، فأُلفت عنه حتى الآن تســـع روايات ومسرحية إلى جانب عدد كبير من المقالات وبرنامج وثائقى وثلاثة أفـــلام ســـينمائية طويلة، كما ارتفعت قيمة لوحاته التى وصلت لمبالغ خيالية وهو الـــذى عـــانى الفقر والإملاق فى حياته لدرجة أنه كان يستبدل بلوحاته وجبة طعام بسيطة فى مطعم متواضع.

من لوحاته: أنثى عارية سنة ١٩١٦م، صورة ذاتية للفنان حاييم سوتين يجلس إلـــى منضدة سنة ١٩١٦م، امرأة من الجزائر سنة ١٩١٧م، الخادمة سنة ١٩١٨م، صورة ذاتية لجين هيبوترن تضع ذراعها الأيسر خلف رأسها سنة ١٩١٩م (صورة رقم (٤٩))، فتاة ترتدى بلوزة من قماش منقط سنة ١٩١٩م.

جولز باسين (١٨٨٥ - ١٩٣٠م) Jules Pascin





هو فــنان ضـــاع منه الرضا وفقد القناعة فتاهت خطاه وهانت عليه الحياة، اسمه الأصلى جوليوس موردخاي بنكاس، ولد فى الحادى والثلاثين من مــارس ســنة ١٨٨٥م فــى بلدة فيدن ببلغاريا لأب يهودى إسبانى وأم إيطالـــية، وكان ترتيبه الثامن بين إخوته الأحد عشر، وقد قضى جزءاً من طفولته ببوخارســت ثــم بفيــنا، حتى قرر سنة ١٩٠٢م دراسة فن الرسم، فدرس بفينا ثم الـــتحق بمدرسة للفنون بميونخ سنة ١٩٠٣م مكتسباً معيشته ببيع صوره ورسوماته إلـــى بعض المجلات الهجائية، فحقق بعض النجاح والشهرة، فاستبدل بلقب عائلته اســـماً مستعاراً هو باسين وذلك سنة ١٩٠٥م ووقع به بالفعل على لوحاته منذ ذلك الحين، ثم انتقل إلى باريس فى ديسمبر من نفس العام حيث انخرط فى دائرة الفنون هـــناك وكون صداقات قوية مع عدد من الفنانين والموسيقيين والأدباء، وعاش حياة بوهيمـــية متحررة، حتى قابل سنة ١٩٠٧م طالبة فن شابة تدعى هيرمن ديفيد فملأ الحـــب قلبهما وتعانقت روحهما فعاشا سوياً لا يفترقان، وبدأ النجاح يعرف طريقه إلـــيه فواصل إنتاج رسوماته الهجائية كما أقام معرضه الأول ببرلين سنة ١٩٠٧م،

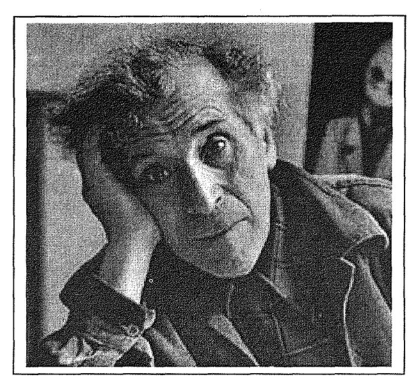
ثم توالى عرض أعماله فى بعض المعارض المتفرقة الأخرى، ومع اندلاع الحرب العالمـية الأولى وهرباً من التجنيد سافر باسين فى صيف ١٩١٤م إلى لندن ومنها إلـى نـيويورك بأمـريكا فى الثالث من أكتوبر من نفس العام تاركاً خلفه عشيقته هيرمـن ديفيد بباريس التى لم تقو على فراقه فأبحرت هى الأخرى إلى أمريكا فى الحـادى والثلاثين من أكتوبر من نفس العام لتلحق به، فعاشا سوياً بأمريكا من سنة ١٩١٤ وحتى سنة ١٩٢٠م، حيث تزوجا هناك سنة ١٩١٨م.

وكانـت فـترة إقامـة باسـين بأمريكا مثمرة إلى حد كبير، فصور عدداً من اللوحـات المهمـة والرسومات الجميلة خاصة للجنوب الأمريكى الذى سافر خلاله على نطاق واسع، فنالت أعماله الفنية حسن التقدير ووافر الإعجاب وهو ما ساعده علـى منحه الجنسية الأمريكية فى العشرين من سبتمبر سنة ١٩٢٠م، فعاد لباريس فـى أكـتوبر من نفس السنة، وازداد تقدماً واحتلت النساء جانباً كبيراً من لوحاته الفنية خاصة العاهرات فى مناظر مختلفة، فصورهن عاريات فى كثير من اللوحات بيـنما صورهن فى انتظار زبائنهن فى لوحات أخرى، فوجد سوقاً رائجة للوحاته سـواء مـن المعـارض الفنـية أو المجلات، كما زار العديد من البلدان الأخرى كالجزائـر وتونـس وإيطالـيا وإسبانيا والبرتغال، وأقام المعارض وباع اللوحات فكسب المال الذى انهمر عليه.. إلا أن حياة الفسق والمجون التى عاشها كانت تأتى على كل دخله كما تأتى النار على الهشيم، فقد أدمن الخمر وأفرط فيه بشدة لدرجة أنـه كثيراً ما شوهد فى الحفلات يحمل بكلتا يديه بقدر ما يستطيع أن يحمل قنانى النبـيذ ويـنزوى عن الجميع يتجرعها، كما ساءت حالته النفسية مع مرور الوقت خاصة بعد وقوعه فى علاقة آثمة مع السيدة لوسى زوجة الرسام النرويجى كروهج التى غدت عشيقته وهى التى سبق وتعرف عليها عند عودته لباريس سنة ١٩٢٠م، ومع عدم استقرار تلك العلاقة المشينة صاحبته الآلام والأحزان وعذاب النفس، مع ضـياع ثقـته بنفسـه وعدم رضاه عن ذاته أو اقتناعه بأعماله، فكانت الهواجس تطـارده والأوهام تلاحقه والحزن يلازمه والكآبة ترافقه فازدادت حالته سوءاً على سـوء، حـتى ضاق بروحه فى النهاية وكره الحياة فآثر إنهاءها رغم النجاح الذى كـان يحـيط بـه، فذهب لمرسمه فى الخامس من يونيو سنة ١٩٣٠م وذلك عشية افتـتاح معرضه الفنى الذى أقيم على مستوى عال رفيع، وبشفرة حادة قطع شريان رسـغ يـده ثم شنق نفسه بعد أن كتب على الجدار بدمه السائل: مع السلامة لحبه المفقـود قاصداً السيدة لوسى، ليموت بذلك منتحراً وهو فى الخامسة والأربعين من عمـره.. وقد أغلقت جميع المعارض الفنية بباريس فى يوم جنازته التى كانت فى

السابع من نفس الشهر، بينما سار خلف تابوته بملابس الحداد السوداء لمسافة ثلاثة أميـال تقريبـاً المئات من أصدقائه من الجالية الفنية معاً مع عمال البارات ونوادل المطـاعم الذيـن ربطتهم علاقات وثيقة مع باسين لتردده المستمر عليهم، حتى تم إيداعـه القبر وانصرف عنه الجميع كل إلى شأنه، فتبين أنه قد أوصى فى وصيته بممـتلكاته وعقـاره مناصـفة بين عشيقته وزوجته ليثير ذلك الأمر أخاه جوزيف بنكاس الذى أُبعد عن الميراث، فتوالت المشاحنات بينهم حتى انتهى الأمر فيما بعد بالتراضى واشتراك الثلاثة فى ميراثه.

مـن لوحاتـه: امرأة مكتئبة سنة ١٩٠٩م، فتاة إنجليزية جميلة سنة ١٩١٦م (صورة رقم (٥٠))، شارع في كوبا سنة ١٩١٦م.

مارك شاجال (١٨٨٧ – ١٩٨٥م) **Marc Chagall**





كانت الصعاب والمعاناة هى الأصل فى حياته أما السعادة وفرح الحياة فكانت الاستثناء العابر، فقد ولد مارك شاجال فى السابع من يوليو سنة ١٨٨٧م لعائلة يهودية فقيرة فى مدينة فيتبسك الصغيرة التابعة للإمبراطورية الروسية بالقرب من الحدود البولندية، فكان أكبر إخوته التسعة، وكان أبوه يعمل فى محل لبيع سمك الرنجة، أما أمه فكانت تساعد زوجها فى تحمل الأعباء الثقيلة لأسرتهما الكبيرة، فعملت أيضاً فى دكان لبيع السمك والطحين والسكر والتوابل، وألحقا الطفل بالمدرسة الدينية الابتدائية، ثم بعد ذلك بالمدرسة العامة فى خريف سنة ١٩٠٠م والتى لم يكن للفقراء نصيب فى الالتحاق بها، إلا أن أمه قد رشت مدير المدرسة فوافق على قبوله، فتعلم فى تلك المدرسة مبادئ الرسم الأولى وشعر بانجذاب نحو هذا الفن الذى حمله إلى عالم الخيال والسحر والإبداع، فالتحق بمرسم أحد الرسامين المحليين بتشجيع كبير من أمه رغم رفض أبيه، ثم رحل فى سنة ١٩٠٧م إلى سانت بطرسبورج عاصمة روسيا القيصرية للعمل ودراسة فن الرسم، حيث حصل على منحة دراسية للتعلم فى كلية

الفـــنون هناك على يد أستاذ الرسم ليون بكست الذى تعلم منه الكثير والكثير، وكان قـــد تعـــرف فـــى ســـنة ١٩٠٩م علـــى فـــتاة تدعى بيلا روزنفيلد ابنة أحد تجار المجوهـــرات من سكان مدينة فيتبسك فتعلق قلبه بها إلا أنه رحل إلى باريس سنة ١٩١٠م وكلـــه أمل فى تحقيق النجاح وتعلم أساليب الفن الحديث، ورغم أنه لم يكن يملك إلا مبلغاً ضئيلاً جداً من المال إلا أن ثروته الحقيقية كانت تكمن فى إصراره وعزيمته، فقد وجد عند وصوله لباريس بعض الصعاب جعلته يفكر فى العودة إلى بـــلاده، وحتى هذا القرار لم يكن تنفيذه بالأمر السهل الميسور فلم يكن يملك المال للعودة إذ كان يعانى شدة الفقر والعوز، وظهر ذلك جلياً فى لوحاته التى رسمها فى تلـــك الفترة على أقمشة قديمة كان قد سبق ورسم عليها فى السابق لأنه لا يستطيع أن يشـــترى حتى الطعام ليأكله وليس الأقمشة ليرسم عليها، وللتعبير عن مدى فقره كـــان كثيراً ما يردد بأنه لا يملك المال الذى يمكنه من شراء شريحة من حبة خيار وليس حبة خيار كاملة، وأنه إن استطاع أن يشترى سمكة فإنه يأكل رأسها فى يوم وذيلها فى اليوم التالى.

وكـــان شـــاجال قـــد تلقـــى مـــنحة من أحد المحامين الروس الذى كان من الشخصيات العامة الشهيرة، لرعايته فترة إقامته بباريس، فكان يتقاضى شهرياً مائة وخمســـة وعشرين فرنك حتى يستطيع مواصلة دراسته فداوم على زيارة المتاحف ومعـــارض اللوحـــات الفنية وتعرف على أعمال أساتذة التصوير القدامى وأعمال الرســـامين المحدثين، كما كون صداقات وثيقة بينه وبين كثير من الأدباء والفنانين فرســـم لوحات رائعة أهمها أنا والقرية سنة ١٩١١م (صورة رقم (٥١))، وعازف الكمـــان ســـنة ١٩١٢م، وباريس من النافذة سنة ١٩١٣م، حتى سنحت له الفرصة الذهبـــية لإقامة معرض خاص بلوحاته فى برلين سنة ١٩١٤م وكان ذلك المعرض هو أمله الكبير فى النفاذ إلى عالم الشهرة والمال.

ورغـــم انخـــراطه فـــى حياة باريس الصاخبة والسعى الدءوب لتحقيق آماله وأحلامـــه إلا أن حنينه لوطنه كان جارفاً فكانت رغبته فى زيارة بلاده تشغل جانباً كبـــيراً من تفكيره، فاستغل فرصة زواج شقيقته وعاد إلى موطنه فى الثالث عشر مـــن يونـــيو ســـنة ١٩١٤م، إلا أنه نتيجة لاندلاع الحرب العالمية الأولى فى ذلك الوقـــت فقـــد أغلقت الحدود الروسية بعد وصوله، كما لم يتمكن من استلام حصيلة بـــيع لوحاتـــه فـــى معرض برلين.. وفى أثناء إقامته بمدينته عاود الاتصال ببيلا روزنفـــيلد وهى التى أحبها وشغلت قلبه وعقله، وبالفعل تزوجها سنة ١٩١٥م رغم معارضـــة أسرتها الغنية على هذا الزواج غير المتكافئ، فقد كان شاجال فى نظر

والديهـا فقـيراً قلـيل الحيلة، إلا أن الفتاة أصرت على الزواج منه رغم ظروفه الصـعبة وحـياته الرقيقة، ورسم بعد زواجه منها لوحته الخلابة عيد ميلاد والتى كانـت تحمل قلقه وخشيته على زوجته من المستقبل ومن الحزن والعذاب الذى قد يلحـق بهـا بعد وفاته، فكان كل التوتر والقلق الذى يعانيه حصيلة حياته الخاصة الشـاقة ليصـبح هـذا الـزواج من أنجح وأسعد الزيجات بين الفنانين المحدثين، فسرعان ما أنجبت له زوجته ابنته إدا سنة ١٩١٦م، إلا أن الواقع السياسى فى ذلك الوقـت أرعـب شاجال الذى كان يخشى من ضمه إلى الخدمة العسكرية وتعرضه للقـتل على جبهة الحرب، فخدم فى مكتب الصناعة المركزية العسكرية الذى كان يرأسـه أخـو زوجته وبالتالى بقى شاجال فى سانت بطرسبورج بعيداً عن وطيس المعركة حتى نشبت الثورة الفرنسية فى أكتوبر سنة ١٩١٧م التى قضت على حكم القيصر، وكان شاجال متحمساً لها فتم تعيينه مفوضاً للفن فى منطقة فيتبسك، فنظم علـى مـدار سنتين ونصف السنة تقريباً العديد من المعارض الفنية وأعاد تدريس الفنون فى أكاديمية فيتبسك للفنون.. حتى دخل فى دوامة النزاعات الفنية والسياسية الـتى عاناهـا بشـدة ولم يستطع مجاراتها فاستسلم لها واستقال من عمله مغادراً فيتبسك إلى موسكو فى مايو سنة ١٩٢٠م، ليعيش مع أسرته فى فقر شديد اضطره للعمـل فـى تصميم ديكورات المسارح لإعالة أسرته، كما عمل مدرساً للرسم فى المدرسة الداخلية لأيتام الحرب، ولما ضاقت به أسباب الرزق ورأى أحلامه تتبخر أمام عينيه فلا مال ولا نجاح قرر التوجه إلى برلين مصطحباً أسرته، وكان قد علم أن لوحـات معرضـه السابق قد بيعت ووضع صاحب صالة المعرض المال فى حسـاب خاص باسم شاجال، فسعد بذلك وذهب لاستلامه إلا أن التغير الاقتصادى الكبـير الـذى حدث فى العالم فى ذلك الوقت جعل قيمة هذا المال لا تساوى شيئاً، فضاع منه هذا الأمل الأخير، واصطحب أسرته إلى باريس فى سبتمبر سنة ١٩٢٣م وكافح من جديد، فأخذ يعيد رسم لوحاته السابقة معتمداً على الذاكرة، كما قام برسم رسـومات توضـيحية وزخرفـية لبعض الكتب مثل كتاب الأرواح الميتة للمؤلف نـيكولاى جوجـول وكتاب لافونتين، كما أقام معرضاً له فى باريس سنة ١٩٢٤م حقق له بعض النجاح، كما عرض لوحاته لأول مرة فى نيويورك سنة ١٩٢٦م فى معـرض خـاص نظمـه صديقه الناشر فولار وهو الذى طلب منه وضع رسوم للـتوراة، وشيئاً فشيئاً بدأ شاجال يجنى النجاح ويحصد الشهرة، فرسم لوحته المهمة الـثورة الـتى رسـمها متأثراً بالأحوال السياسية المضطربة محاولاً تصوير القلق السياسـى وهموم الناس، حتى حصل على الجنسية الفرنسية عام ١٩٣٧م وعرض

لوحاتـــه فـــى معـــرض الفـــنون الحديثة بألمانيا، إلا أن النازيين صادروا لوحاته باعتبارها فناً منحطاً.

وعـــندما اندلعت الحرب العالمية الثانية أصيب شاجال بالفزع والهلع فروسيا أعلنـــت الحرب على ألمانيا وهو يهودى روسى الأصل، وإذا احتلت جيوش ألمانيا بـــاريس فسيلقون القبض عليه وعلى أسرته ليواجه الموت فى معسكرات الأسرى، فـــبقى فـــى منزله بباريس لا يغادره حتى هرب فى ربيع عام ١٩٤٠م إلى منطقة الـــريف بمقاطعـــة بروفنس، وسيطرت الألوان الحزينة على لوحته الشموع الثلاثة الـــتى أكملها فى تلك المقاطعة إلا أن الخطر النازى الذى كان يلاحقه أصبح قريباً منه بعد أن وصلت الحكومة الفرنسية إلى اتفاق مع النازيين، وبالتالى لم تعد فرنسا آمـــنة له بسبب كرهه للنازية وعدائه لها، حتى قبضت عليه القوات المحلية وكانت علـــى وشك تسليمه للألمان لولا تدخل الولايات المتحدة حيث اختبأ فى بيت صحفى أمـــريكى ساعده للهرب إلى الولايات المتحدة، فسافر فى عام ١٩٤١م إلى مرسيليا ومـــن هناك ركب البحر مع أفراد أسرته متوجهاً إلى نيويورك حيث كان قد استلم دعـــوة من متحف الفن الحديث هناك، وقد وصل إلى نيويورك فى نفس اليوم الذى بـــدأت فـــيه ألمانيا الهجوم على الاتحاد السوفيتى، وكانت أخبار الحرب الدائرة فى أوروبـــا فـــى ذلك الوقت قد أصابته بالهلع والاضطراب فتأثرت لوحاته تبعاً لذلك، وقد ماتت زوجته سنة ١٩٤٤م أثر عدوى فيروسية فأصيب بأزمة نفسية حادة امتنع على أثرها عن الرسم لتسعة أشهر تقريباً يعانى آلام الوحدة وعذاب الفراق يسترجع ذكـــرياته مـــع رفـــيقة رحلـــة كفاحـــه، حتى عاود العمل مرة أخرى فى يأس من المستقبل.

وقـــد انهزمـــت ألمانيا ووضعت الحرب أوزارها، فعاد شاجال إلى فرنسا فى صيف سنة ١٩٤٨م يرسم لوحاته بأسلوب فنى خاص به، وإن كان قد بدأ يميل إلى الانعـــزال الـــتدريجى عن المجتمع المحيط به، فأقام أولاً فى ضاحية من ضواحى بـــاريس ثم استقر بعد ذلك على شاطئ الريفيرا الفرنسى حيث تزوج سنة ١٩٥٢م مـــن امـــرأة روسية تدعى جولى فالنتين برودسكي والتى أطلق عليها اسم (فافا)، وأخذت أعماله الفنية تجذب اهتمام النقاد ومحبى الفن، وبلغت شهرته كافة الأوساط الفنـــية والثقافـــية، فرســـم العيد من اللوحات المهمة كما عرض لوحاته فى كبرى عواصـــم ومـــدن العـــالم الحديث، وأخذ يجنى ثمار كفاحه الطويل فتحولت حياته القاسية الصعبة المريرة إلى ذكريات فى ظل سعادة الواقع الجديد.

ورغــم العمر الطويل الذى عاشه شاجال والنجاح الفنى العالمى الذى حققه إلا أن طــيف التعاســة والحــزن كان يراوده من حين لآخر، فقد كان يشعر بأن شيئاً واحــداً ينقصـــه وحــرم منه وهو التكريم من بلاده فى حياته.. حتى توفى مارك شــاجال فــى الثامــن والعشرين من مارس سنة ١٩٨٥م بفرنسا وهو فى السابعة والتســعين من عمره.. وقد استلم العديد من الجوائز ونال التقدير العالمى، كما كان من الفنانين القلائل الذين عرضت أعمالهم بمتحف اللوفر فى حياتهم، كما عرضت أعماله فى معظم المتاحف العالمية الكبرى.

مــن لوحاتـــه الشهيرة: لوحة الولادة سنة ١٩١٠م، عروس مع مروحة سنة ١٩١١م، آدم وحواء سنة ١٩١٢م، تاجر الماشية سنة ١٩١٢م، العربة الطائرة سنة ١٩١٣م، عــيد المــيلاد ســنة ١٩١٥م، البيت الأزرق سنة ١٩١٧م، الزفاف سنة ١٩١٨م، الإقحوان سنة ١٩٢٦م.

إجون شيل (١٨٩٠ - ١٩١٨م) Egon Schiele





رغم أن مشواره الفنى لم يطل لأكثر من عشر سنوات تقريباً، إلا أنه استطاع أن يحقق فى ذلك الزمن الوجيز ما لم يستطع الكثيرون تحقيقه، فقد صور عدداً كبيراً من اللوحات الفنية الرائعة، وحصد فى حياته قدراً لا بأس به من النجاح والشهرة التى زادت إلى حد كبير بعد وفاته، فكانت لوحاته مرآة لشخصيته المعقدة، فكان أسير الآلام وسجين عقده النفسية ومعاناته الشخصية.. فهو فنان تعبيرى نمساوى.. ولد فى الثانى عشر من يونيو سنة ١٨٩٠م بمدينة تولن القريبة من العاصمة فينا لأب يعمل مديراً لمحطة تولن للسكة الحديد، وكان ترتيبه الثالث بعد شقيقتين هما إلفيرا التي ماتت وهى لا تزال فى العاشرة، وميلانى، أما أخته الأصغر فكانت تدعى جيرتي وكانت الأقرب إليه.

ولما لم تكن هناك مدرسة مناسبة ليتعلم بها الطفل فقد أرسله أبوه سنة ١٩٠١م إلى إحدى المدن على أطراف فينا الشمالية للدراسة، ثم لحقت به العائلة سنة ١٩٠٤م بعد أن عانى الأب مرض الزهرى الذى اشتدت عليه مضاعفاته بقسوة لدرجة أنه وصل إلى الجنون ليموت بعد سنة من المعاناة الشديدة وهو فى الرابعة والخمسين من عمره، بينما كان إجون لا يزال فى الخامسة عشرة من عمره، فكان

مـــوت أبيه الذى كان يحبه بقوه من أصعب المواقف الحياتية التى مر بها، وبموته زادت الفجـــوة بيـــنه وبين أمه حيث كان على عدم وفاق معها، وأدى عدم مبالاتها بموت أبيه إلى كرهه الشديد لها ونقمه عليها، فانتقل ليعيش ببيت خاله، والحقيقة أن علاقته بعائلته كانت مضطربة مشوهة، حتى أخته الصغرى التى كانت الأقرب إليه دارت الشـــبهات عن نشوب علاقة محرمة آثمة بينهما وهما فى سن المراهقة، وقد زادت الشكوك حولهما بعد أن رافقها وهو فى السادسة عشرة من عمره بينما كانت هى لا تزال فى الثانية عشرة فى رحلة بالقطار إلى إحدى المدن البعيدة وقضا الليلة معـــاً فى غرفة واحدة بأحد الفنادق، وكان الأب قد استشعر قبل وفاته شيئا من هذه العلاقـــة، فكان دائماً يراقبهما، وفى إحدى المرات حطم باب إحدى حجرات البيت ليرى ماذا يفعلان سوياً بعد أن أغلقا على أنفسهما باب الغرفة.

وكـــان شيل فى تلك الفترة من عمره مهملاً لدراسته متأخراً عن أقرانه ميالاً لفـــن الرســـم والتصوير، مسيطراً عليه رغبة جامحة فى إكمال دراسته الفنية رغم معارضـــة خالـــه بشدة والذى كان يرجو له إكمال تعليمه والبعد عن ذلك المستقبل الغامض، إلا أن شيل لم يخضع أو يستمع لتوجيهات خاله أو نصحه وترك له البيت سنة ١٩٠٦م منصرفاً إلى فينا والتحق بأكاديمية الفنون الجميلة هناك، فوجد اهتماماً كبيراً من الفنان الشهير جوستاف كلمت، الذى عُرِف عنه تشجيعه للمواهب الشابة، فشـــجعه كثـــيراً لدرجة أنه اشترى بعض رسوماته واستبدل بالبعض الآخر لوحات مـــن أعمالـــه، كما قدمه لعدد من رعاة الفن وتجار اللوحات، وهو ما ساعده على انتشار اسمه وذياع صيته إلى حد ما، فأقام أول معارضه الفنية سنة ١٩٠٨م إلا أن خلافاته الحادة والعنيفة بينه وبين أساتذته حول ما يتلقاه بالأكاديمية من قواعد قديمة عتـــيقة بالـــية عجلـــت بتركه للأكاديمية سنة ١٩٠٩م بعد إكمال عامه الثالث بها، فاســـتقل بذاته وافتتح مرسماً خاصاً به، وبدأ يجذب الفتيات الشابات المراهقات إلى مرســـمه ليرســـمهن فى أوضاع مختلفة، وكان يتعامل معهن كأنهن دمية بين يديه يصنع بهن ما يحلو له، فقد يمشط شعورهن أو يمددهن على أريكته أو سريـــره أو يخلع جزءاً من ملابسهن أو يعريهن تماماً، ليصورهن فى النهاية كما يريد ويرغب فخرجت لوحاته فى مجملها جنسية محركة للغرائز مثيرة للشهوات، فى محاولة منه لاستكشاف جانب من جوانب الشكل الإنسانى ورغباته الغريزية الداخلية المسيطرة عليه والمحركة له، ورغم أن إنتاجه الفنى كان غزيراً إلا أنه لم يكن قادراً على بيع لوحاتـــه علـــى نحـــو واسع فعانى الفقر المدقع كما كانت هلاوس الاضطهاد وكره الآخرين له وحسدهم وحقدهم عليه وتآمرهم ضده تراوده فى كل وقت وحين، حتى

قـابل سـنة ١٩١١م الفتاة والى نيوزيل التى كانت فى السابعة عشرة من عمرها والـتى كانـت من عشيقات معلمه جوستاف كلمت فتركته لتعيش مع شيل كعشيقة ونموذجـاً لكثير من لوحاته المميزة المهمة، فهرب معها قاصداً العزلة، ماراً بعدد من القرى الصغيرة حتى وصل إلى بلدة كرومو الريفية الصغيرة مسقط رأس أمه، إلا أن أسـلوب حياته الخاطئ الآثم أثار سكان البلدة المحافظين عليه خاصة بعد أن استدرج بعض الفتيات المراهقات لرسمهن عرايا، فطردوه وعشيقته، فلجأ إلى بلدة أخـرى تبعد نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً غرب فينا حيث يستطيع أن يعيش حياة رخيصـة تناسـب ظروفه الاجتماعية الصعبة، إلا أن الحال فى تلك البلدة لم تكن أفضـل ممـا كانـت علـيه فى البلدة السابقة، فقد أثارت طريقة حياته البذيئة غير المألوفة عداوة الكثير من السكان له وأبلغوا الشرطة عنه بعد أن أغوى بنتاً صغيرة قاصـراً لـم تـتعد سـن الرشد، فتم القبض عليه بمرسمه فى أبريل سنة ١٩١٢م ومصـادرة أكثر من مائة لوحة من لوحاته على اعتبار أنها لوحات إباحية خليعة، كمـا تـم إيداعه السجن فى انتظار محاكمته والتى تمت بعد واحد وعشرين يوماً، وكانـت التهم الموجهة إليه تتركز أساساً فى إغواء الفتيات واختطاف إحداهن ولكن لـم تثبـت عليه، إلا أن القاضى اعتبره مذنباً وحكم عليه بالسجن لثلاثة أيام لرسمه رسـومات جنسية إباحية وعرضها فى أماكن يسهل وصول الأطفال إليها، وحرق القاضـى بنفسه إحدى لوحاته المسيئة الخليعة على لهب شمعة داخل قاعة المحكمة أمـام جميع الحضور، فبلغ مجمل ما قضاه شيل بالسجن أربعة وعشرين يوماً رسم فـيها سلسـلة مـن اثنتى عشرة لوحة تصور الصعوبات والمضايقات التى مر بها حبيساً داخل زنزانته بالسجن، لتمر الأيام عليه وهو يعانى الحزن الدفين والكراهية للمجتمع المحيط، فقد كان يرى نفسه ضحية لمجتمع لا يقدره فعاد إلى فينا فى مايو سـنة ١٩١٢م، ولم تلق لوحاته اهتماماً كبيراً من تجار اللوحات إلا أن عزيمته لم تثـبط واستمر فى عمله بإصرار وكفاح، حتى بدأت حياته تتغير منذ سنة ١٩١٤م عـندما لفت نظره أختان من عائلة محافظة من الطبقة المتوسطة هما إديث وأيدل هـارمس تعيشان مع عائلتهما فى نفس الشارع الذى به مرسمه، فانجذب لهما لكنه فـى الـنهاية أصبح أكثر قرباً لإديث فأخذ القرار بالزواج منها سنة ١٩١٥م على اعتـبار أنها فتاة محافظة عفيفة ستكون واجهة اجتماعية جيدة له، وإن كان لا يريد الـتخلى عن عشيقته والى نيوزيل التى صارحها برغبته فى الزواج من إديث ونيته بالاحـتفاظ بعلاقتهما سوياً دون زواج، وذلك برسالة أعطاها إياها فى أحد المقاهى الـتى كانا يسهران بها فى أغلب الأيام، مصرحاً لها بإقدامه على الزواج ومقترحاً عليها إبقاء علاقتهما سراً، فيجتمعان سوياً فى إجازة سنوية يقضيانها معاً دون علم

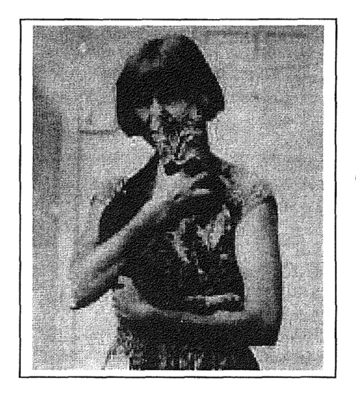
إديــث، راجياً منها عدم التعجب من طلبه أو رفضه، إلا أن والى تركته على الفور بعــد علاقتهما التى دامت لأربع سنوات تقريباً وقفت فيها بجواره مقدرة لمصاعبه ومــتحملة لأزماتـــه، ولم يرها بعد ذلك ثانية، فقد عملت ممرضة بالصليب الأحمر وماتت سنة ١٩١٧م بالحمى القرمزية فى أحد المستشفيات العسكرية.

وبـــالفعل تم زواج شيل من إديث فى السابع عشر من يونيو سنة ١٩١٥م فى نفس ذكرى يوم زواج أبيه وأمه، وذلك رغم اعتراض عائلة الفتاة على هذا الزواج وعــدم ترحيـــبها به، إلا أن إصرار الفتاة جعل أباها صانع الأقفال مكتوف الأيدى أمـــام رغبة ابنته.. وقد استدعى شيل للخدمة العسكرية بعد زواجه بثلاثة أيام فقط أثـــناء الحرب العالمية الأولى، ورغم أنه عمل أولاً فى حفر الخنادق على أطراف فينا إلا أنه وجد بعد فترة بسيطة احتراماً كبيراً من قبل الضباط الذين قدروا موهبته الفنـــية فـــأوكلوا إليه أعمالاً بسيطة بعيداً عن جبهة القتال، كحراسة أسرى الحرب الـــروس أو إعداد وجبات الطعام والشراب للضباط وذلك ليتمكن من الاستمرار فى رســـم لوحاته الفنية، فبدأت اللوحات تتسم بالنضج الفنى وتبلورت موهبته فاستطاع أن يشـــترك بخمسين لوحة من لوحاته بمعرض بفينا سنة ١٩١٨م، ورغم الخراب الـــناتج عن الحرب وجد شيل نجاحاً كبيراً وارتفعت أسعار لوحاته فتحسنت أحواله الماديـــة كثـــيراً، فانـــتقل مـــع زوجته لبيت جديد أكبر وأفضل فأحاطتهما السعادة وغمـــرهما الفرح، وهو ما شجعه لإقامة بعض المعارض الأخرى فى نفس السنة اتســـمت كلها بالنجاح الخاطف للأبصار.. إلا أن القدر لم يمهله للاستمتاع بنجاحه وفرحه، فقد انتشر فى خريف تلك السنة وباء الأنفلونزا الإسبانية الذى حصد أرواح أكـــثر مـــن عشرين مليون شخص فى أوروبا ووصل ذلك الوباء إلى فينا، وكانت زوجـــته إديـــث ضحية لذلك الوباء فقد أصيبت به فى التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩١٨م لـــتموت فـــى الثامن والعشرين من أكتوبر وهى لا تزال حبلى فى شهرها الســـادس، فحـــزن علـــيها شيل بشدة ورسم لها عدداً من التخطيطات والرسومات الســـريعة تعبـــيراً لحبه لها وتخليداً لذكراها، لتكون تلك الرسومات آخر ما رسمت يداه فقد لحق بها ملاقياً حتفه بعد ثلاثة أيام فقط ضحية أيضاً لذلك الوباء الفتاك فى الحادى والثلاثين من نفس الشهر، وهو لايزال فى الثامنة والعشرين من عمره وفى بدايـــة انتشـــاره ونجاحه الفنى الحقيقى والاعتراف به وبموهبته، تاركاً خلفه عدداً هـــائلاً مـــن اللوحـــات الـــتى حملت معانى مختلطة من العاطفة والحساسية واللذة والإثـــارة والحـــزن والكآبـــة، عكست مشاعره الإنسانية المأساويه وعقده النفسية الذاتية.

مـــن أشهر لوحاته: الموت والعذراء سنة ١٩١٥-١٩١٦م (صورة رقم (٥٢))، عناق الأحباء سنة ١٩١٧م، أم وطفلان سنة ١٩١٧م، العائلة سنة ١٩١٨م، صورة ذاتية لزوجة الفنان وهى جالسة سنة ١٩١٨م.

دورا كارينجتون (١٨٩٣-١٩٣٢م) Dora Carrington





هى فنانة إنجليزية تمردت على كل أنواع الأعراف والقيم والأخلاق، وعلى جميع تقاليد المجتمع وأصوله، فعاشت حياة متخبطة مستهترة وانتهت حياتها شر نهاية.. ولدت دورا كارينجتون فى التاسع والعشرين من مارس سنة ١٨٩٣م فى هيريفورد بانجلترا، حيث كانت رابع أبناء تاجر إنجليزى انتقل مع زوجته وأبنائه إلى بيدفورد بينما كانت دورا لا تزال فى العاشرة من عمرها فألحقها أبوها بمدرسة بيدفورد العليا لتعليم البنات، والتى كانت تولى تعليم الأنشطة المختلفة من رسم وموسيقى ورياضة اهتماماً زائداً، فلاحظ أساتذتها موهبتها فى الرسم وأخبروا والدها الذى وافق على ضمها لفصول إضافية لتعلم الرسم بعد مواعيد الدراسة بالمدرسة، وفى سنة ١٩١٠م حصلت على منحة دراسية بكلية فنون سليد بلندن، فقد كانت طالبة نابهة متميزة تقدمت فى دراستها بسرعة وثبات وحصلت على عدة جوائز أثناء دراستها، ومع ذلك بدأت تصرفاتها تتسم بالغرابة، فكانت ترتدى ملابس غريبة غير تقليدية وقصت شعرها بشكل يشبه خوذة الرأس، كما أسقطت اسمها الأول واحتفظت بلقب عائلتها وبذلك اشتهرت منذ

ذلــك الحيــن باســم كارينجتون، كما ارتبطت بعلاقات غرامية محدودة مع بعض زملائهــا بالدراســة، وكان أشهر هذه العلاقات علاقتها وهى فى الثامنة عشرة من عمــرها بزميلها مارك جيرتلير الذى كان له تأثير كبير على مرحلتها الفنية الأولى مــن حياتها.. وقد عادت إلى بيت أبويها سنة ١٩١٤م بعد انقضاء أربع سنوات من الدراســة الفنــية يسيطر عليها إحساس بعدم الرضا عن نفسها ويملؤها الحنق من المجــتمع الــثقافى المحيط بها، كارهة لعادات وتقاليد المجتمع بصفة عامة وناقمة على أمها بصفة خاصة والتى كانت تحتقر فيها خضوعها واستكانتها، وعلى العكس كانت محبتها لأبيها كبيرة للغاية.

وقــد قدمهــا عشــيقها جيرتلــير إلى مجموعة بلومزبرى وهى مجموعة من الأصدقاء الإنجليز ضمت أدباء وفنانين ونقاداً وحتى اقتصاديين لهم أفكار اجتماعية حديثة من أهمها المساواة بين الجنسين، وكانوا يجتمعون فى سهرات دورية للحديث والمناقشــة مــع تناول المشروبات فى جو لطيف ودود، وكان من أهم أعضاء هذه المجموعــة الكاتــب ليتــن ستراتشى الذى تعرفت عليه كارينجتون فى إحدى هذه الأمسيات أثناء عطلة نهاية الأسبوع بإحدى الضواحى سنة ١٩١٥م بواسطة حبيبها جيرتلــير الــذى لــم يكــن قلقاً من تعارفهما نظراً لأن ستراتشى كان شاذاً جنسياً وبالــتالى فلا خوف منه على حبيبته، كما عرفها جيرتلير أيضاً على سيدة المجتمع الشهيرة أوتولني موريل والتى أقامت معها كارينجتون علاقة سحاق آثمة فيما بعد.

وفــى أثناء أمسية تعارف كارينجتون بالكاتب ليتن ستراتشى فاجأها ستراتشى بقــبلة خاطفــة مباغتة، فغضبت بشدة وقررت الانتقام منه وتلقينه درساً لا ينساه، فجاءتــه فــى غرفة نومه قبل الصباح بقليل تمسك فى يدها مقصاً تريد قص لحيته أثناء نومه، وبالفعل دخلت الغرفة واقتربت منه وانحنت على سريره وقبل أن تقص اللحية استيقظ ستراتشى وطعنها بنظرة ثاقبة من عينيه، فكانت تلك اللحظة من أهم لحظــات حــياتها، فانجذبت إليه وأصبحت صديقة قريبة له ورسمت له لوحة سنة ١٩١٦م، حــتى قررت فى سنة ١٩١٧م أن تقطع علاقتها مع جيرتلير وتعيش مع ستراتشى فى بيته فى علاقة حب أفلاطونية تسمو فوق الرغبات الجنسية.

وفى تلك الفترة كانت كارينجتون تعانى عدم استقرار أوضاعها المالية، لتنتهى هــذه الأزمة إلى حد كبير بعد وفاة أبيها سنة ١٩١٨م الذى ترك لها ميراثاً صغيراً لكــنه ســاعدها علــى أن تعيش حياة مستقرة مستقلة إلى حد ما، وفى نفس السنة تعرفــت علــى رالف بارتريدج صديق أخيها الأصغر نويل، فوقع فى غرامها كما تعلقــت هى الأخرى به، وقد أدرك بارتريدج منذ الوهلة الأولى أن كارينجتون لن

تـــتخلى عن حبها المثالى مع ستراتشى، فتفهم الأمر وقبل الحقيقة كما هى، وبالفعل وافـــق على إتمام زواجه منها سنة ١٩٢١م مع بقائها مع ستراتشى الذى قد أعجب هـــو الآخـــر برالف بارتريدج وكون صداقة متينة معه، وبالتالى بقى الثلاثة معاً، وذهبوا لقضاء شهر العسل فى فينيسيا.

إلا أن كارينجتون لم تكن مخلصة لزوجها فوقعت فى عدة علاقات آثمة، كان أولهـــا مع صديق زوجها ضابط الجيش والكاتب والناقد جيرالد برينان والذى ذهب الـــثلاثة لزيارته فى إسبانيا سنة ١٩٢٢م فوقعت معه فى الخطيئة واستمرت تراسله بعد عودتها إلى الوطن.. كما كانت رغبتها الجنسية جارفة أيضاً نحو النساء والتى تحركـــت داخلها عندما قابلت هنرييتا بنجهام، ابنة السفير الأمريكى سنة ١٩٢٣م، فأعجبـــت بهـــا وطاردتها حتى أوقعتها فى الذنب والحرام، وبدلاً من أن تخجل من نفســـها أو تتســـتر علـــى حالها اعترفت للجميع بممارستها للسحاق، ورسمت عدة لوحات جنسية تصور نساء عاريات.

وقد اشترك كل من بارتريدج وستراتشى فى إيجار بيت جديد سنة ١٩٢٤م فى ضـــاحية قـــرب هانجيرفورد ليعيشا فيه مع بعضهما البعض، وقسمت كارينجتون وقـــتها بيـــن الاعتناء بالبيت ورسم لوحاتها وأعمالها الزخرفية الأخرى التى كانت تصـــورها علـــى أســـطح تصـــوير مختلفة وذلك للتسرية عن نفسها والتعبير عن موهبـــتها، إلا أنهـــا فى أغلب الأحيان لم تكن راضية عن أعمالها الفنية ولذلك فلم توقـــع على لوحاتها ولم تهتم بإقامة المعارض أو عرض لوحاتها أو المتاجرة فيها، ولـــم تلق أى شهرة فى حياتها، كما كانت من وقت لآخر تعلن تمردها على أدوار النساء التقليدية بالمنزل.

وفـــى أثناء عام ١٩٢٥م قابلت كارينجتون السيدة جوليا ستراتشى طالبة الفن وابـــنة أخـــت ستراتشـــى والتى داومت على زيارتهما فى منزلهما الجديد فى تلك الفـــترة، ورغم أنها كانت متزوجة إلا أن كارينجتون جذبتها للرذيلة والوقوع معها فى علاقة آثمة أيضاً.

وفى سنة ١٩٢٦م وقع رالف بارتريدج زوج كارينجتون فى حب سيدة تدعى فرانســـيس مارشـــال وذهـــب للعيش معها فى لندن تاركاً كارينجتون بمفردها مع صـــديقها الشـــاذ ستراتشـــى، ومع ذلك كان يزورها فى عطلة نهاية الأسبوع رغم انفصاله عنها فى نفس السنة بصورة غير رسمية، وقد أدى هذا التوتر فى علاقتها الزوجـــية بصـــدمة لها وبداية لأحزانها التى حاولت جاهدة التخلص منها، فوقعت

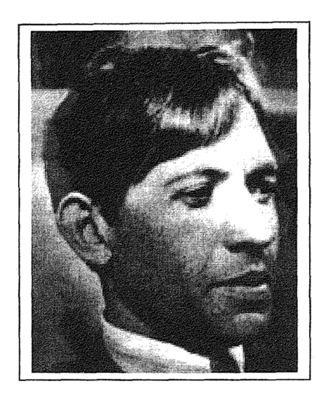
مجـدداً فـي غرام بحار يدعى بيرنارد بينروز وهو من أصدقاء زوجها المقربين وذلـك في سنة ١٩٢٨م، وأسرفت في علاقتها معه ونتج عن ذلك أن حملت سفاحاً فأجهضـت نفسها وتخلصت من جنينها وأنهت علاقتها به بعد أن طلب منها التفرغ لـه والعيش معه بمفردها بعيداً عن ذلك الشاذ الذى تلازمه فى بيته، فرفضت طلبه تماماً وابتعدت عنه.

ومـع كـل مـا مرت به كارينجتون فى حياتها السابقة من أزمات نتجت عن جريانها وراء شهواتها الجارفة إلا أن معاناتها الحقيقية بدأت مع ازدياد حدة مرض ستراتشـى الذى كانت تحبه بحق من كل قلبها وذلك فى نوفمبر سنة ١٩٣١م، وقد حـار الأطباء فى تشخيص مرضه بين إصابته بحمى التيفود وبين التهاب القولون، وكانـت تـرى حالـته تسـوء يومـاً بعد يوم وهو يعانى الألم الذى كان يعتصره وصـراخه وآهاتـه التى كانت تدّوى فى آذانها خاصة بعد أن تدهورت حالته فى نهايـة ديسمبر من نفس العام، فلم تتحمل أن تراه فى تلك الحال التى أصبح عليها وهـو ينـتظر انقضاء الأجل وملاقاة الموت، ففكرت أن تسبقه إلى الحتف وأغلقت علـى نفسها باب كاراج السيارات بالمنزل وأدارت السيارة وجلست خلفها تستنشق عادمهـا حـتى تختنق إلا أن رالف بارتريدج الذى كان موجوداً بالصدفة تدخل فى الوقـت المناسـب وأنقذها من الموت المحقق، لتتعافى بعد فترة من الراحة، وتعود لخدمـة صـديقها المـريض الـذى مـات فى يناير سنة ١٩٣٢م وهو فى الثانية والخمسـين مـن عمره، ووضح من تشريح جثته أنه كان مريضاً بالسرطان الذى عجز الأطباء عن اكتشافه.. لتعانى كارينجتون حالة اكتئاب شديدة تزيد حدتها كلما تذكرت حياتها مع صديقها الفقيد التى دامت سبع عشرة سنة لم يفترقا فيها أبداً حتى جاء الفراق عنوة عنها، وبالرغم من مضى أكثر من ستة أسابيع على موته إلا أنها لم تستطع أن تنساه أو تتخطى أزمتها أو تعبر محنتها فلازمتها الهواجس وصاحبتها الأحزان والآلام، فيئست من دنياها التى لم تستطع الحياة فيها بدونه، وعقدت العزم علـى أن تلحـق برفـيقها وصديقها فاستعارت بندقية من أحد جيرانها بحجة قتل الأرانـب التى تفسد حديقة البيت، وضربت نفسها بالرصاص فى الحادى عشر من مارس سنة ١٩٣٢م إلا أنها لم تمت مباشرة وإنما تعذبت قبل أن تفارق الحياة، فقد هب أحد الجيران مسرعاً إلى صوت إطلاق الرصاص فوجد كارينجتون ملقاة على الأرض غارقة فى دمائها، فاتصل فوراً ببارتريدج الذى وصل إليها سريعاً وبرفقته فرانسيس مارشال وصديق آخر، فوجدوها تلفظ أنفاسها الأخيرة، لتموت بين أيديهم منـتحرة دون أن تكمـل عامهـا التاسـع والثلاثين بقليل، تاركه وراءها عددا من

الرســومات واللوحات الفنية التى برهنت على موهبتها الكبرى فى تصوير الصور الشخصية والمناظر الطبيعية، إلى جانب عدد من الأعمال الفنية التطبيقية والتزيينية الأخــرى التى أكدت على طاقتها الإبداعية، وهى التى بخست بنفسها عندما فقدت الــثقة فى أعمالها، ليبدأ الاعتراف بها كموهبة مجهولة منذ سنة ١٩٧٠م عندما تم الالتفات لأعمالها التصويرية والفنية ولقيت جانباً كبيراً من الاحترام والتقدير.

مــن لوحاتهــا: لوحة ليتن ستراتشى سنة ١٩١٦م (صورة رقم (٥٣))، لوحة جيرالد برينان سنة ١٩٢١م، منظر طبيعي لجبال إسبانيا حوالى سنة ١٩٢٤م.

حاييم سوتين (١٨٩٣ - ١٩٤٣م) Chaim Soutine





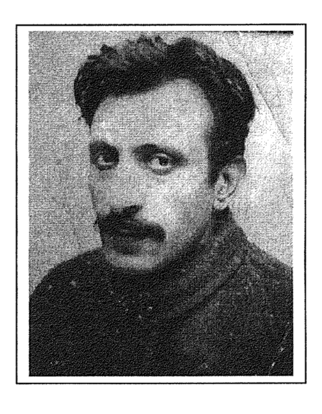
جمع سوتين فى دنياه كل مآسى الحياة من إملاق وعدم وأتراب، لأوجاع وكمد وأشجان، لعلل ومرض وأسقام، لدرجة أن كل من عايشه كان يتعجب من قدرته على الاستمرار فى العمل ومواصلة الحياة داخل دائرة الهموم والآلام والأحزان التى لم تفارقه منذ ولادته وحتى نهايته.. ولد حاييم سوتين فى قرية سميلوفتش التابعة للإمبراطورية الروسية بإقليم لتوانيا لأسرة يهودية فقيرة جداً، فكان أبوه خياطاً معدماً أنجب أحد عشر ابناً كان ترتيب حاييم العاشر بينهم، وعندما أبدى اهتماماً بالرسم منذ الصغر وجد اعتراضاً عنيفاً من قبل عائلته اليهودية المتشددة دينياً لدرجة أن إخوته الأكبر سناً كثيراً ما عنفوه بل وضربوه مرات عدة حتى يتخلى عن ميوله الفنية المتعارضة لمعتقداتهم الإيمانية وتقاليدهم الموروثة، إلا أنه لم يستمع لهم واستمر يراوده الطموح الفنى حتى رسم وهو فى الخامسة عشرة من عمره صورة لرجل شيخ من الجيران، وعندما شاهد أبناء ذلك الرجل تلك الصورة ثاروا عليه ثورة عارمة وأمسكوا به وضربوه بغلظة وقسوة فأصيب إصابات عدة، فأخذته أمه البائسة وأقامت دعوى ضدهم، فربح

الدعـوى وحصـل على تعويض قدره خمسة وعشرون روبل وساعده هذا المبلغ الالـتحاق بمدرسة للفنون لسنة انتقل بعدها لمدرسة الفنون الجميلة بمدينة فيلنو لمدة ثـلاث سنوات بمساعدة ودعم أحد الأطباء، وفى أثناء تلك الفترة استطاع أن يقتصد مـن قوت يومه ويوفر ثمن تذكرة قطار من الدرجة الرابعة للسفر لباريس، لتحقيق حلمـه فى النجاح والشهرة، فوصل لباريس فى يوليو سنة ١٩١٣م وأقام فى مبنى لسـكن الفنانين الفقراء والذى كان يقطنه عدد كبير من الفنانين أمثال مارك شاجال، وأمـيديو موديليانى، وغيرهما.. وكانت حياته فى باريس أكثر بؤساً ووصلت فاقته للحـد الأقصـى الذى لا يستطيع إنسان تحمله فتنقل بين أعمال مختلفة لكسب قوت يومـه حـتى أنه عمل كحمال فى محطة السكة الحديد، ورغم قدرته على الصبر والـتحمل بسـبب نشأته الفقيرة إلا أنه كثيراً ما كان يعانى حالات اكتئاب ونوبات هـياج عصبى دفعته فى أوقات كثيرة لتحطيم لوحاته الفنية الأولى، وقادته كل تلك الظـروف فـى ساعة يأس إلى محاولة الانتحار الذى نجا منه فى النهاية، غير أنه اسـتمر فـى الرسـم وإن كـان بأرخص الخامات، فكان يشترى اللوحات القديمة الرخيصة ليرسم على أقمشتها، وكان الفنان الإيطالى موديليانى من أقرب أصدقائه إلـيه والذى حمسه كثيراً وقدمه إلى راعى الفنون تاجر اللوحات زبوروفسكي الذى شـجعه للخـروج للرسم خارج باريس على نفقته، فذهب سوتين إلى بلدة سيريت الجبلـية بجـنوب فرنسـا من سنة ١٩١٩ حتى ١٩٢٢م ورسم العديد من المناظر الطبيعـية ومواضيع الحيـاة البرية بحماس شديـد، فعاد بمائتى لوحة عرضها له زبوروفسـكي عام ١٩٢٣م، فاشترى جامع اللوحات الأمريكى بارنز حوالى ستين لوحـة مـن لوحاته فتحسنت حالته المالية إلى حد ما، وعندما وقع فى الحب سنة ١٩٢٥م لـم يجـد اسـتجابة لعاطفته فعانى أزمة عاطفية زادت من سلسلة أزماته ومعاناته فكان سلوكه غريباً وتصرفاته غير مألوفة، لدرجة أنه كان يُحضِر دواجن ميـتة ليرسـمها، وفى إحدى المرات جلب إلى مرسمه جثة من لحم البقر ليرسمها وبقيت عنده لعدة أيام حتى أصابها العفن وفاحت رائحة اللحم النتن بين شقق العقار ممـا اضطر الجيران لطلب الشرطة لتخليصهم من تلك الرائحة الكريهة، كما كان يفضـل رسـم الخـدم والجـوارى بأسلوب عصبى كئيب مأساوى فظهرت وجوه أشخاصـه ملتوية وأطرافهم مشوهة بضربات فرشاة قوية وألوان سميكة، وعرض لوحاتـه بمعرض مستقل سنة ١٩٣٧م بباريس فجذب إليه الأنظار ولقى الكثير من الاعـتراف، إلا أن الحظ الحسن كان خصمه فسرعان ما نشبت الحرب بين ألمانيا وفرنسـا وسقطت فرنسا تحت الاحتلال النازى وأصبحت حياته فى خطر باعتباره يهودياً، فآثر الهروب بروحه إلى القرى والغابات البعيدة دون مأوى أو ملجأ محتمياً

من أهوال الطبيعة وأحوال الطقس العنيفة من رياح شديدة وأمطار غزيرة بالاختباء بين الأشجار ينام فى العراء أو فى أحسن الحالات فى كوخ من الأكواخ المهجورة التى قد يصادفها فى رحلة هروبه، حتى عادت إليه تحت كل تلك الظروف ألام مرضه بقرحة قديمة فى المعدة نزف على أثرها الدماء وتدهورت حالته وساءت صحته فعانى المر والآلام من السقم والأحزان، فعاد مضطراً مكرهاً لباريس للعلاج، وإن كان الأوان قد فات، فرغم أنه أُدخِل سريعاً إلى المستشفى وأجريت له جراحة عاجلة مستعجلة إلا أنها لم تفلح فى مد عمره بعد أن انتهى بالموت أثناء إجراء الجراحة فى التاسع من أغسطس سنة ١٩٤٣م بباريس، ليكون ذلك التاريخ كما هو نهاية لحياته نهاية أيضاً لرحلة كفاحه وطريق أحزانه وآلامه.

من لوحاته الشهيرة: لوحة المنضدة سنة ١٩١٩م، الدجاجة والطماطم سنة ١٩٢٤م، بيت أبيض على تل سنة ١٩١٨م، طبيعة صامته بالسمك سنة ١٩٢١م، جثة من لحمِ البقر سنة ١٩٢٥م (صورة رقم (٥٤))، فتاة صغيرة برداء أزرق سنة ١٩٣٤-١٩٣٥م، طفلان على طريق سنة ١٩٤٢م.

أرشيل جوركى (١٩٠٤ – ١٩٤٨م) Arshile Gorky



٤٧

احتفظ هــذا الفنان الأمريكى الجنسية الأرمنى المولد بمكان بارز متقدم بين الفنانين أصحاب المآسى، الشاعرين بالهوان، الحاملين للهموم والأحزان، فكانت ولادته بقرية خوركوم بمحافظة فان بتركيا فى الخـــامس عشـــر مـــن أبريل سنة ١٩٠٤م، وسرعان ما ارتبكت حياته المبكرة مع هجرة أبيه سنة ١٩١٠م إلى الولايات المتحدة الأمريكية باحثاً عن عمل وهارباً من التجنـــيد بالجـــيش الـــتركى، تاركاً زوجته وأبناءه من خلفه ليواجهوا أزمات الحياة بمفـــردهم، وهـــو ما أثر سلبياً على علاقته بأبيه بقية حياته وسبب نوعاً من الجفاء بيـــنهما، لتـــندلع بعد سنوات قليلة من هجرة الأب مذابح الأرمن على يد العثمانيين سنة ١٩١٥م تذرعاً بأن الأرمن قد تحالفوا مع الروس للاستقلال بدولتهم، وفى ظل تلـــك الإبـــادة الجماعية هرب أرشيل جوركى مع أمه وإخوته الثلاثة إلى الأراضى الواقعة تحت السيطرة الروسية مع كثير ممن هربوا فى ظل ظروف جوية غاية فى الصـــعوبة، فالـــبرد كان شديداً لدرجة أن الثلوج قد تراكمت بارتفاع ثلاثة وأربعة أمـــتار، واشـــتد الجوع على الناس فلا زاد أو مال معهم، كما انتشرت الأمراض،

إضافة لتعرض الهاربين للاعتداءات من قبل السكان المحليين، فاضطرت كثير من العـائلات إلـى تـرك أطفالهـا علىَ الطرق الرئيسية حتى لا يهلكوا أثناء السفر والـترحال، فاختلطت دموع الأطفال وصراخهم ببكاء الأمهات وآهاتهم فى مشاهد تقشعر لها الأبدان وتدمى أقسى القلوب وأصلبها، فمات ونفى وتشرد قرابة المليون شـخص.. فعـاش أرشـيل جوركى مع عائلته فى مجاعة لا توصف، وحاول أن يكتسـب بعض الطعام من مزاولة أى عمل يجده، فعمل أولاً مساعد نجار ثم انتقل لأعمـال حرفـية أخرى فقط فى سبيل توفير لقمة العيش الضرورية، ومع ذلك لم يسـتطع توفـيرها، وقد تمكنت أختاه الأكبر سناً أكابى وساتينيك من أن تغادرا إلى الولايـات المـتحدةَ سنة ١٩١٦م تاركتين جوركى وأخته الصغرى فارتوش برفقة أمهـم المريضة التى ماتت جوعاً بين ذراعيه سنة ١٩١٩م، حيث كانت تقتصد فى تناول الطعام القليل وتتظاهر بتناوله ليتناوله أبناؤها، حتى فارقت روحها الحياة فى الصباح الباكر حزينة مشردة، فلم تغب ذكرى موتها ومعاناتها عن خاطر جوركى طوال حياته خاصة وأنه كان يحبها جداً.

وبمـوت أمـه ضـاقت عليه الأرض بما رحبت فقرر الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقل مع أخته إحدى السفن المتجهة إلى هناك وهو لايزال فى السادسـة عشـرة من عمره، فوصلا لأمريكا فى مارس سنة ١٩٢٠م، ونزلا عند أخـته أكابى، ثم اتجه جوركى ليقابل أباه ويعيش معه بعد فراق دام أكثر من عشر سـنوات إلا أن علاقتهما لم تكن على ما يرام وهو ما أدى إلى افتراقهما بعد ذلك، وقـد تحركت فى تلك الفترة آماله الفنية الدفينة بعدما شاهد لوحات متحف بوسطن للفـنون الجمـيلة، وقد كان أول من لاحظت موهبته للرسم وشجعته عليها هى أمه الـراحلة مـنذ كان فى السادسة من عمره، إلا أن أهوال الحياة التى مر بها جعلته يهمـل تلـك الموهبة ولا يلتفت إليها، حتى جاء الوقت المناسب فسجل فى مدرسة الفـنون الجمـيلة والتصـميم ببوسطن سنة ١٩٢٢م كما حضر دروس الأكاديمية الوطنـية للتصميم بنيويورك، وفى سنة ١٩٢٤م غير اسمه الأصلى وهو فوستانيك مـانوج أدويان إلى اسم روسى هو أرشيل جوركى وهو الاسم الذى عرف واشتهر به بعد ذلك حتى نهاية حياته، على اعتقاد أن أصله الأرمنى قد يعوق نجاحه، فتنكر لماضـيه القاسـى ونسج لنفسه ماضيا مختلقا، وبالفعل كان النجاح حليفه فتقدم فى دراسـته بخطى واسعة وجرب العديد من الأساليب التصويرية الحديثة، وبدأ يعطى دروسـاً فـى الرسم، وافتتح مرسما له بنيويورك سنة ١٩٢٥م، وعرض فى سنة ١٩٣٠م لوحاتـه مـع عـدد من الرسامين والنحاتين بمعرض أقيم للفنانين أقل من

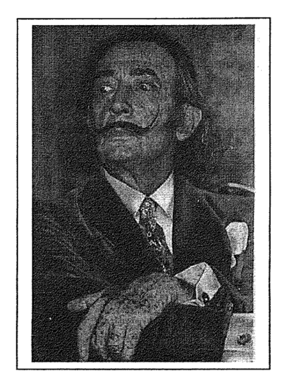
خمس وثلاثين سنة بمتحف الفن الحديث بنيويورك، حتى أقام معرضه المنفرد الأول سنة ١٩٣٤م بفيلادلفيا، واستمر فى نجاحاته وأعماله الفنية مشتركاً فى عدد من المعارض الفنية المهمة، فحصل على الجنسية الأمريكية سنة ١٩٣٩م.

إلا أن مشاعر الحزن والاكتئاب ما كانت لتفارقه، فكانت تطارده من حين لآخر أحزان موت أمه والحنين لبلاده، شاعراً دائماً بالغربة والوحدة والفراغ، خاصة أنه دخل فى ثلاث علاقات عاطفية فشلت جميعاً، كما عانى ضيق ذات اليد ورقة الحال، ففقد ثقته بذاته وامتلأ كراهية لحياته حتى تعرف أخيراً على الأمريكية الغنية أجنيس ماجرودر والتى كان يكبرها بقرابة عشرين سنة، فتزوجها فى الخامس من سبتمبر سنة ١٩٤١م بعد علاقة دامت لأقل من سنة، متخيلاً أنه بزواجه منها قد زالت كل أحزانه واستقرت أحواله، فأنجب منها بنتين، كما رسم عدداً كبيراً من اللوحات الفنية الرائعة، وبدأ بالفعل يجذب الانتباه إليه فلقى جانبا لا بأس به من الاحترام والشهرة فى الأوساط الفنية، حتى عادت له المعاناة بصورة أكبر وتجددت له المأساة بشكل أعظم، وتوالت عليه المصائب والأهوال، ففى يناير سنة ١٩٤٦م شب حريق هائل فى مرسمه الذى حوله عن حظيرة ماشية ببيته الجديد المملوك لزوجته، فأتت النار على عدد كبير من لوحاته ورسوماته وكتبه وكثير من مقتنياته الخاصة، فملكه الحزن والأسى، وقبل أن تزول أحزانه كان المرض قد سيطر عليه بشدة فتبين بالفحص الطبى إصابته بسرطان القولون، فضعفت صحته وخارت قواه، أما جرح النفس فكان أقوى وأعظم بعد أن اكتشف فى ذلك الحين أن زوجته التى غمرها بحبه وعطفه لسبع سنوات تقريباً تخونه مع صديقه الرسام السريالى ماتا إتشورين، وعندما واجهها بعلاقتها المشينة لم تنكر بل وأخذت طفلتيه اللتين كان يعشقهما وتركته وحيداً منكسراً فى مرضه وألمه بعد شهر تقريباً من وقوعه ضحية لحادث سيارة كان يقودها أحد أصدقائه وهو مخمور وذلك فى يونيو سنة ١٩٤٨م، فأصيب ظهره وكسرت رقبته وذراعه اليمنى، فَشُلّت يده وأصبح لا يستطيع الرسم بها، وغدا ملازماً للفراش لا يستطيع الحركة معانياً غدر الصديق وجفاء الرفيق وبُعد الصاحب وهجر الحبيب، فكانت كل لحظة تمر عليه تزيد همه هماً وتحطم نفسه وروحه، وبدأ يسترجع ذكرياته المؤلمة شاعراً بالغربة فى وطنه الجديد، فازداد كرهاً للحياة وعظم سخطه عليها، ولم يجد أمامه من الحلول إلا حل اليائسين القانطين فشنق نفسه فى حبل دلاه من العوارض الخشبية لسقف حظيرة المنزل وذلك فى الحادى والعشرين من يوليو سنة ١٩٤٨م وهو فى الرابعة والأربعين من عمره، بعد أن هانت عليه حياته التى تفتحت

مداركه عليها بمعاناة وأغلق عينيه مغادراً إياها مكتئباً مهموماً وكانت رحلته خلالها أوجاعــا وآلامـــا وأحزانا، دون أن يحقق آماله أو ينجز طموحاته على النحو الذى أراد، تاركـــاً خلفـــه رسالة بالطباشير على صندوق خشبى يقول فيها "مع السّلامة أعـــزائى".. إلا أن شـــهرته زادت بشكل كبير بعد وفاته، وتوجد حالياً لوحاته فى أغلب المتاحف الرئيسية الأمريكية وكثير من المتاحف الكبرى حول العالم.

مـــن لوحاتـــه: صورة ذاتية في عمر التاسعة سنة ١٩٢٨م، الفنان وأمه سنة ١٩٢٦-١٩٤٢م (صورة رقم (٥٥))، المنظمة سنة ١٩٣٣-١٩٣٦م، طريق الأمل الجيد سنة ١٩٤٥م، المعاناة سنة ١٩٤٧م.

سلفادور دالى (١٩٠٤ - ١٩٨٩م) Salvador Dali





أدهش العالم بتصرفاته الغريبة الشاذة، فأصبحت سيرته الذاتية من جهة وأعمالـــه الفنية من جهة أخرى موضع نقد وجدل، ومثار تحليل وتأويل وتفسير، فقيل عنه إنه أعقل مجنون، وقال هو عن نفسه "أنـــا أعظـــم فنانى عصرى، أو على الأصح كلهم أسوأ منى".. فقد كان يرى نفسه عـــبقرياً وكـــان بالفعل عبقرياً، إذ استطاع بلوحاته المثيرة الفذة أن يبعث فى نفس المشـــاهد شعوراً سحرياً ويخلق داخله إحساساً أسطورياً، فخطف الأبصار وبلغ قمة المجد الفنى والشهرة العالمية.

ولـــد الفـــنان الإســـبانى الشهير سلفادور دالى فى الحادى عشر من مايو سنة ١٩٠٤م فـــى بلـــدة فيجوراس الصغيرة بمنطقة كاتالونيا بإسبانيا، لأب يعمل كاتب عـــدل.. ورغم كل ما وصل إليه دالى بعد ذلك من نجاح وشهرة ومال، إلا أنه كان يعـــيش داخل أسوار المعاناة والتى اعترف بها بنفسه فى أكثر من مرة خلال حياته الطويلة، قائلاً إن مصدرها هو أعماق نفسه، كما استطاع أن يخفى الكثير من عقده وراء قناع تمكن من حياكته ببراعة ودقة.

وقــد ولــدت أولى أزماته النفسية عندما اصطحبه أبواه وهو فى الخامسة من عمــره إلــى إحــدى المقابر ليبلغاه أن القبر لأخيه الأكبر سلفادور الذى مات قبل ولادتــه بحوالــى تســعة أشهر فقط من الالتهاب المعوى (ولد فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠١م ومــات فــى أول أغسطس سنة ١٩٠٣م)، وقد أُطلِقَ عليه اسم أخيه الذى توفــى فكانت هذه صدمته الأولى الذى قال عنها فى مذكراته "لقد كنت بنظر والدّى الــبديل، وكانت روحى تعتصر ألماً وغضباً من جراء نظرات أعينهما التى كانت تثقبــنى بــدون توقف بحثاً عن الآخر الذى كان قد غاب عن الوجود"، إلا أن واقع الحــال هــو ما تمتع به سلفادور من دلال ورفاهية كبيرة فى طفولته، وتنفيذ لكل مطالــبه، وتــركه يعمــل كل ما يريد ويرغب، ونتيجة لهذا التدليل المفرط تعثرت دراســته الأولــى إلــى حــد ما، فكان كثيراً ما يتهرب من المدرسة بأعذار واهية كالتعــب أو المــرض وهو ما كان يثير غضب والديه، كما كانت تصرفاته غريبة شــاذة تتســم بالعنف والقسوة، فبينما كان يتنزه مع أحد أصدقائه فوق أحد الجسور دفعــه علــى حين غرة من على الجسر ليهوى الطفل من على ارتفاع خمسة أمتار تقريــباً ويصــاب بإصــابات جمة بينما أكمل سلفادور طريقه وكأن شيئاً لم يحدث إطلاقــاً وذهــب فى نفس اليوم إلى بيت صديقه وجلس مسترخياً مبتسماً على مقعد هــزاز يتأمل إصاباته ودماءه، وفى مرة أخرى رفس بقدمه رأس شقيقته الصغرى آنا ماريا والتى كانت تصغره بنحو ثلاث سنوات فسبب لها آلاماً عظيمة بينما شعر هــو بمتعة كبيرة، وفى إحدى المرات وأثناء حواره مع أحد أصدقائه بالمدرسة عن الرســم والموســيقى جذب آلة الكمان من يديه بقوة وحطمها بشراسة فكان متحيزاً لرأيه عن قيمة الرسم وأهميته عن فن الموسيقى، كما كان يحب أن يعذب نفسه وأن يجــذب انتــباه زملائه بالمدرسة ويتلذذ بمرأى وجوههم وقد ملأها القلق واكتساها الخــوف، فكــان كثيراً ما يلقى بنفسه من فوق سلالم المدرسة لكى يدهش زملائه ويجــذب انتــباههم دون أن يــبالى بأية آلام أو إصابات قد تحدث له، وفى إحدى المرات أمسك بهرة وربطها وأخذ يجرها ويعذبها حتى هلكت فرماها وانصرف فى طــريقه، كما أخذ فى إحدى المرات وطواطاً جريحاً وخبأه فى غرفة مظلمة فوجد فــى الــيوم التالى كميات كبيرة من النمل قد غطته بينما كان الوطواط على وشك الموت فالتقطه على الفور وعضه بأسنانه عضة قوية أنهت حياته على الفور فألقاه وابتسم ابتسامة الفائز المنتصر.

وكــان أبوه يرسله فى إجازات العطلة المدرسية الصيفية، والتى كان سلفادور ينــتظرها بفــارغ الصــبر، إلى صديقه الرسام رامون بيتشو فى منطقة كاداكويز

بالـــريف الإســـبانى، والـــذى كان أول من تنبه إلى موهبة الطفل وعبقريته الفنية، فشـــجعه على الاستمرار فى الرسم وخصص له غرفة ببيته ليرسم بها، فوجـــد باباً خشبياً قديماً نخره السوس فقرر استغلاله ورسم عليه كومة كبيرة من حبات الكرز بـــألوان سميكة وضعها مباشرة من أنبوبة الألوان، وبعد أن أنهى رسم لوحته أدرك أنه نسى رسم الأغصان الصغيرة لحبات الكرز، فانقض على كمية هائلة من الكرز يلـــتهمها بشـــراهة وســـرعة وأخذ أغصانها وغمسها فى ألوان اللوحة فى مكانها المناســـب، كما جمع عدداً من ديدان الأرض وأدخلها فى الثقوب المنخورة بالباب، وهـــو ما أثار دهشة الفنان رامون الذى كان يعانى كثيراً تصرفات سلفادور الغريبة الطائشـــة، فقـــد كان كثيراً ما ينتهز الفرصة الملائمة ويسكب الحليب الساخن على صـــدر خادمـــة المـــنزل ويجـــرى سعيداً ضاحكاً إلى حجرة الرسم، بينما تتعالى صرخات الخادمة وتتأوه من الألم، وفى أحيان أخرى كان يسير فى الطرقات متكئا على عصاه متباهياً فى فخر وعزة متشبهاً بالسادة والنبلاء، يتملكه الشعور بالعظمة والخيلاء، وهو الشعور الذى رافقه حتى مماته.

وكانت أمه كثيراً ما تشجعه على تنمية موهبته الفنية فأحبها من كل قلبه وكان موتهـــا فى فبرايـــر سنة ١٩٢١م بسرطان الثدى صدمة كبيرة له ، قـــال عنها فى مذكراته "إن موت أمى كان أعظم ضربة وجهت لى فى حياتى"، وتزوج الأب من أخـــت زوجته والتى كان سلفادور يحترمها ويقدرها، ورغم ضيقه بعض الشئ من هذا الزواج إلا أن حبه لخالته وشعوره الطيب نحوها كان أقوى من أن يتحول إلى كره أو سخط عليها.

وتحـــت إصرار سلفادور دالى على دراسة فن الرسم رضخ الأب غير المقتنع لرغـــبة ابـــنه وأرســـله إلى مدريد للالتحاق بأكاديمية سان فرناندو الملكية للفنون الجميلة هناك، وكان للقبول بالأكاديمية اختبار فى الرسم وفق مقاييس محددة إلا أن ســـلفادور لم يقتنع بها وأهملها مرتين، ولما أيقن أنه لن يقبل بالأكاديمية حتى يتبع تلك التعاليم التزم بها فَقُبِل طالباً بالأكاديمية، وكعادته لفت أنظار الجميع إليه بشعره الطويـــل ومعطفه وبنطلونه القصير مع ارتدائه للجوارب النسائية فى أسلوب أزياء الإنجليز فى أواخر القرن التاسع عشر.. وفى مسلسل تصرفاته الغريبة بالأكاديمية دخـــل فى أحد الأيام قاعة النحت وبدأ يفرغ محتويات أكياس عديدة من الجص فى إناء واسع وصب عليه الماء بغزارة حتى سال الجص الأبيض وانساب إلى الخارج مـــن تحت الباب إلى كل مكان، فخرج سلفادور مسرعاً ووقف يتأمل طبقة الجص وهى تجف.

وقـد أدرك سـلفادور دالى بذكائه أن مداركه لابد أن تتسع فكان فى الصباح يـدرس بأكاديمـية الفنون وفى العصر يرتدى أفخر الملابس ويجلس على المقاهى التى يجتمع عندها الأدباء والمفكرون ليجلس معهم ويشاركهم الحوار فى الحركات الأدبـية والفنـية فى ذلك الوقت.. وقد أصبحت شخصيته متمردة مشاكسة وهو ما دفعه للثورة على الأكاديمية مدافعاً عن أحد الأساتذة كان قد حرم من التدريس بها، فطرد سلفادور من الأكاديمية سنة ١٩٢٣م وحرم من الدراسة بها لمدة سنة، وألقى القبض عليه وسجن لمدة شهر لأنه أقدم على حرق علم إسبانيا وأخل بالأمن، ليعود إلـى الدراسـة بالأكاديمـية بعد انتهاء مدة إبعاده، وإن كان قد ملكه شعور داخلى سـاخط بأن الأكاديمية لن تستطيع تعليمه أى شئ، فطُرد من الأكاديمية نهائياً سنة ١٩٢٦م قـبل فترة بسيطة من امتحاناته النهائية عندما صرح للجميع بأنه لا يوجد بالأكاديمـية كلها أى أستاذ يرقى لأن يختبره، بالإضافة لتصرفاته غير اللائقة التى تـدل علـى شذوذ فى نفسه.. فسافر فى نفس السنة إلى باريس وقابل هناك الرسام الشهير بابلو بيكاسو والمؤلف والشاعر أندريه بريتون، وأبدى رغبته فى الانضمام إلى مجموعة الفنانين السرياليين، وكان معرضه الشهير بباريس عام ١٩٢٧م الذى قـال عـنه بريـتون "إن دالـى أتحف العالم بكائنات جديدة ودخل إلى المجموعة السـريالية مـن بابهـا الواسـع العريض"، كما أبدى دالى اهتماماً أيضاً بالسينما والتصـوير الضـوئى وأنجز مع صديقه لويس بونويل فيلماً مثيراً هو كلب أندلسى سـنة ١٩٢٩م الـذى كـان يتواءم مع أفكار دالى الفنية ولا يحمل أى قصة، وإنما مشاهد غريبة مشحونة بالأحلام والكوابيس كان أهمها مشهد عينى فتاة شابة تلمعان وتقـترب إحداهما من شفرة حلاقة حادة تحز العين فى مشهد قاسٍ مثير، ليعد هذا المشـهد من أقسى المشاهد فى تاريخ السينما الصامتة، ورغم أن هذا الفيلم لم يلق إقـبالاً جماهـيرياً كبـيراً إلا أنه كان ناجحاً فنياً وكان حافزاً لكى يطلب أحد كبار المنتجيـن مـن بونويـل تقديم فيلم آخر، فالتقى بونويل بدالى وأعدا سيناريو فيلم العصر الذهبى الذى عُرض فى باريس سنة ١٩٣٠م، ولقى إقبالاً واسعاً فكان مليئاً بالمشـاهد الشاذة والعنيفة، إلا أن بعض المتطرفين هاجموا صالة العرض وحطموا لوحـات المعرض السريالى المرافق لعرض الفيلم وأفسدوا شاشة العرض وكسروا المقاعد فتدخلت الشرطة وتم منع عرض الفيلم لمدة استمرت نحو خمسين عاماً.

وكـان دالـى قد أعلن عن أسلوبه الفنى الخاص الذى أسماه الهذيان النقدى أو الـبرانويا الـنقدية، الـذى عمد فيه إلى فتح الممرات الداخلية المتواصلة بين الحلم والواقـع، فكـان يضع حامل اللوحة بجانب سريره لكى يستطيع أن يرى ما رسمه

ويستوحى ما سيرسمه فى اللحظات التى تتواصل بين اليقظة والنوم أو الواقع والحلم.. وفى إقامته بمنطقة كاداكويز بشمال شرق إسبانيا سنة ١٩٢٩م عادت إليه خيالاته الغريبة وسيطرت على حواسه الرؤى الخيالية، فرسم لوحات استمد عناصرها من هذه الهواجس والأحلام.

وفى خلال إقامة دالى فى هذا المنتجع زاره صديقه الشاعر السريالى بول إلوار وزوجته جالا ابنة أحد المهاجرين الروس واسمها الأصلى هيلينا دياكينوف والتى جاءت إلى فرنسا عام ١٩١٣م وهى لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها بعد أن عانت معاناة كبيرة فى طفولتها من هجر الأب والفقر ومرض السل، وهناك التقت الشاعر إلوار والذى كان يصغرها بسنة ونصف السنة تقريباً وتزوجت منه سنة ١٩١٧م وهى لا تزال عذراء إلا أنها سرعان ما انزلقت فى مغامرات عدة وارتبطت بعلاقات غرامية مع العديد من الفنانين المشهورين أمثال ماكس إرنست ومان راى بحثاً عن المال وبريق الشهرة، حتى انجذب دالى إليها هو الآخر ووقع فى حبها منذ اللحظة التى وقعت عيناه عليها، رغم أنها كانت تكبره بحوالى إحدى عشرة سنة، فحاول أن يستميلها بطريقته الخاصة فارتدى قميصاً قص أطرافه ولطخه بغراء السمك وروث الماعز وارتدى سروالاً مقلوباً وحلق شعر إبطيه ثم لون إبطيه باللون الأزرق وتقلد قلادة من اللؤلؤ ووضع منقار طائر فى أذنه، وعندما قابلها لم يقو على الكلام وإنما اجتاحته موجة من الضحك الهيستيرى المجنون، ثم انهار تحت قدميها فى هلع ورغبة، فتعجبت من تصرفاته الغريبة وجاءت فى اليوم التالى وأخذته من يده وهدأت من روعه قائلة له برفق "خفف عنك يا صغيرى فلن نفترق بعد الآن" فقد قررت البقاء مع دالى إلى الأبد رغم أنها كانت زوجة لرجل ناجح وأم لطفلة تدعى سيسيل فى الحادية عشرة من عمرها تركتها لأم زوجها لترعاها.. وقد أدرك الزوج أن زوجته قد هامت بحب سلفادور دالى، فقرر مرغماً العودة إلى باريس تاركاً زوجته بجانب دالى.

وبالفعل كانت جالا لدالى صدراً حنوناً احتوت نفسه الغريبة الهائجة، كما كانت سبباً أيضاً فى قطيعته مع والده كاتب العدل، الذى كان دالى يحبه ويخشاه جداً، وكان ذا عقلية تقليدية محافظة رفض على الإطلاق علاقة ابنه بهذه السيدة المتزوجة عديمة الحياء واعتبر ملابسها المكشوفة التى تكشف ساقيها وتبرز ثدييها تسبب فضيحة له، وقد زاد من سوء علاقة الأب بابنه لوحات سلفادور التى عرضها فى معرض جيومانس في باريس والتى فجرت فضيحة كبرى، فاستشاط الوالد غضباً وطرد سلفادور من منزله، وأوصى بحرمانه من الإرث.

والحقـيقة أنــه بالرغم من تعدد علاقات جالا السابقة إلا أن علاقتها بسلفادور دالــى اســتمرت حتى نهاية حياتها، فكما كانت ملهمته الغامضة كانت أيضاً مديرة علاقاتــه العامــة والمسئولة عن تسويق ابتكاراته الفنية مثل الأظافر الاصطناعية المــزودة بمــرآيا صغيرة تمكن المرأة من مشاهدة وجهها، وملابس نسائية محشوة بطريقة مثيرة للرجال، وغير ذلك الكثير والكثير.

وســرعان مــا بدأ نجم دالى يبزغ فى عنان السماء فأقام المعارض الفنية فى كبرى المدن حول العالم، وبدأ يدخل بسرعة خاطفة إلى عالم الأغنياء وقال فى ذلك "لقــد كانــت الشيكات تنهمر على كالإسهال"، فقد كان محباً للمال وكان يردد دائماً "أريد أن أصبح مليونيراً"، ليتزوج من جالا بعد طلاقها زواجاً مدنياً فى سنة ١٩٣٤م أما زواجهما الدينى فقد كان فى سنة ١٩٥٨م.

وكانت تصرفات دالى الغريبة الشاذة التى يقوم بها دائماً وتصريحاته الصحفية الغريــبة وابتكاراته الفنية غير المألوفة وفضائحه واستفزازاته تسبقه إلى حيث حل أو رحــل، فلقب بعبقرى الفضائح، ففى المعرض الدولى الضخم الذى عقد فى لندن سنة ١٩٣٦م والذى عرض له فيه اثنتا عشرة لوحة حضر دالى مرتدياً بدلة غطس كاملــة وعندما سئل: إلى أى مدى يصل عمق غطسته أجاب بأنها تصل إلى نقطة اللاوعــى، وفــى إحــدى الدعــوات التى وجهت إليه لإلقاء محاضرة هناك سأله الصــحفيون عند وصوله عن مكان إقامته فى لندن فأجابهم ببساطة أنه لا يمانع فى الإقامــة بقصر بلنهايم فرد عليه أحد الصحفيين بأن هذا القصر يعد من أهم وأشهر القصــور التاريخــية بلــندن فأجاب سريعاً فى صيغة المتواضع بأن القصر سوف يــؤدى الغــرض وأنه لا بأس بالإقامة به فهو يكفى على أية حال، وعندما أخبروه بأنــه مكــان إقامة دوق مارلبور فرد دالى بعنجهية بأنه على استعداد خلال إقامته بالقصــر أن يسمح له باستخدام إحــدى حجرات الخدم، وهو الرد الذى أثار ضجة عاصــفة.. وعــندما ذهب لإلقاء المحاضرة حضر أيضاً متنكراً فى زى الغواصين وأمسك بيده حبلاً مشدوداً إلى كلبين، ومع بدء اللقاء أغمى عليه على المنصة فهرع إلــيه الحضــور وسرعان ما حطموا قناع الغوص الذى كاد أن يختنق بداخله، فلما اســتعاد وعيه قال "بالطبع لم يسمع أحد منكم ما قلته وأنا داخل هذا الجهاز، ولكن علــى أيــة حال أنا لم أقل شيئاً فليس لدى ما أقوله لكم بالإضافة إلى أننى لا أتقن اللغة الإنجليزية".

وفى عام ١٩٣٨م بتدخل من أصدقائه زار دالى عالم النفس الشهير فرويد فى لــندن، والــذى كــان مؤمناً بأفكاره إيماناً كاملاً مستفيداً من نظرياته فى اكتشاف

اللاشــعور وعــالم الأحــلام والتصــوير اللاإرادى كما يمليه اللاوعى، وتصوير الانعكاسات المخفية فى أعماقه متحرراً من رقابة الواقع وقمع المجتمع، وقد صرح فــرويد فى نهاية اللقاء بأنه معجب بذكاء هذا الشاب الإسبانى كما قال أنه لم ير فى حياته نموذجاً لإسبانى أعظم كمالاً من دالى.

إلا أن حب دالى للمال وانكبابه على جمعه كان مثار استياء كثير من أصدقائه وبعدهــم عــنه، وهو ما دفع زملاءه من الفنانين والكتاب السرياليين وعلى رأسهم صــديقه أندريــه بريــتون مؤسس السريالية اتهامه بأنه عبد للدولار، وأطلق عليه بريــتون لقب الأسطورة المذهبة، وفصلوه بالفعل من عضوية المجموعة السريالية عام ١٩٣٩م، إلا أنه صرح فى لقاء صحفى قائلاً "السريالية هى أنا".

ومــع نشوب الحرب العالمية الثانية انتقل دالى إلى الولايات المتحدة الأمريكية ســنة ١٩٤٠م وعــاش بها ثمانى سنوات، وهناك قام بتصميم العديد من الواجهات الشــهيرة ومجموعات متنوعة من الحلى والملابس، وفى إحدى المرات أثناء إقامته بنــيويورك طُلِــب منه تصميم وتزيين واجهة أحد المتاجر الكبرى هناك، وبعد أن أكمــل العمــلَ مــر فى اليوم التالى أمام المتجر فوجد أن الإدارة قد قامت بإحداث بعــض التغيــيرات علــى أعماله، فاستشاط غيظاً وثارت ثائرته ودخل سريعاً إلى المــتجر يســب ويلعــن وأخذ يلقى بالكراسى هنا وهناك، فتم إبلاغ الشرطة التى أوقفــته، وعرض لمحاكمة سريعة حُكِم عليه فيها بدفع غرامة مالية كتعويض عن الخسائر التى ألحقها بالمتجر.. وقد استطاع دالى فى فترة إقامته بأمريكا أن يصبح اســمه معــروفاً للجمــيع فكانت أخباره الغريبة وصراعاته الإعلانية تحتل مركزاً مــتقدماً فــى كافة وسائل الإعلام، حتى عاد فى سنة ١٩٤٨م إلى بلدته فيجوراس عودة الابن البار وتصالح مع والده الذى استسلم مكرهاً لأمر ابنه الواقع.

وظل العملاق العبقرى دالى يحتل مركز الصدارة بين فنانى عصره لا ينافسه إلا بيكاسو، فاستطاع أن يجذب الأبصار ويخطف الأضواء إليه، فجمع المال وتربع علــى قمــة الشــهرة والمجد، وقد ساعده على ذلك أعماله المجنونة غير المألوفة المصــبوغة بهــوس العظمة، فأحياناً يفتتح معارضه بتحطيم زجاج النافذة ويدخل منها، كما كان كثيراً ما يأتى بحركات بهلوانية خارجة عن حدود اللياقة أو السلوك الوقــور أمام جمهور المعرض، وفى أحد معارضه لف حول وجهه وشاربه ثعباناً صــغيراً أثار بمنظره رواد المعرض.. كما كان كثيراً ما يحضر الحفلات الرسمية الكــبرى بملابــس غريــبة فأحياناً يرتدى بيجامة النوم، وأحياناً ينقض على كبار المدعوين ويخرج مقصاً من جيبه ويقص ربطات عنقهم ثم ينصرف بلا أى مبالاة،

كمـا كـان فـى كثير من اللقاءات والندوات ينصرف فجأة من على المنصة أثناء إجابته على أحد الأسئلة مثيراً عجب الحضور.. أما شاربه فكان فخوراً جداً به وقد وصـل طوله إلى نحو خمسة وعشرين سنتيمترا، وكان يغير شكله من حين لآخر فـى أشـكال غريبة فأحياناً يربطه، وأحياناً أخرى يثبته فى صورة أفقية، أو يثنيه، وأحـياناً يـرفعه لأعلـى، فقال ذات مرة "أنه جهاز الرادار الذى التقط به الإلهام الفنى".

وعندما اتهم بالجنون قال "أنا مجنون بحب نفسى".. كما قال "الفرق بينى وبين أى مجنون هو أننى عاقل"، وكان يقول "إننى عندما أستيقظ فى الصباح أسأل نفسى ما الذى سيفعله اليوم هذا الإنسان المعجزة"، وكان يسير فى غطرسة وتعال ممسكاً بعصـا فى يده، ورد على من وصفوه بالغموض قائلاً "لا غرابة ألا يفهم الجمهور أعمـالى فأنـا لا أفهمها أيضاً".. وقد اتجه دالى فى الفترة من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٧٠م لرسـم العديد من الأعمال الفنية المرتبطة بالمواضيع الدينية، مع مواصلة استكشافه للمواضيع الجنسية، وتمثيل ذكريات الطفولة.

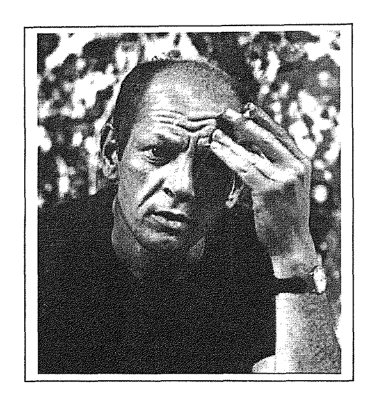
ومع تقدم السن بدأت صحة دالى تسوء تدريجياً حتى أصيب فى سنة ١٩٨٠م بأزمة مرضية بسيطة، فتولت زوجته جالا علاجه ببعض العقاقير والمسكنات دون إشـراف طبى، وهو ما أثر على جهازه العصبى وبدأت يده اليمنى ترتعش فأصبح ضـعيفاً خاملاً لا يقوى على الإمساك بفرشاة الرسم، ولا يستطيع الوقوف أو السير لفـترات طويلة، فلازم الفراش.. وهنا ذهب البعض إلى احتمالية أن تكون جالا قد أعطـته هذه الأدوية الخاطئة متعمدة محاولةً تسميمه، وهو احتمال لا يمكن تجاهله أو نفـيه، وعلـى كـل الأحوال فإن جالا قد ماتت قبله فى العاشر من يونيو سنة ١٩٨٢م، إثـر نوبـة قلبية مفاجئة وهى فى التاسعة والثمانين من عمرها، بعد أن قضـت مـع دالـى نحو ثلاث وخمسين سنة، فكان موتها صدمة نفسية كبيرة له، فانـزوى فـى مسقط رأسه وغلبه الحزن وسيطر عليه الهم والضيق وأصيب بداء الاكتئاب فزهد الطعام والشراب فى محاولة لتصفية جسده والموت السريع، فداهمته الأمراض وعانى الهزال وابتعد عن الأضواء يكابد الوحدة، حتى اندلعت النار ذات يوم من سنة ١٩٨٤م فى غرفة نومه لسبب غير معروف فقيل إنه حاول الانتحار، كمـا قـيل إنه نتيجة لإهمال بعض الخدم، إلا أن النتيجة هى إصابته بحروق بالغة وخطـيرة فـتم نقله سريعاً إلى المستشفى الذى أسعفه إلا أنه ظل يعانى مدة طويلة لآثار هذه الحروق.

وقد ظل دالى ملازماً بيته لا يغادره حتى أُدخِل إلى المستشفى فى نوفمبر سنة ١٩٨٨م علـــى إثـــر نوبة قلبية تم السيطرة عليها إلى حد ما، غير أنه ظل ملازماً فـــراش المرض فزاره الملك خوان كارلوس عاهل إسبانيا فى الخامس من ديسمبر ســـنة ١٩٨٨م الـــذى اعترف فى هذه الزيارة بحبه وتقديره لفن دالى، إلا أن حالة دالـــى كانـــت تســـوء أكثر وأكثر لدرجة أنه لم يعد يستطيع أن يتنفس إلا بواسطة أنابيـــب الأكســـجين الـــتى ظلـــت ترافقه ليل نهار، إلى أن فارق الحياة فى الثالث والعشرين من يناير سنة ١٩٨٩م مودعاً العالم بعمر يناهز الرابعة والثمانين، وهو الذى كان يردد دائماً "العباقرة لا يموتون، لذلك لن أموت"، إلا أنه عندما مات ترك وراءه اســـماً خلده بالفن والابتكار وحياة ملأها الجدل وعلامات استفهام وتصرفات اتسمت بالغرابة وأثارت العجب، ليصبح سلفادور دالى أسطورة إلى الأبد، وكان قد ســـجل حـــياته بنفســـه فى عدد من الكتب من تأليفه كان أهمها حياة سلفادور دالى الخفـــية، و ســـلفادور دالى فى الفن الحديث، وعالم سلفادور دالى، ليدفن فى مسقط رأسه فيجوراس فى المقبرة التى أعدها بنفسه وأشرف على إنهائها على النحو الذى يرضيه.

مـــن أعمالـــه الشـــهيرة: مساكن الرغبة سنة ١٩٢٩م، إصرار الذاكرة سنة ١٩٣١م، ولادة الرغـــبات الســـائلة سنة ١٩٣١-١٩٣٢م، صورة ذاتية لجالا سنة ١٩٣٥م (صـــورة رقـــم (٥٦))، هـــاجس الحـــرب الأهلية سنة ١٩٣٦م، الزرافة المُحترقة سنة ١٩٣٧م (صورة رقم (٥٧))، تفكك إصرار الذاكرة سنة ١٩٥٤م.

جاكسون بولوك (١٩١٢ - ١٩٥٦م) Jackson Pollock





ولد بول جاكسون بولوك في مدينة كودي بولاية وايومينغ الأمريكية، وكان أصغر إخوته الخمسة، وقد تفتحت عيناه على حياة بائسة أليمة عانى فيها قسوة أبوين خلا قلبهما من الرحمة والعطف، فأمه عنيفة متسلطة شديدة القسوة، أما أبوه الذى كان فى البداية مزارعاً ثم عمل كمساح للأراضى بالحكومة فلم يكن يبالى بأسرته أو يهتم بها من قريب أو بعيد، بل كان يعيش لنفسه ولرغباته الخاصة، وعندما ضاق ذرعاً بعائلته هجرها تاركاً زوجته وأبناءه ليواجهوا مصاعب الحياة بأنفسهم، فعانى الطفل بول جاكسون بولوك والذى كان فى التاسعة من عمره مشاعر متضاربة من الخوف والحزن والضيق والألم وهو لا يزال فى تلك السن الصغيرة، فكثيراً ما خرج يتجول فى الشوارع والطرقات بائساً متسكعاً بلا أمل أو هدف يعانى نوبات الاكتئاب المتلاحقة والتى لازمته طوال حياته وخاطر الانتحار يراوده من حين لآخر.

وقد درس بولوك الفن فى مدرسة الفنون اليدوية فى لوس أنجلوس عام ١٩٢٨م، ثم انتقل إلى نيويورك بعد سنة تقريباً، حيث انضم إلى اتحاد طلاب الفنون هناك

لإكمـــال تحصيله الفنى، ودرس على يد الفنان توماس هارت بنتون، وخلال الأزمة الاقتصـــادية فى تلك الفترة فقد بولوك كل ما يملكه فأصبح فقيراً معدماً، وأفرط فى شـــرب الخمـــور حـــتى أدمنها، فأصابه المرض والوهن، حيث تم إدخاله إلى أحد المستشـــفيات لعلاجـــه مـــن هـــذا الإدمان سنة ١٩٣٨م، وقد بدأت حالته الصحية والنفسية تتحسن تدريجياً مع اشتراكه فى مشروع الفن الاتحادى الفيدرالى من سنة ١٩٣٨م إلـــى ســـنة ١٩٤٢م.. وكـــان قـــد قابل فى سنة ١٩٤١م الفنانة التشكيلية الأمريكـــية لـــى كراســـنير والتى تزوجها فى أكتوبر سنة ١٩٤٥م، فأصبحت خير معاون له ومن أكثر المتحمسين المدافعين عن فنه.

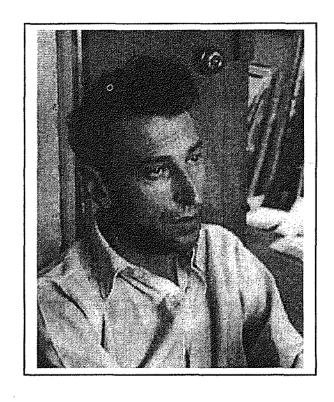
وقـــد استقر جاكسون بولوك بعد زواجه فى بيت خاص وكان يرسم فى إحدى حجرات النوم العليا بالبيت لسنة تقريباً، حتى بدأ يجهز مرسماً خاصاً به فى حظيرة أعـــدت من الخشب بجوار بيته والتى أصبحت مرسمه فيما بعد، فبدأ يرسم بطلاقة، وإن كان بطريقته المتفردة الخاصة التى اشتهر بها بعد ذلك، فتخلص تماماً من كل أدوات التصـــوير التقليدية المعروفة كالفرش وباليت الألوان وحامل اللوحات، حيث كـــان يضع لوحاته ممددة على الأرض بينما يقوم بسكب الألوان السائلة من أعلى علـــيها، أو يقـــوم بثقب إناء الطلاء ويمر به فوق سطح اللوحة فينتج عن ذلك بقع وخطـــوط مكونـــة مـــن قطـــرات لونية متجاورة وأشكال غير مألوفة متداخلة مع بعضها، دون أن يقوم بأى تخطيطات أو مسودات مسبقة لما يريد تصويره، وأحيانا كـــان يمزج ألوانه بمواد متنوعة كقطع الزجاج أو حبيبات الرمل أو قطع من مواد صـــلبة مختلفة ثم يسكب هذه الألوان على سطح اللوحة متجولاً حولها من الجهات الأربـــع، فكـــان يرســـم بجســـمه بالكامل وليس بيده فقط، وكان منظره وهو يقوم بالتصـــوير يـــبدو للبعض وكأنه راقص بارع يقوم بحركات سريعة مدروسة، بينما يبدو للبعض الآخر وكأنه يصارع اللوحة فى قوة وعنفوان، مستخدماً طلاءات لونية لامعـــة، المـــادة الـــرابطة لهـــا مـــن راتينجات صناعية، وقد صنعت فى الأساس لأغـــراض صناعية مثل طلاء السيارات، وقد شجعه على الإقبال على هذه الألوان توافرها ورخص ثمنها عن الألوان الزيتية المعروفة، أما فكرة اللوحة وموضوعها فكـــان وليد اللحظة تأتيه فى الحال أثناء العمل بعفوية وتلقائية لا شعورية عبر فيها عـــن لحظـــات عمره الفائتة من قلق وشجون واضطراب وأحزان وأفراح، محاولاً دائمـــاً تحويـــل هواجسه إلى رموز، قائلاً "إن مصدر رسوماتى هو اللاشعور وأن لوحـــاتى تولـــد مباشرة، فأنا أريد أن أعبر عن مشاعرى"، ومن هنا اتجه كثير من نقاد الفن إلى إيجاد تسمية لهذا الاتجاه الفنى فأطلقوا عليه اسم التعبيرية التجريدية.

ورغم ما عاناه بولوك فى بداية مشواره الفنى شأنه شأن الكثير من الفنانين والمبدعين من التجاهل والنكران، إلا أن النجاح والشهرة عرفا الطريق إليه شيئاً فشيئاً فأقام العديد من المعارض الناجحة، وقيل عنه فى سنة ١٩٤٥م إنه أقوى رسامى جيله وربما أعظمهم، كما تم إنتاج فيلم تسجيلى عنه فى عام ١٩٥١م، وتوالت الاعترافات آنذاك بموهبته الكبيرة المتفردة من خلال العديد من المقالات والكتابات التى نشرت عنه فى الصحف والمجلات عن أهمية أعماله الفنية وتأثيرها على أبناء جيله.

إلا أن هذا النجاح الكبير الذى حققه لم يستطع أن يهدئ نفسه القلقة المضطربة أو يزيل قدراً ولو بسيطاً من الكآبة النفسية العميقة التى كان يعيشها وطاردته منذ طفولته، فغلبه إدمان الخمر، كما ضاقت نفسه بكل ما حوله، فساءت علاقته بزوجته وتعددت مشاكله الأسرية، وانتهى به الأمر إلى أن بقى وحيداً بعد أن هجرته زوجته فى يوليو سنة ١٩٥٦م وتوجهت إلى أوروبا، بينما كان قد داوم على قيادة سيارته بسرعة جنونية وهو سكران حتى وقع المحظور فى مساء يوم الحادى عشر من أغسطس سنة ١٩٥٦م عندما انقلبت سيارته المندفعة بجنون وهو تحت تأثير الخمر بالقرب من منزله بأقل من ميل واحد فى حادث مفجع مروع راح ضحيته بولوك وهو فى الرابعة والأربعين من عمره، وكان معه فى السيارة صديقته الفنانة الشابة روث كليجمان الذى كان على علاقة عاطفية بها وكانت سبباً مباشراً لخلافاته الزوجية، وصديقهما إديث ميزجير الذى لقى حتفه فى الحادث، بينما أصيبت صديقته إصابات خطيرة تعافت بعدها.. ليشتهر اسم بولوك بقوة بعد موته وأصبحت لوحاته تباع بأعلى الأسعار العالمية.

من أعماله: اللهب سنة ١٩٣٤-١٩٣٨م، الطائر سنة ١٩٣٨-١٩٤١م، ذكر وأنثى سنة ١٩٤٢م (صورة رقم (٥٨))، شكل حر سنة ١٩٤٦م (صورة رقم (٥٩)) والذى يظهر فيها أسلوبه الفنى الخاص فى التصوير، ضوء أبيض سنة ١٩٥٤م.

نيكولاس دى ستايل (١٩١٤ – ١٩٥٥م) Nicolas de Staël





رسام فرنســـى مـــن أصل روسى عاش اليتم وعرف معنى الوحدة وعـــانى هجـــر الوطـــن والترحال منذ حداثة سنه، فحيا حياةً صـــعبة متوترة قلقة.. رغم أنه سليل أسرة نبيلة عريقة، فكان ابـــن البارون فلاديمير ستايل فون هولشتاين الجنرال العسكرى من كبار قادة جيش القيصـــر، والـــذى هاجر هارباً إلى بولندا مع أسرته فى سنة ١٩١٩م بسبب الثورة الروســـية، معانـــياً كثيراً فى رحلته بسبب أوضاع البلاد السياسية فى ذلك الوقت، لـــيموت فى بولندا بعد سنتين فقط من هجرته إليها وهو فى السادسة والثمانين من عمـــره تاركـــاً الطفل نيكولاس وهو فى عمر السابعة فى رعاية زوجته التى ماتت هى الأخرى بعد سنة واحدة فقط من رحيل زوجها، فانتقل نيكولاس إلى بروكسيل حيث عاش فى ملجأ للمهاجرين الروس هناك، إلا أنه هرب من الملجأ فتبنته وأخته الأكـــبر سناً مارينا عائلة غنية من أصل روسى وذلك فى سنة ١٩٢٢م، حيث تعلم فـــى أفضـــل المدارس وتلقى أحسن الرعاية، وقرر الاتجاه للرسم وهو فى الثامنة عشرة من عمره، وبالفعل التحق بأكاديمية الفنون الملكية ببروكسيل فى سنة ١٩٣٢م

وهـــناك تعلـــم قواعـــد الرســـم والتصوير، وسرعان ما بدأ بالسفر إلى كافة أنحاء أوروبـــا لـــرؤية أساليب الفن المختلفة، فتعرف فى هولندا على فن رمبرانت وفى بـــاريس تأثـــر بلوحات بول سيزان وهنرى ماتيس وتنقل بين إسبانيا وإيطاليا إلى جانـــب ســـفره أيضاً إلى المغرب والجزائر، إلا أنه استقر فى باريس سنة ١٩٣٨م لينضـــم للخدمـــة العسكرية فى الفرقة الأجنبية للجيش الفرنسى سنة ١٩٣٩م خلال الحـــرب العالمية الثانية، حيث خدم فى الجزائر وتونس فى رسم وتجهيز الخرائط للقـــوات العســـكرية هـــناك، حتى سرح من الجيش فى سبتمبر سنة ١٩٤٠م عقب المعـــاهدة الـــتى أبرمت فى تلك السنة، فعاد إلى مدينة نيس لملاقاة الرسامة الشابة الجمـــيلة جينيـــن جويلو والتى سبق أن قابلها بالمغرب فى سنة ١٩٣٦م ووقع فى حـــبها ووعدهـــا بعـــودة اللقاء، وبالفعل تحقق الوعد وأنجب منها ابنته آن فى سنة ١٩٤٢م فى وقت كان يعانى فيه مرارة الفاقة والفقر المدقع لدرجة أنه فى كثير من الأحيان لم يكن يستطيع أن يؤمن الغذاء الضرورى لأسرته أو يجد قوت يومه رغم جهـــوده المتواصـــلة لكسب المال بشتى الوسائل والطرق، فأحياناً يستنسخ لوحات كـــبار الرســـامين المعروضـــة فى متحف اللوفر ليبيعها، وأحياناً أخرى يعمل فى صناعة الدواليب البسيطة وتلميع الأثاث، فى هدف واحد فقط هو الحصول على ما تســـتقيم بـــه حـــياته، ونتـــيجة لتلك الظروف القاسية فضلت جينين إجهاض نفسها للـــتخلص من جنينها والتى رأت أن بمقدمه للحياة قد تزيد الضغوط والمشقة عليهما أكثر مما هى عليه، ففارقت هى الأخرى الحياة ولقيت حتفها أثناء عملية الإجهاض نتـــيجة لضـــعف بنيـــتها وسوء تغذيتها وذلك فى فبراير من سنة ١٩٤٦م فاتسمت أعمالـــه الفنـــية فى تلك الفترة بالتشاؤم والاكتئاب وضربات الفرشاة العنيفة القوية، حتى قابل السيدة فرانسيس تشابوتون فى ربيع عام ١٩٤٦م، وتزوجها فى مايو من نفـــس العام، فابتسمت له الحياة وصالحته الأقدار فحصل على الجنسية الفرنسية فى ســـنة ١٩٤٨م وبـــدأ يرسم لوحات زيتية كبيرة الحجم ذات مواضيع جديدة متميزة، كمـــا قـــابل عدداً من تجار اللوحات نظموا له العديد من المعارض الفنية، واشتروا عـــدداً كبـــيراً من أعماله، وبدأت المقالات والمواضيع الصحفية تكتب عنه، فجذب انتباه النقاد ومحبى الفنون حول العالم.

ومع كل هذا النجاح والشهرة الذى لم يكن يخطر له على بال ، انتقل نيكولاس دى ســـتايل إلـــى جنوب فرنسا فى سبتمبر سنة ١٩٥٤م ليعيش وحيداً منعزلاً بعيداً عـــن عائلـــته وأصدقائه جميعاً معانياً الضيق والاكتئاب اللذين سيطرا عليه، فرسم العديـــد من اللوحات الكبيرة لمواضيع طبيعة صامتة ومناظر طبيعية وبحرية، كما

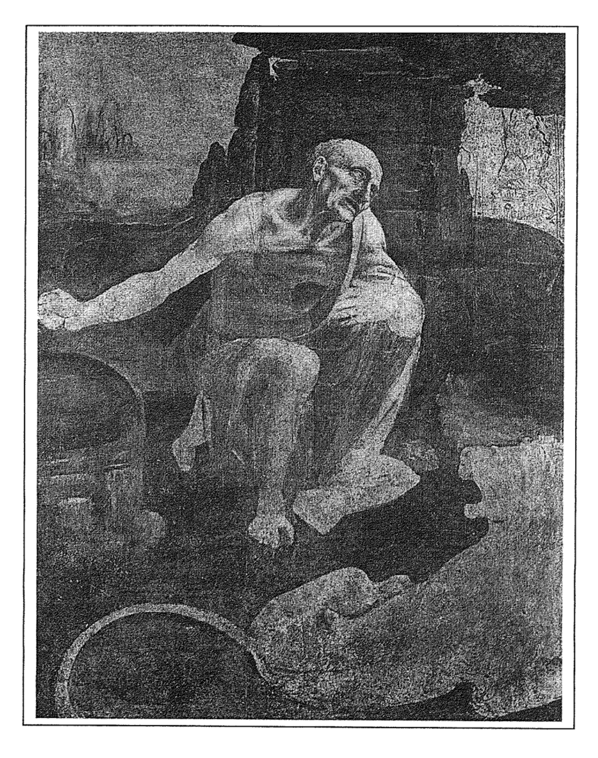
حطـــم كثـــيراً من أعماله الفنية الأخرى خاصة تلك التى رسمها فى بداية مشواره الفـــنى، ومـــع ازديـــاد حالته النفسية سوءاً أنهى حياته بنفسه فى السادس عشر من مارس سنة ١٩٥٥م بأن انتحر بإلقاء نفسه من شرفة مرسمه ليسقط ميتاً على الفور وهو فى الحادية والأربعين من عمره.

مـــن أعمالـــه: سباق الماراثون سنة ١٩٤٨م (صورة رقم (٦٠))، نهر السين سنة ١٩٥٤م، الرف سنة ١٩٥٥م.

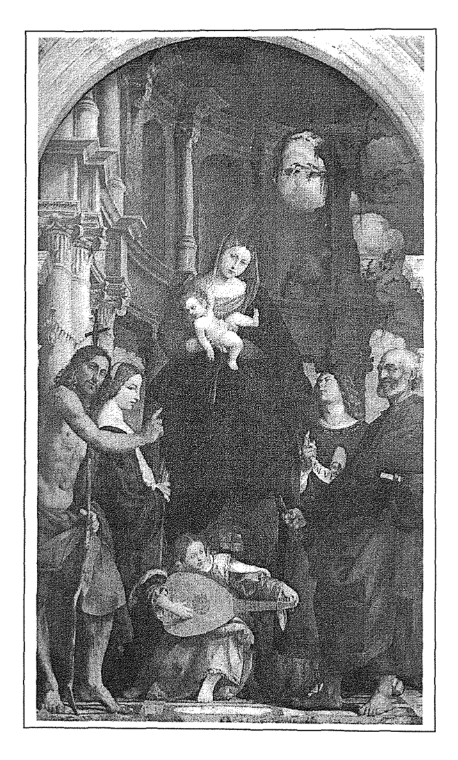
ملحق الصور



صورة رقم (١): عذراء الصخور، للفنان ليوناردو دافنشى، سنة ١٥٠٣-١٥٠٦م.
National Gallery, London, UK.



صورة رقم (٢): القديس جيروم، للفنان ليوناردو دافنشى، سنة ١٤٨٠م.
Pinacoteca Vaticana, Vatican, Rome, Italy.

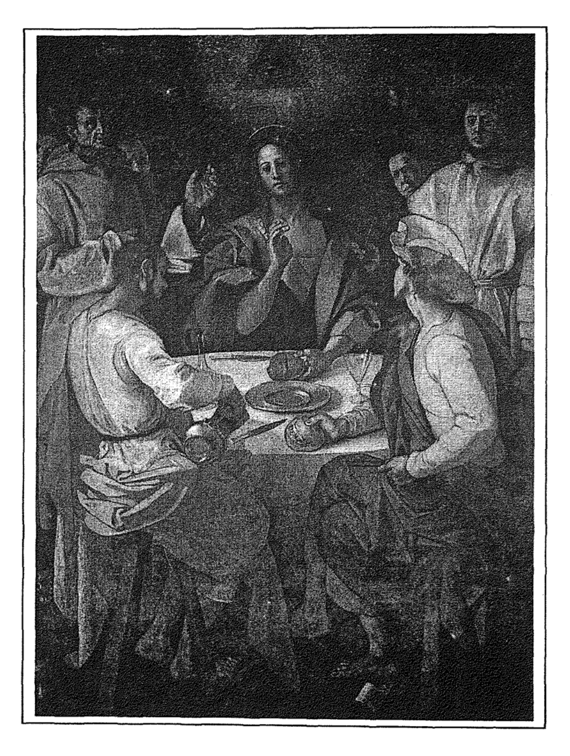


صورة رقم (٣): مادونا والطفل مع القديسين، للفنان بوردينون، سنة ١٥٢٥م.
Parish church, Susegana, Treviso, Italy.

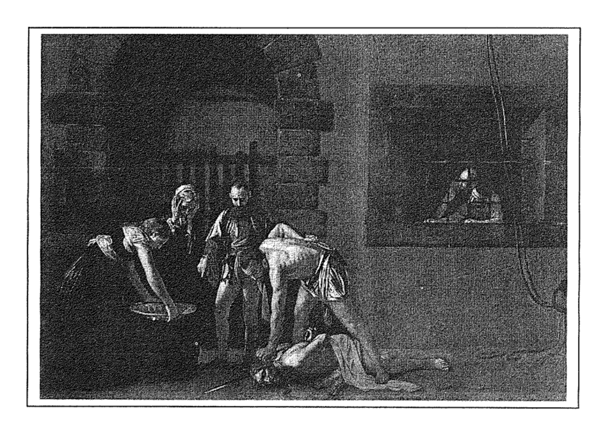


صـــورة رقـــم (٤): لوحـــة القديس لوقا يرسم لوحة السيدة العذراء، للفنان نيكلوس مانويل، سنة ١٥١٥م.

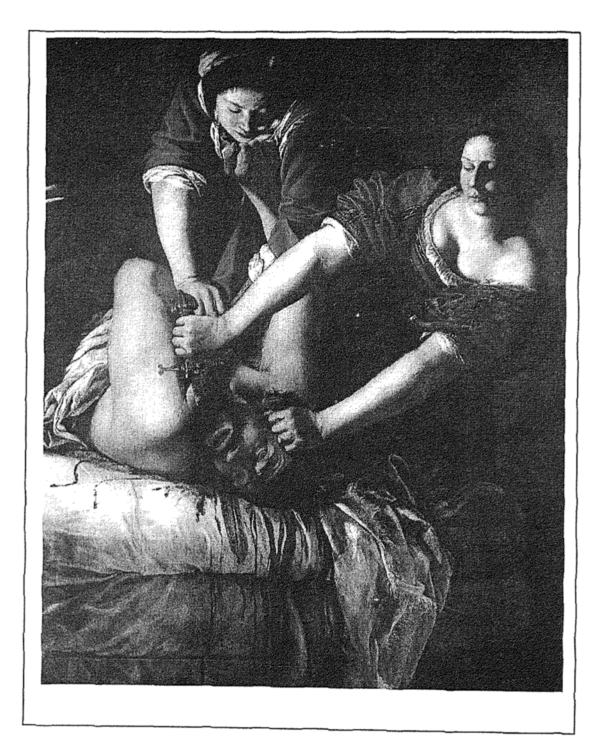
Kunstmuseum, Bern, Switzerland.



صورة رقم (٥): لوحة العشاء في عمواس، للفنان جاكوبو بونتورمو، سنة ١٥٢٥م.
Galleria degli Uffizi, Florence, Italy.

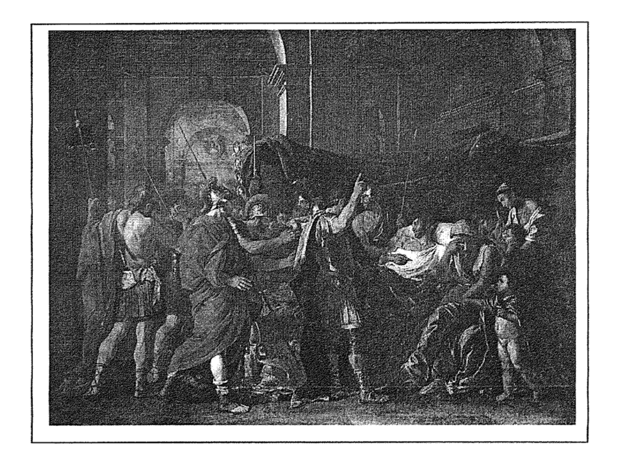


صورة رقم (٦): قطع رأس يوحنا المعمدان، للفنان كارافاجيو، سنة ١٦٠٨م.
Saint John Museum, La Valletta, Malta.



صـــورة رقم (٧): لوحة جوديث تقطع رأس هولوفرنيس، للفنانة آرتيميسيا جينتيليسكى، سنة ١٦١١-١٦١٢م.

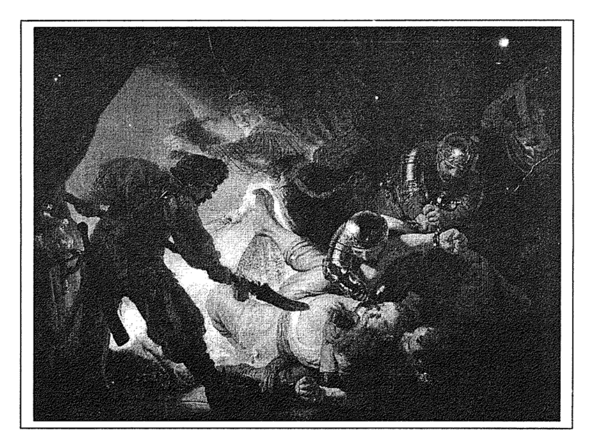
Museo Nazionale di Capodimonte, Naples, Italy.



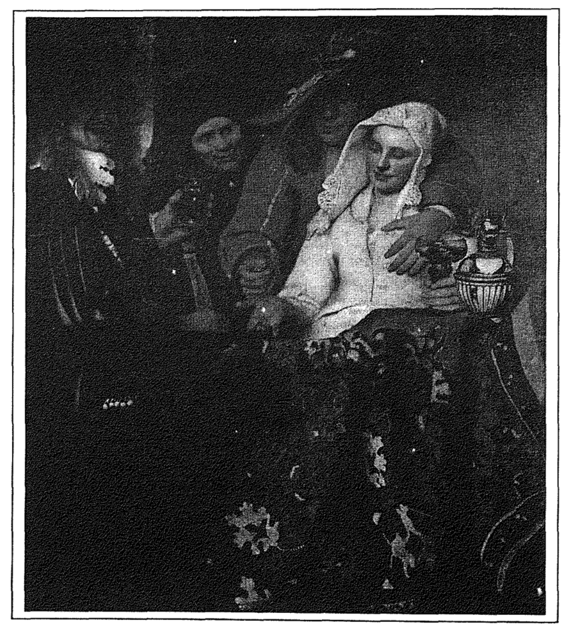
صورة رقم (٨): لوحة موت جيرمانيكوس، للفنان نيكولاس بوسين، سنة ١٦٢٧م.
Minneapolis Institute of Arts, Minneapolis, Minnesota, USA.



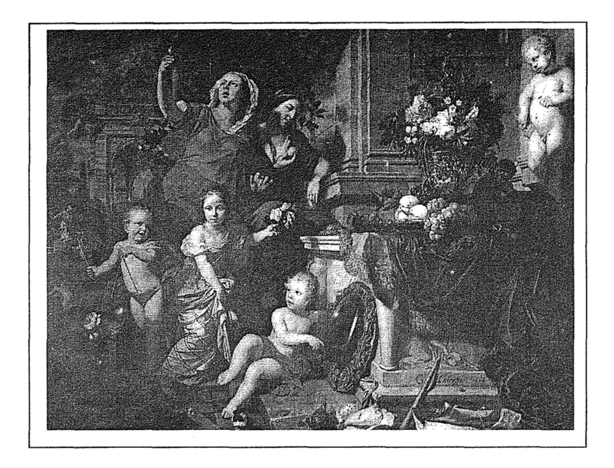
صــورة رقم (٩): ساسكيا زوجة الفنان رمبرانت، تَظْهرُ وكأنها فلورا، إلهة الربيعِ والزهورِ، اللوحة للفنان رمبرانت، سنة ١٦٣٤م.
Hermitage Museum, Saint Petersburg, Russia.



صورة رقم (١٠): فقأ عينى شمشون، للفنان رمبرانت، سنة ١٦٣٦م.
Stādelsches Kunstinstitut, Frankfurt, Germany.



صورة رقم (١١): اللوحة بعنوان القوّادة، للفنان جان فيرمير، سنة ١٦٥٦م.
Gemäldegalerie, Dresden, Germany.



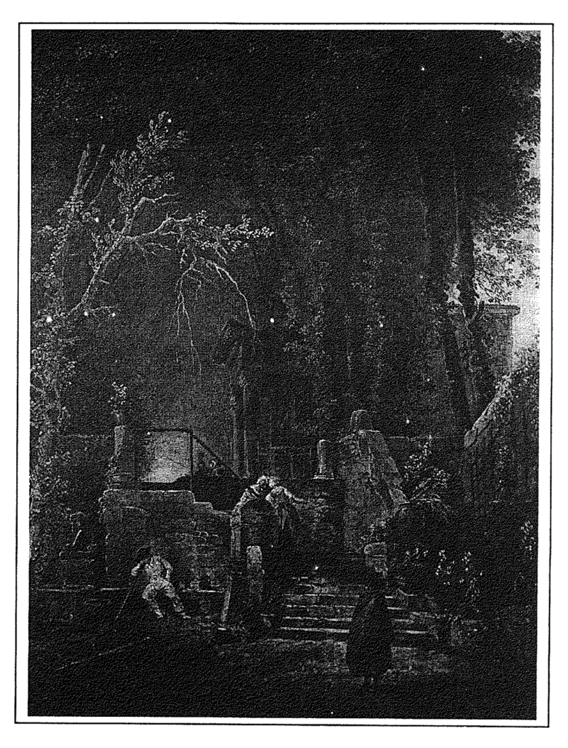
صــورة رقم (١٢): لوحة حكاية الحواس ألخمسه، للفنان جيرارد دى ليريس، سنة ١٦٦٨م.

Glasgow Museum, Glasgow, Scotland, UK.

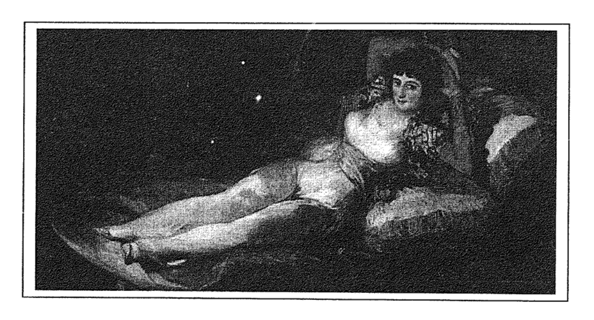


صـــورة رقـــم (١٣): لوحة جورج كلايف وعائلته مع جارية هندية، للفنان جوشوا رينولدز، سنة ١٧٦٥م.

Staatliche Museen, Berlin, Germany.



صورة رقم (١٤): لوحة بعنوان المتنزه الإيطالي، للفنان هيوبرت روبرت.
Museu Calouste Gulbenkian, Lisbon, Portugal.

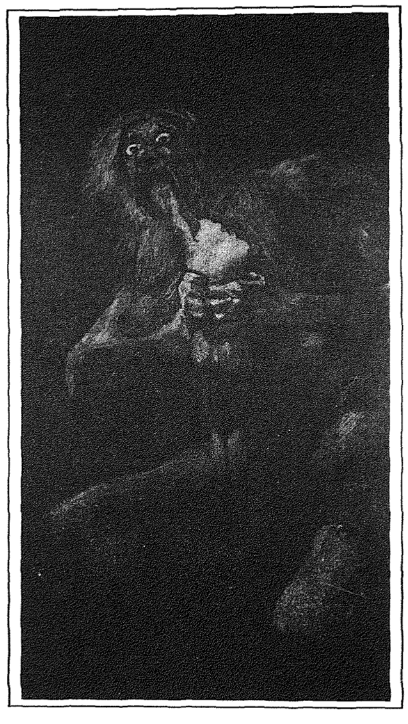


صورة رقم (١٥): مايا المتدثرة بالملابس، للفنان فرانشيسكو جويا، سنة ١٨٠٠ – ١٨٠٣م.

Museo del Prado, Madrid, Spain.

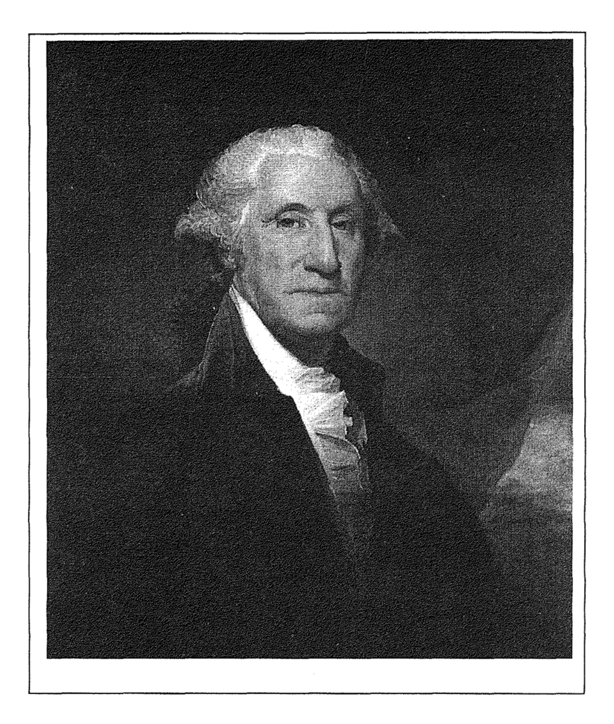


صورة رقم (١٦): عائلة الملك شارل الرابع، للفنان فرانشيسكو جويا، سنة ١٨٠٠م.
Museo del Prado, Madrid, Spain.



صورة رقم (١٧): ساتورن يلتهم أحد أبنائه، للفنان فرانشيسكو جويا، سنة ١٨١٩-١٨٢٣م.

Museo del Prado, Madrid, Spain.



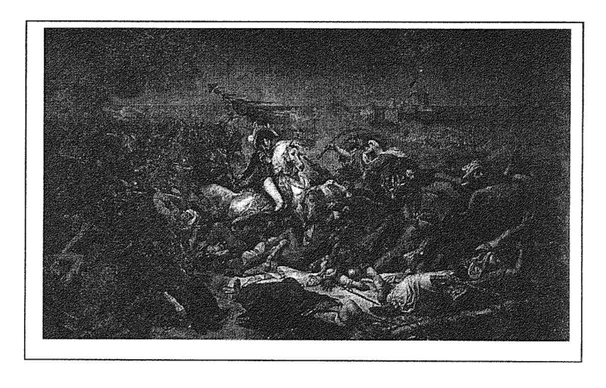
صـورة رقم (١٨): اللوحة بعنوان جورج واشنطن، للفنان جلبرت ستيوارت، سنة ١٧٩٥م.

Metropolitan Museum of Art, New York, USA.

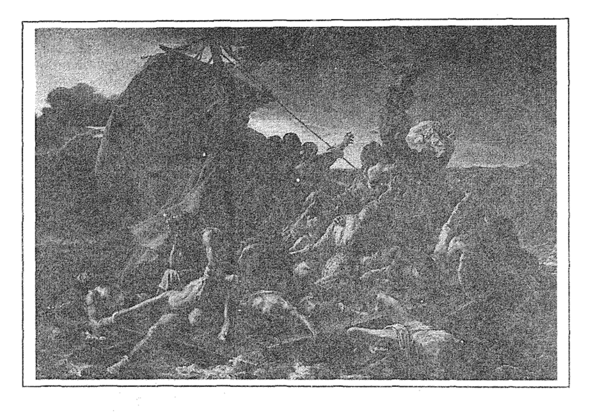


صورة رقم (١٩): نابليون بونابرت على جسر أركول، للفنان أنطوان جروز، سنة ١٧٩٦ - ١٧٩٧م.

Hermitage Museum, Saint Petersburg, Russia.



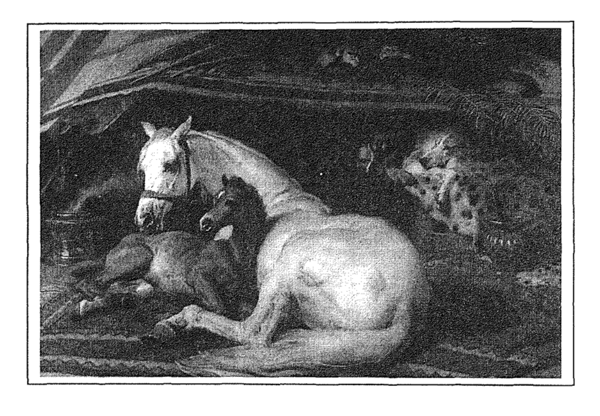
صورة رقم (٢٠): لوحة معركة أبو قير، للفنان أنطوان جروز، سنة ١٨٠٦م.
Musée national du Chateau, Versailles, France.



صورة رقم (٢١): لوحة طوف ميدوزا، للفنان تيودور جيريكو، سنة ١٨١٩م.
Musée du Louvre, Paris, France.



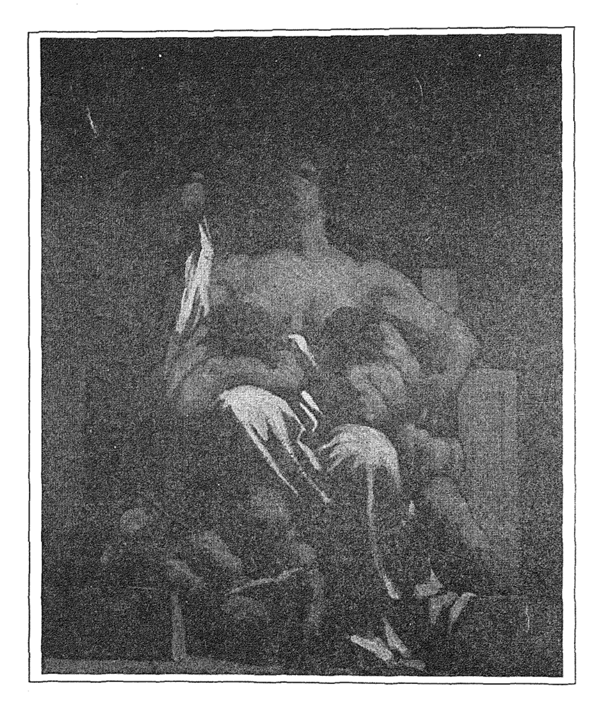
صورة رقم (٢٢): ضابط من الخياله يهجم، للفنان تيودور جيريكو، سنة ١٨١٢م.
Musée du Louvre, Paris, France.



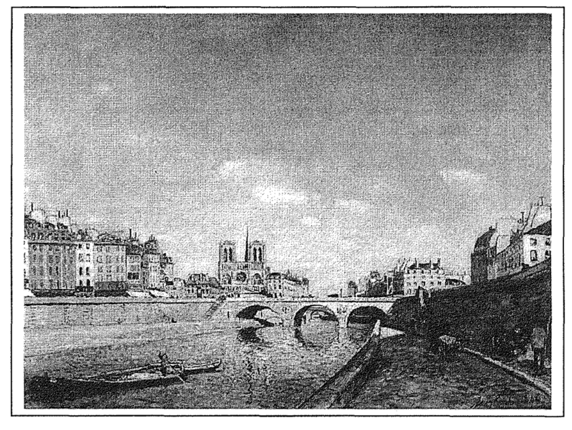
صورة رقم (٢٣): لوحة الخيمة العربية، للفنان إدوين هنري لاندسير، سنة ١٨٦٦م.
Wallace Collection, London, UK.



صورة رقم (٢٤): لوحة منازل بضواحى فينا، للفنان أدالبيرت شتيفتر، سنة ١٨٣٩م.
Österreichische Galerie Belvedere, Vienna, Austria.

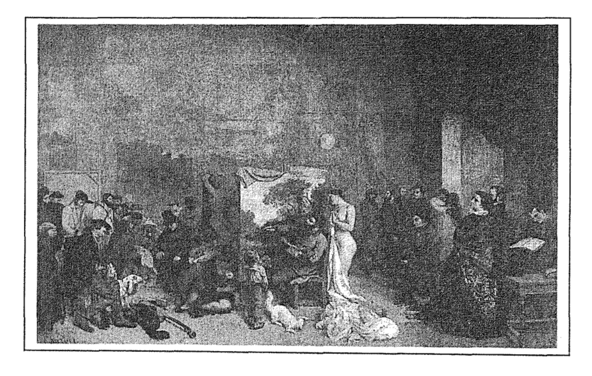


صورة رقم (٢٥): لوحة الجمهورية، للفنان هونوريه دومييه، سنة ١٨٤٨م.
Musée d'Orsay, Paris, France.



صــورة رقــم (٢٦): لوحة نهر السين وكاتدرائية نوتردام بباريس، للفنان جوهان بارثولد جونجكيند، سنة ١٨٦٤م.

Musée d'Orsay, Paris, France.



صورة رقم (٢٧): لوحة بعنوان مرسم الرسام، للفنان جوستاف كوربيه، سنة ١٨٥٤-١٨٥٥م.

Muse͡e d'Orsay, Paris, France.

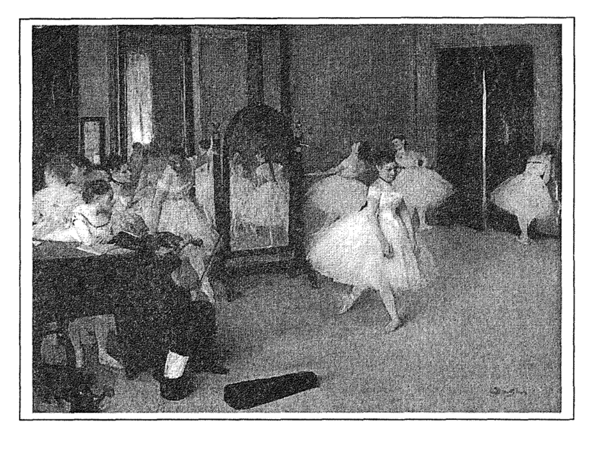


صـورة رقـم (٢٨): لوحـــة بيتا بيتريكس، للفنان دانتي جابريل روزسيتى، سنة ١٨٦٤ - ١٨٧٠م.

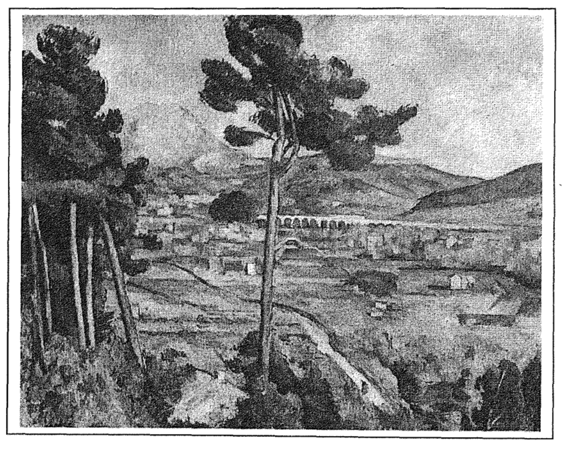
Tate Gallery, London, UK.



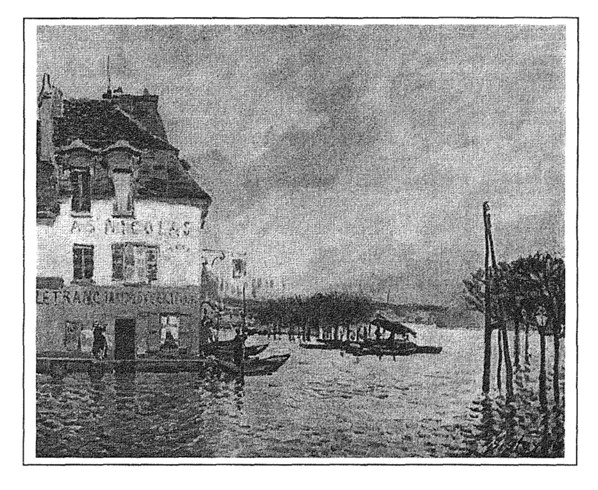
صورة رقم (٢٩): فتاة تغسل الصحون، للفنان كاميل بيسارو، سنة ١٨٨٢م.
Fitzwilliam Museum, Cambridge, England, UK.



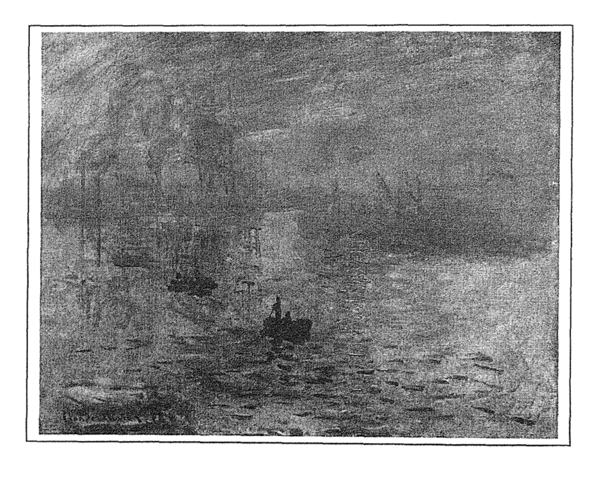
صورة رقم (٣٠): قاعة التدريب على الرقص، للفنان إدجار ديجا، سنة ١٨٧١م.
Metropolitan Museum of Art, New York, USA.



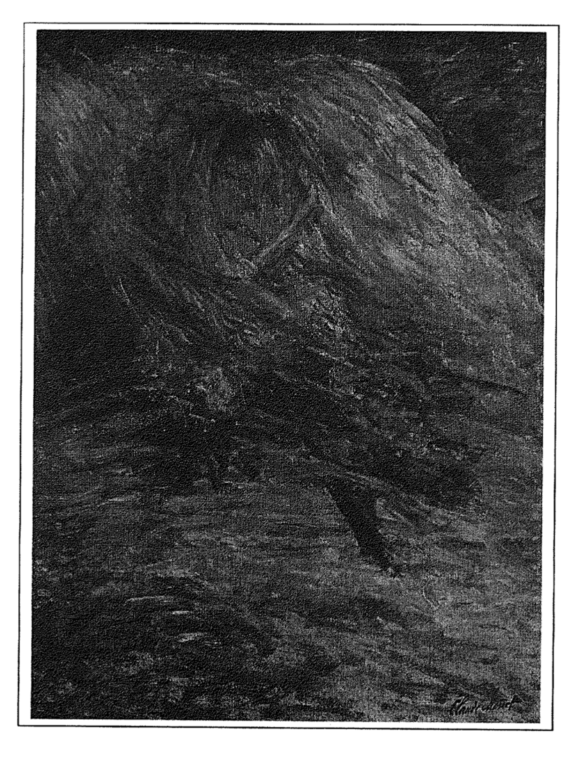
صورة رقم (٣١): جبل سان فيكتور، للفنان بول سيزان، سنة ١٨٨٥ – ١٨٨٧م.
Metropolitan Museum of Art, New York, USA.



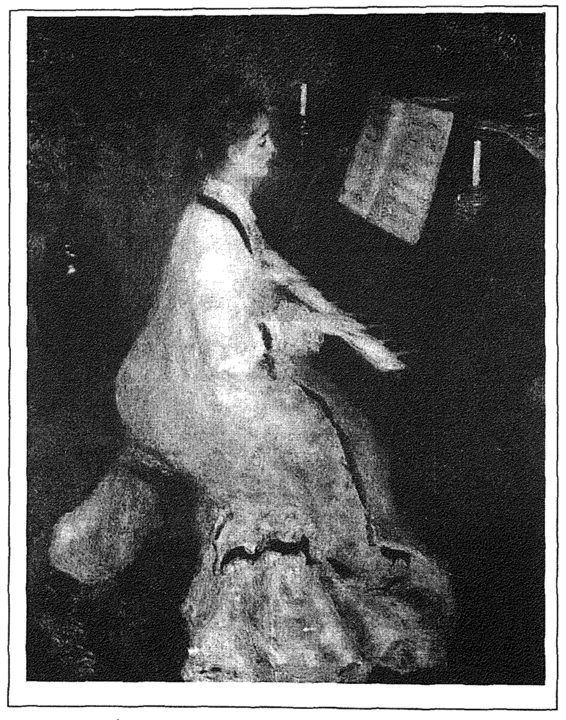
صورة رقم (٣٢): فيضان فى ميناء مارلى، للفنان ألفريد سيسلى، سنة ١٨٧٦م.
Musée des Beaux-Arts, Rouen, France.



صورة رقم (٣٣): بعنوان "تأثير – شروق شمس"، للفنان كلود مونيه، سنة ١٨٧٣م.
Musée Marmottan, Paris, France.



صورة رقم (٣٤): كاميل على فراش الموت، للفنان كلود مونيه، سنة ١٨٧٩م.
Musée d'Orsay, Paris, France.



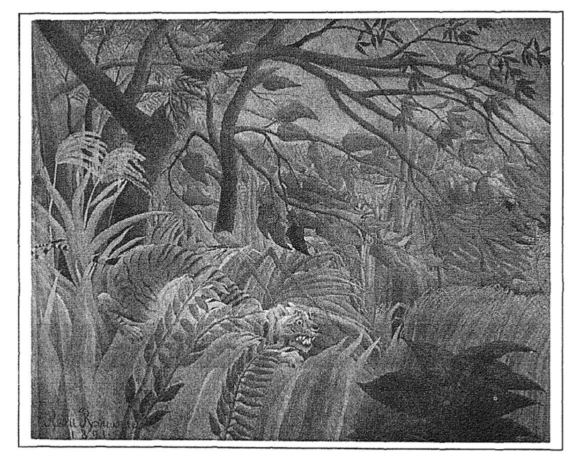
صــورة رقم (٣٥): بعنوان سيدة تعزف على البيانو، للفنان بيير أوجست رينوار، سنة ١٨٧٥م.

The Art Institute of Chicago, Chicago, USA.



صورة رقم (٣٦): بعنوان اليوم الأخير لرجل محكوم عليه بالإعدام، للفنان ميهالى مونكاسى، سنة ١٨٧٠م.

Hungarian National Gallery, Budapest, Hungary.



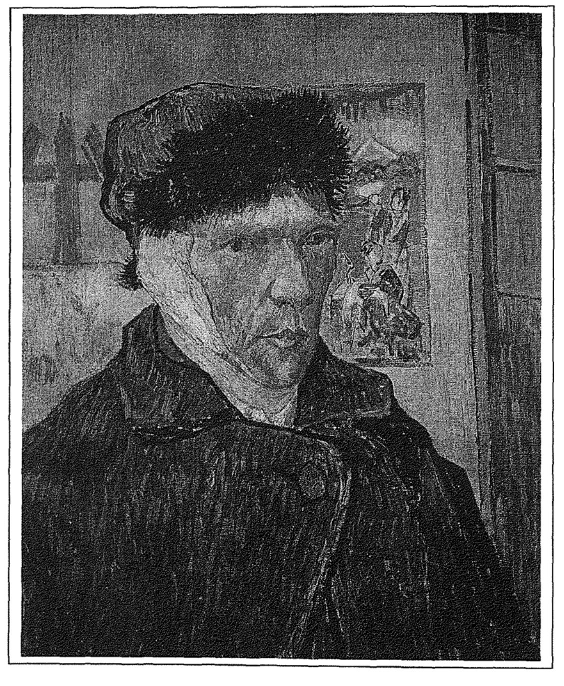
صــورة رقــم (٣٧): بعنوان نمر فى عاصفة استوائية، للفنان هنرى روسو، سنة ١٨٩١م.

National Gallery, London, UK.



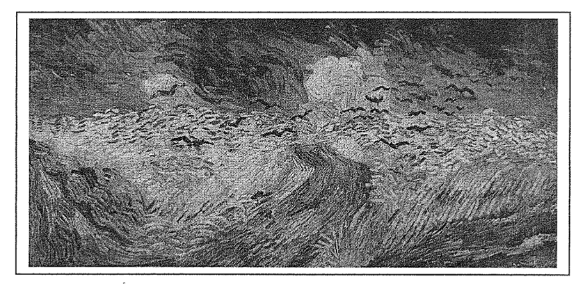
صورة رقم (٣٨): بعنوان نساء من تاهيتى على الشاطئ، للفنان بول جوجان، سنة ١٨٩١م.

Musée d'Orsay, Paris, France.



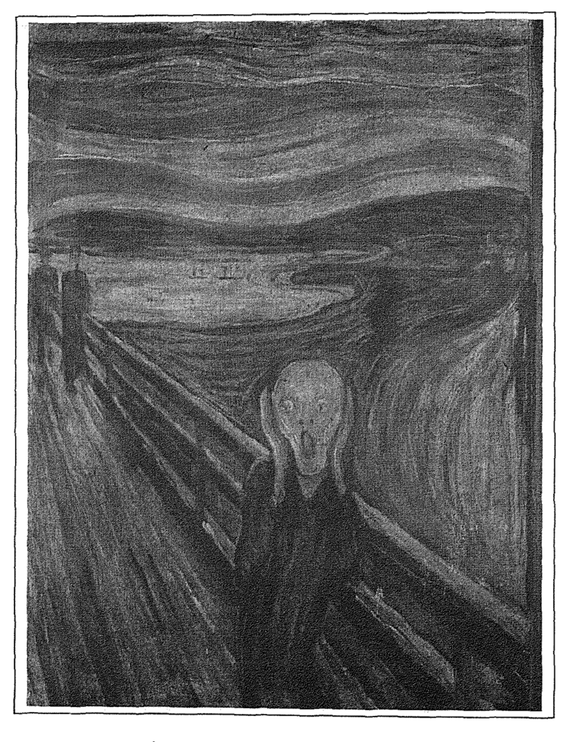
صــورة رقــم (٣٩): بعنوان صورة ذاتية وأذن مضمد، للفنان فينسنت فان جوخ، سنة ١٨٨٩م.

Courtauld Institute Galleries, London, UK.

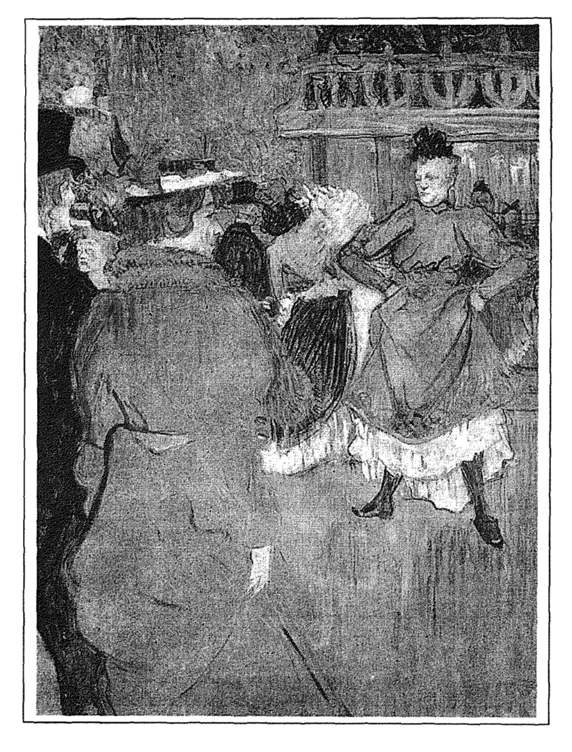


صـــورة رقـــم (٤٠): بعنوان حقل القمح والغربان، للفنان فينسنت فان جوخ، سنة ١٨٩٠م.

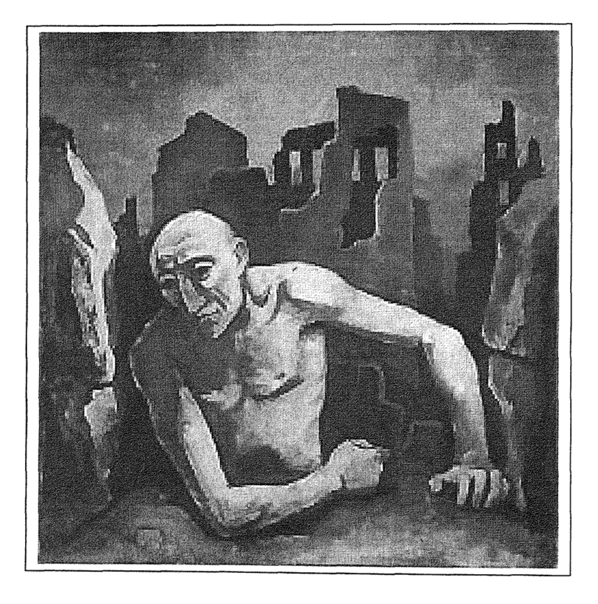
Van Gogh Museum, Amsterdam, The Netherlands.



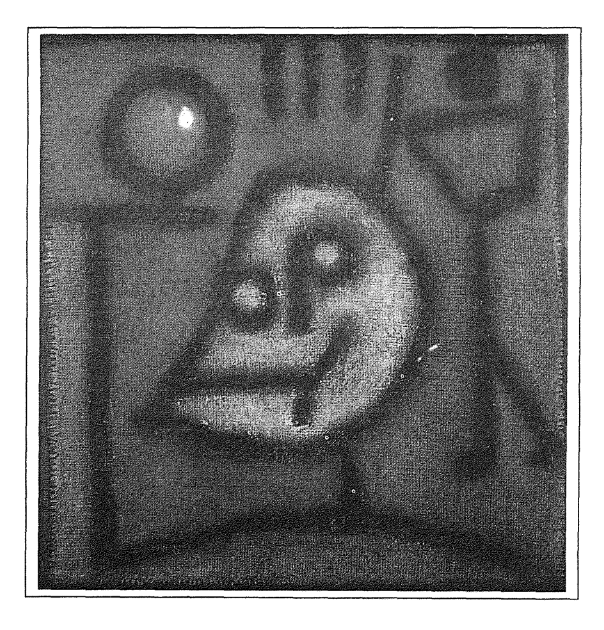
صورة رقم (٤١): بعنوان الصرخة، للفنان ادوارد مونخ، سنة ١٨٩٣م.
Nasjonalgalleriet, Oslo, Norway.



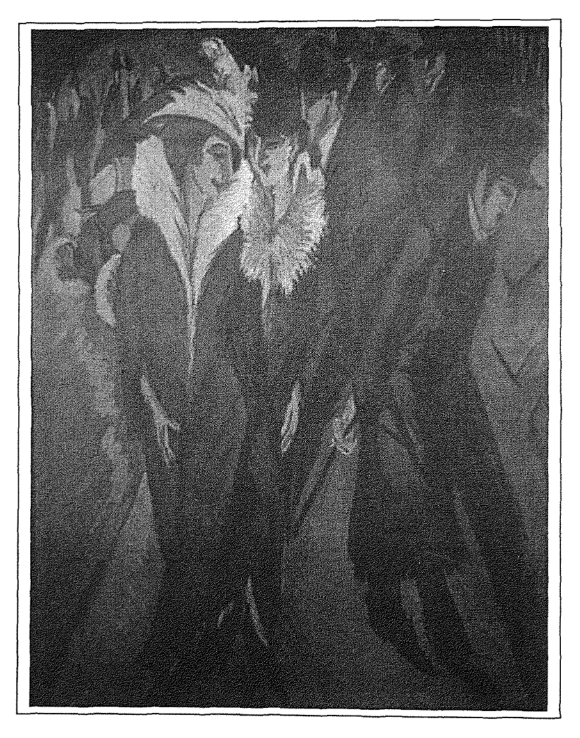
صـــورة رقـــم (٤٢): لوحة بِداية الرقصة الرباعية في ملهى المولان روج (ملهى الطاحونة الحمراء)، للفنان هنرى دى تولوز لوتريك، سنة ١٨٩٢م.
National Gallery of Art, Washington, D.C., USA



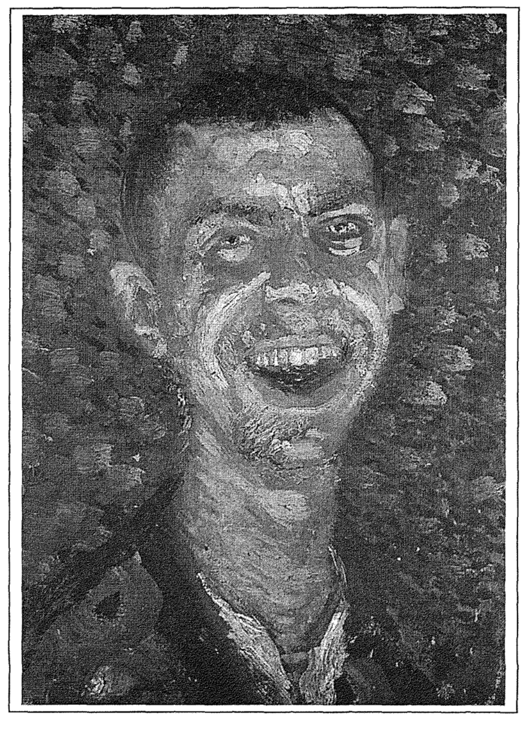
صورة رقم (٤٣): لوحة بعنوان رجل فى الخراب، للفنان كارل هوفر، سنة ١٩٣٧م.
National Museum Kassel, Germany.



صورة رقم (٤٤): لوحة الموت والنار، للفنان بول كلى، سنة ١٩٤٠م.
Kunstmuseum, Bern, Switzerland.



صورة رقم (٤٥): لوحة شارع – برلين، للفنان إيرنست كيرشنر، سنة ١٩١٣م.
Museum of Modern Art, New York, USA.



صــورة رقم (٤٦): صورة ذاتية للفنان وهو يضحك، للفنان ريتشارد جيرسل، سنة ١٩٠٨م.

Österreichische Galerie Belvedere, Vienna, Austria.

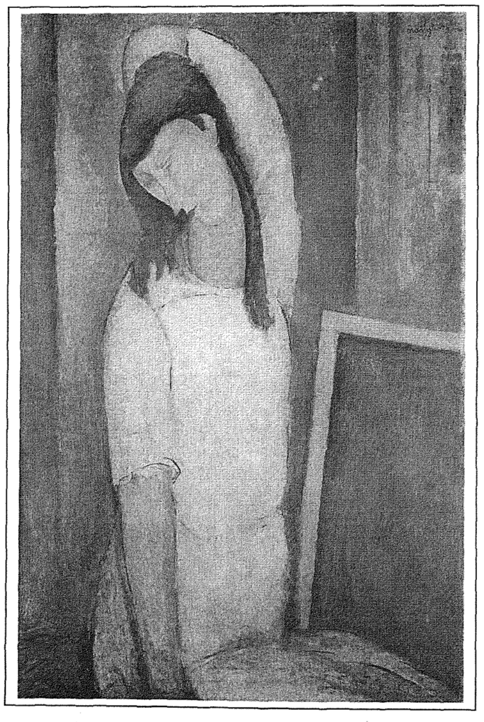


صــورة رقم (٤٧): لوحة شارع فى ضاحية، للفنان موريس أوتريللو، حوالي سنة ١٩١٠م.

Museum of Fine Arts, Boston. USA.



صورة رقم (٤٨): بعنوان الليل، للفنان ماكس بيكمان، سنة ١٩١٨-١٩١٩م.
Kunstsammlung Nordrhein-Westfalen, Düsseldorf, Germany.

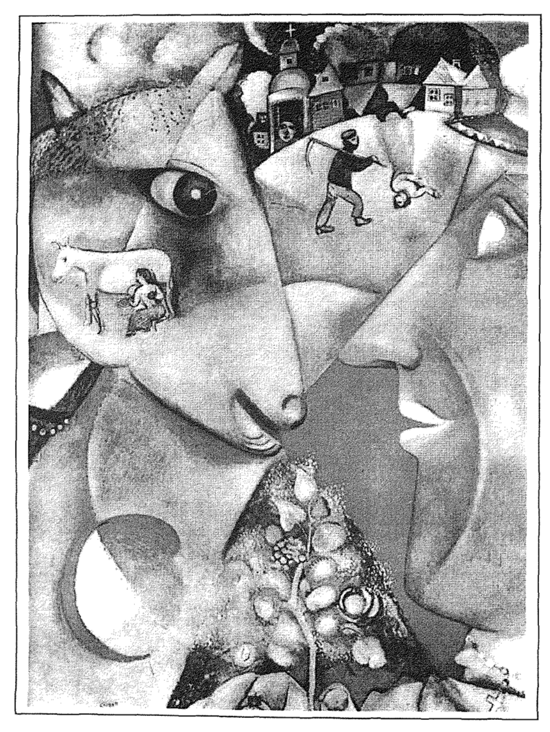


صورة رقم (٤٩): صورة ذاتية لجين هيبوترن تضع ذراعها الأيسر خلف رأسها، للفنان أميديو موديليانى، سنة ١٩١٩م.
The Barnes Foundation, Merion, Pennsylvania, USA.



صـــورة رقـــم (٥٠): لوحة بعنوان فتاة إنجليزية جميلة، للفنان جولز باسين، سنة ١٩١٦م.

Musée National d'Art Moderne, Paris, France.



صورة رقم (٥١): بعنوان أنا والقرية، للفنان مارك شاجال، سنة ١٩١١م.
Museum of Modern Art, New York, USA.

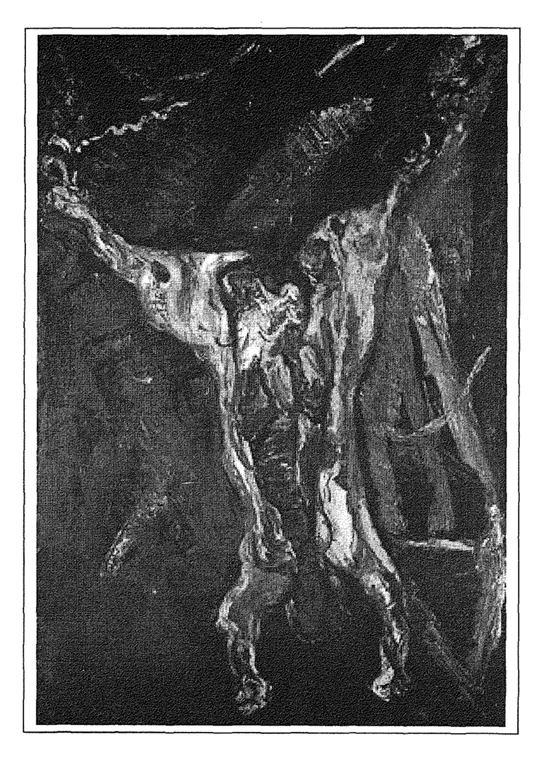


صورة رقم (٥٢): لوحة الموت والعذراء، للفنان إجون شيل، سنة ١٩١٥-١٩١٦م.
Österreichische Galerie Belvedere, Vienna, Austria.



صـورة رقـم (٥٣): صورة ذاتية للكاتب ليتن ستراتشى، للفنانة دورا كارينجتون، سنة ١٩١٦م.

National Portrait Gallery, London, UK.

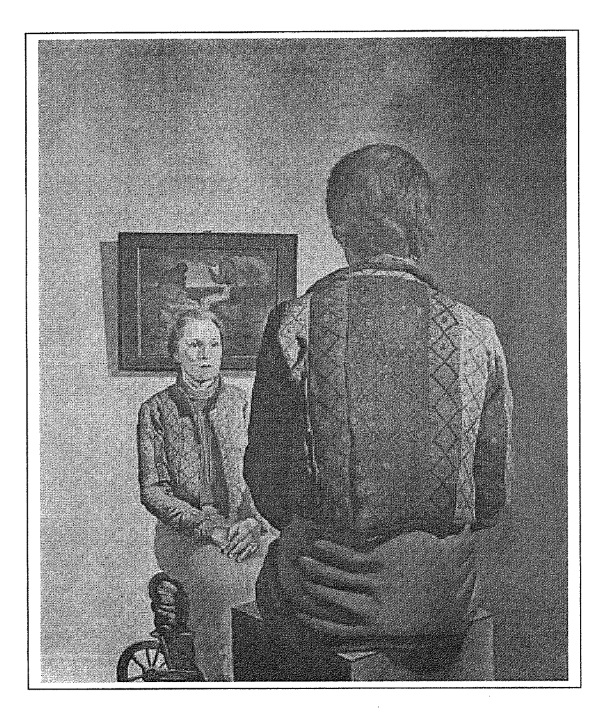


صورة رقم (٥٤): بعنوان جثة من لحمِ البقر، للفنان حاييم سوتين، سنة ١٩٢٥م.
Minneapolis Institute of Arts, Minneapolis, Minnesota, USA.

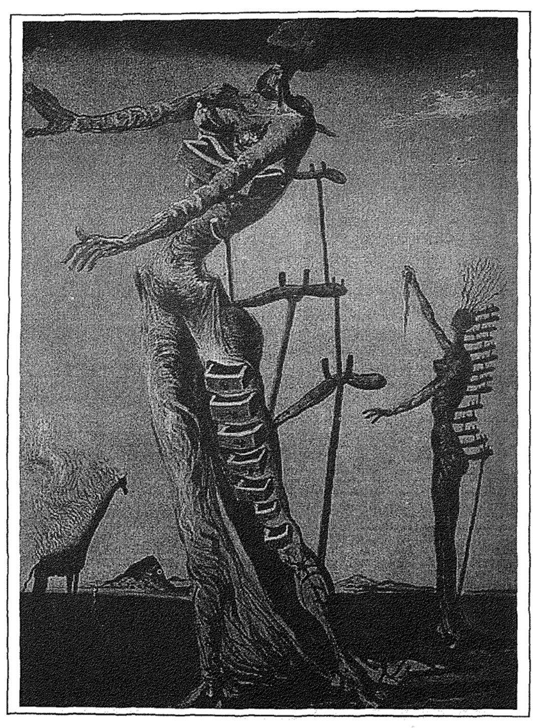


صورة رقم (٥٥): لوحة بعنوان الفنان وأمه، للفنان أرشيل جوركى، الفترة من سنة ١٩٢٦ إلى ١٩٤٢م.

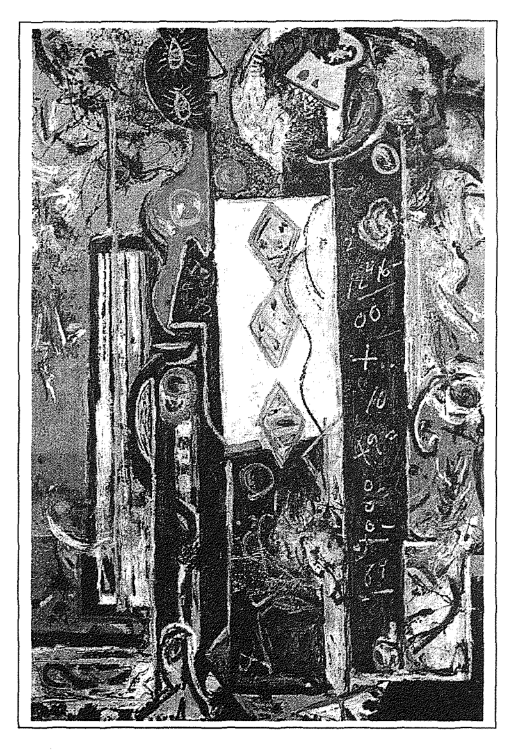
National Gallery of Art, Washington, D.C., USA.



صورة رقم (٥٦): بعنوان صورة ذاتية لجالا، للفنان سلفادور دالى، سنة ١٩٣٥م.
Museum of Modern Art, New York, USA.



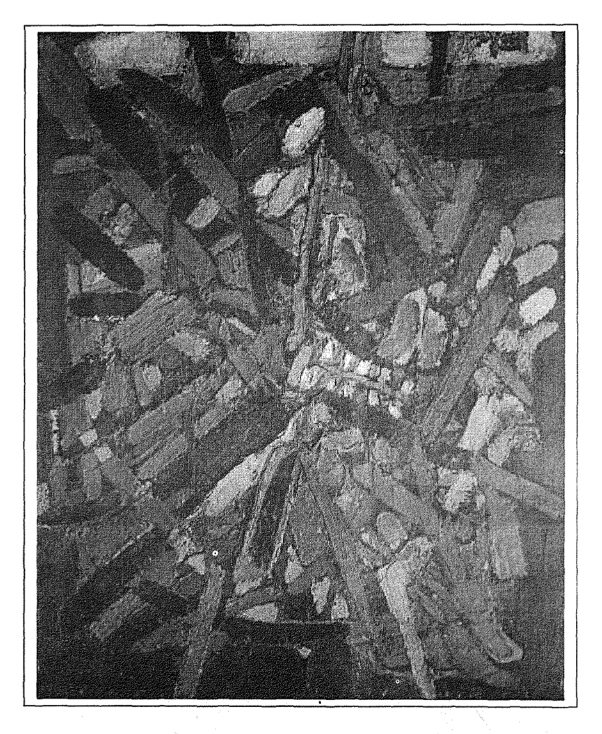
صورة رقم (٥٧): بعنوان الزرافة المحترقة، للفنان سلفادور دالى، سنة ١٩٣٧م.
Kunstmuseum Basel, Basel, Switzerland.



صورة رقم (٥٨): بعنوان ذكر وأنثى، للفنان بول جاكسون بولوك، سنة ١٩٤٢م.
Philadelphia Museum of Art, Philadelphia, Pennsylvania, USA.



صورة رقم (٥٩): بعنوان شكل حر، للفنان بول جاكسون بولوك، سنة ١٩٤٦م.
Museum of Modern Art, New York, USA.



صــورة رقــم (٦٠): بعــنوان سباق الماراثون، للفنان نيكولاس دى ستايل، سنة ١٩٤٨م.

Tate Gallery, London, UK.

المحتويات

صدر للمؤلف

١- جولة في فن وتاريخ التصوير الزيتي. مكتبة الأنجلو المصرية. ٢٠٠٣م.

٢- في فكر ترميم اللوحات الزيتية. مكتبة الأنجلو المصرية. ٢٠٠٤م .

٣- التفكير بالألوان. مكتبة الأنجلو المصرية. ٢٠٠٦م.

٤- موضوعات الإنجيل بريشة الفن. مكتبة مدبولى. ٢٠٠٧م.

٥- المنتقى من أشغال الحديد. مكتبة مدبولى. ٢٠٠٧م.

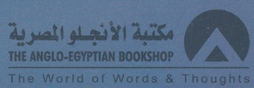


هذا الكتاب

صفعة الزمان وإبداع الفنان .. صور مأساوية من حياة خمسين فنانا ، عاشوا بالأمل وصاحبهم الألم ، فمنهم من عانى النكران والجحود فى حياتهم فلم تلق أعمالهم أى اهتمام أو استحسان وكثير أرهقهم الجرى وراء لقمة العيش فعاشوا فى عوز وفاقة وفقر وهناك من تجرع آلام المرض ووبال السقم وآخرون أعياهم الاضطهاد وتقلبات الأوضاع السياسية وويلات الحروب وكوارثها . . فانتحر الكثيرون يائسين قانطين كارهين الحياة بكل ما فيها ومات آخرون يتجرعون آلام الهوان ومرارة الحياة ومع ذلك خرج من معاناتهم الإبداع وولد من أزماتهم النجاح ، فكانت المعاناة دافعهم والأزمات محركهم ، فلم يستسلموا لصفعة الزمان أو هوان الحياة ، تاركين خلفهم ما هو أعظم من المال وأبقى من الجاه والسلطان ، وهى أعمالهم الفنية التى خلدت أسماءهم وحفظت ذكرى حياتهم وأصبحت شاهدة على معاناتهم وآلامهم .. قدمهم لنا فى عرض جذاب شيق الدكتور أسامه محمد مصطفى الفقى مدرس ترميم اللوحات الزيتية بكلية الآثار جامعة القاهرة . وذلك بتسليط الضوء على جانب من جوانب حياة الفنان الشخصية ، التى تحمل معاناته الذاتية ، فى حياته الدنيوية . وذلك فى ربط جميل بين سيرة الفنان وإبداعه الفنى .




ISBN 977-05-2598-7
9 789770 525982



مكتبة الأنجلو المصرية
THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP
The World of Words & Thoughts
www.anglo-egyptian.com